الغزاليات في الإلهيات

تأليف الدكتور :
محمد حسيني موسى محمد الغزالي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

إهداء

إلى ...

التي ولدت في بيت من بيوتها

وربيت على تربها وترابها

ونعمت بخيراتها ودعوات أهلها

وما زلت أرنو إليها واندفع لحبها

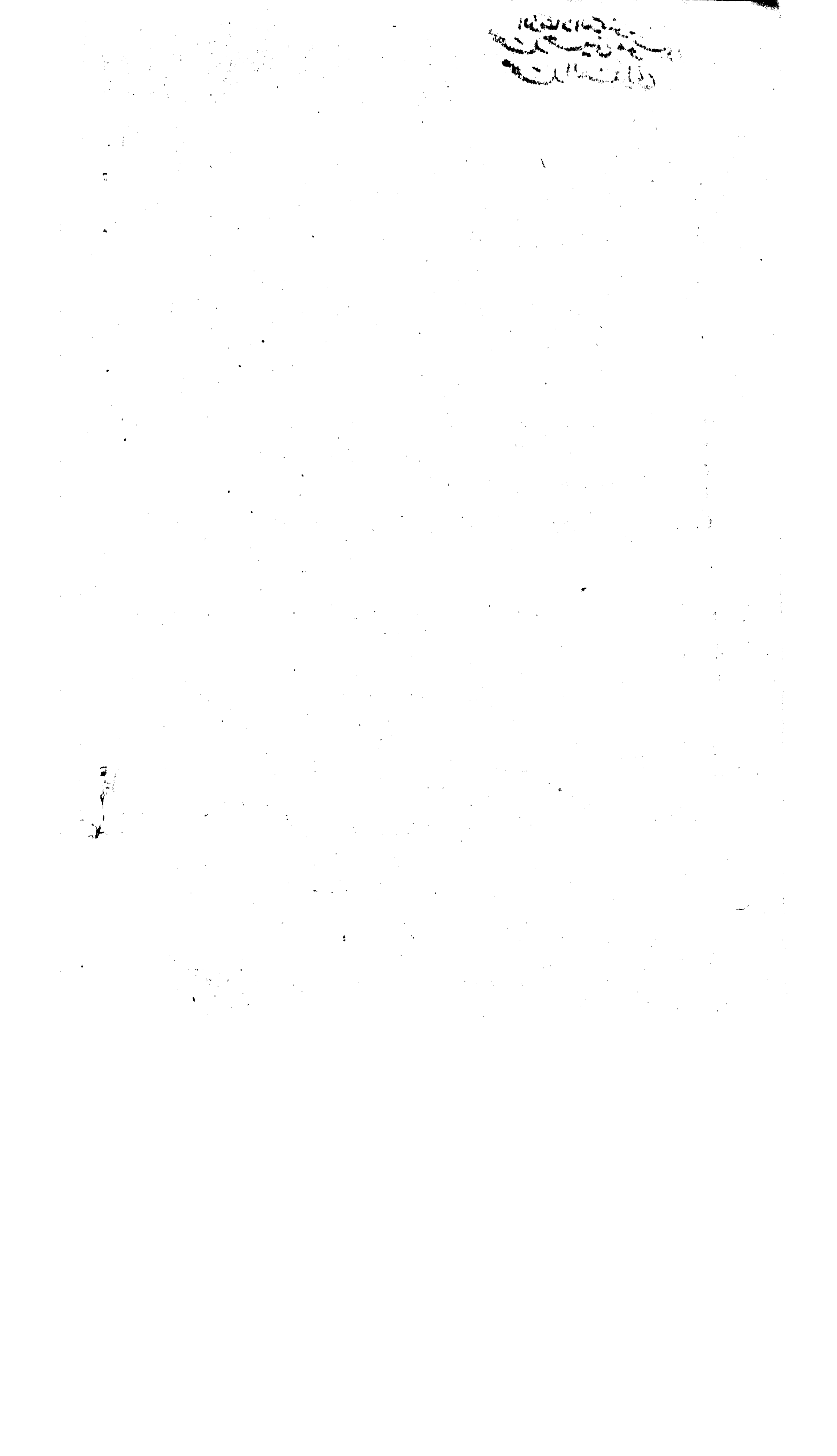
قريتي

غزالة الخيس

مركز الزقازيق - شرقيه

عرفانا ومحبه ، واحتراما ومودة

د/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي



المقدمـــــة :

الحمد لله أودع فى الكون دلائل ألوهيته، ونظم فى قلوب العارفين به معرفته ومحبته، فسبح بحمده كل كائن، وانتظم فى سلك العبودية كل عارف غافل تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تفرد بالجلال والجمال، والكمال والاكرام ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2] ، عرف الخلق بذاته فآمن به من اهتدى وكفر به من ضل واعتدى وكانت دلائله سبحانه تنقل العارفين من الظلمات إلى النور، ومن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، إلى نور الحق والصدق والمعرفة بالله رب العالمين.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرسله ربه بالحق ودين الهدى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا ضال.

وارض اللهم عن آل بيته الأطهار، وصحابته الكرام الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــــد

فما تزال المسائل العقدية تجتذب المؤمنين بها حتى يزدادوا إيمانا، وكل ينفق فيها الجهد والوقت بقدر ما يتيسر له، ولكن الأدلة على وجود الله تزداد كل لحظة قوة وتنوعا فظهرت الأدلة النقلية، كما برزت الأدلة العقلية، ثم جاءت الدلائل

١- سورة الاسراء الآيه ٤٤.

٢- سورة الشورى الآية ١١.

المعملية لتؤكد جميعا قضية أساسية هى الإيمان بالله رب العالمين.

وهاأنذا آخذ نفسى مأخذ الجد، رغم ظروف المرض، وكثرة العوادى، حتى أشارك فى هذا البناء الإيمانى العملاق، فقد يستجيب الله لدعوة مكلوم ترفع، أو قلب محزون بفزع، فتكون اللبنة الصغيرة إحدى المنارات الكبيرة،"وما ذلك على الله بعزيز".

على أن هذه الوريقات ستكون فى مباحث الالهيات أعنى ما يتعلق بكل من:

١- الذات الإلهية:

من حيث أثبات أدلة الوجود، والتفرد من كافة النواحى بحيث لا تنطبق إلا على ذات البارى صاحب الجلال والكمال، والجمال والاكرام.

٢- الصفات الالهية:

من حيث اثباتها بالسمع أم بالعقل ورأى العلماء فى المسألة، ثم بيان ما أميل إليه ممثلا لأهل التفويض ففية الأمر أسلم. وكذلك الأسماء الحسنى.

٣- أفعال الله تعالى:

من حيث عمومها وشمولها، استقلالها وعدم احتياجها، وعلاقتها بأفعال المكلفين على الوجه الذى تخدم به قضية الدين.

وقد سميتها الغزاليات فى السمعيات لأن لبناتها الأولى قد تكونت حيث كنت بقريتى غزالة الخيس مركز الزقازيق شرقية التى نعمت فى طفولتي بها، وضمني لحفظ القرآن الكريم أهلها، وكم تربعت على صدرها فلا أقل من أن أذكر هذه المباحث باسمها.

والله أسأل أن يجنبنى الزلل، ويباعد عني الخطل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

د/ محمد الغزالى

مطالع شهر ربيع الأول ١٤١٩هـ

غزالة الخيس مركز الزقازيق - شرقيه

الأصول الإسلامية التي يجب الإيمان بها،

يمثل الإيمان بالغيب أساس العقيدة الإسلامية الصحيحة، كما تمثل محاولات المفكرين المسلمين في الأصول الغيبية صورة واضحة لأثر هذا الإيمان بالغيب على الفكر والمفكرين المسلمين لذا، فإنه يحسن بي أن أذكر الأسس الغيبية إجمالا، فيما يحتاج إلى إجمال وتفصيلا فيما يحتاج إلى تفصيل.

وليس هذا مقصدي وحده وإنما أذكر آثار هذه العقيدة الإيمانية علي الفكر الإسلامي، غير أنى قد فصلت بعض هذه الأسس، وتناولت جهود المفكرين المسلمين فيها وذلك فى مواضع مستقلةبهذا الكتاب كل فى موضعه.

وسأركز فى هذا الكتاب على بيان الأصول الغيبية التى جاء بها الحديث الشريف بنوع بيان، ومن المعلوم أن حديث جبريل المشهور قد جمع هذه الأصول، حين جاء جبريل الأمين إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى صورة أعرابى يسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأمارات الساعة، وقال صلى الله عليه وسلم «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[٣]

والأصول الستة التى جاءت فى الحديث الشريف هى أركان الإيمان، والأصول التى بعث الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام، ونزلت بها الكتب، ومن ثم فلا يتم إيمان واحد من المكلفين إلا إذا آمن بهذه الأصول جميعها، على النحو الذى دل عليه كتاب الله، وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، على أن من جحد واحدا منها خرج عن دائرة الإيمان الذى هو تعبيد الناس لرب العالمين.

كما أن هذه الأصول الإيمانية تمثل عقيدة واحدة ذات أجزاء فمن آمن بها كلها فهو المؤمن، صحيح الإيمان سليمه ومن شك فى واحدة منها أو كفر فلا ينفعه إيمانه

---

٣ - الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ١٥٧، والبخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه فتح الباري جـ ١، ص ٩٦، ٩٧.

بالأغلب الأعم لأن العقيدة الإيمانية عند المسلمين لا تقبل الإنفصال.

أما الأديان الأخرى فيرى أتباعها والقائمون عليها أنها عقائد يصح للواحد منهم اعتناق بعضها وترك الآخر، وفى ذات الوقت يوصف بدينهم فيقال عليه يهودي أو نصرانى مثلا، وليس الإسلام كذلك، بل هو عقيدة واحدة لها أجزاء لا تنفصل واحدة عن الأخرى إلا فى المفهوم والدلالة، والغرض واحد، فلنبدأ بالأصل الأول: وهو وجود الله تعالى، وطرق الاستدلال عليه جل علاه كما سنتحدث عن الصفات الإلهية على النحو التالى.



المبحث الأول
أدلة اثبات وجود الله تعالى

(١) أدلة وجود الله تعالى:

وجود الله سبحانه وتعالى مسألة شغلت الفكر الإنساني في طوال قرون متعاقبة وستظل لأنه سبحانه وتعالى لا يُرى وإنما يدرك بآثاره المنبثة في الكون، وآياته الظاهرة في الأنفس والآفاق، ومن المعلوم أنه ترجع لدى الباحثين أن العقل ما توقف يوما عن محاولة الاستدلال على خالق لهذا الكون أيا كان تصوره لهذا الخالق، وأي كان هذا العقل، وربما شطح العقل في المسألة حينا واستقر آخر وربما سبح في بحار الملكوت الإلهي مستغرقا في تأمل هذا الجلال المهيب، وربما وصل أو ضل رغم أن الاقرار بوجود الذات الإلهية أمر فطري تُقِرُّ به الفطر السليمة والعقول النقية ولذا فإن نعرض موقف كل من الفطرة السليمة والعقول النقية في الاستدلال على وجود الله تعالى.

أ- الفطر السليمة:

يقول الشهرستاني: «تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم، لست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية»[٤] إذن مسألة وجود الله تعالى تشهد الفطرة السليمة بها، وتقر بضرورة الحاجة إليها، ولذا يقول الشهرستاني «فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها، على صانع حكيم عالم قدير»[٥].

وهذا الجانب من الاستدلال بالفطرة على وجود الله تعالى أمر مقرر بين كافة طوائف البشر، أما لماذا؟ فلأن الإيمان بوجود الله شعور يستوي فيه الحفاة العراة في صحاري أفريقية، وجزائر المحيط، وفلاسفة اليونان في الماضي، وفلاسفة الإفرنج

٤- الإمام الشهرستاني- نهاية الأقدام في علم الكلام ص ١٢٤.

٥- المصدر السابق ص ١٢٥.

الآن - وقد عرف في قدماء الأمم كالمصريين والكلدانيين والهنود، كما هو معروف في هذا العصر، ولا شك أن هذا أمر فطري.

ومسألة الاعتقاد بوجود الله تعالى لم يخل عنها فكره ولم يهملها شعب بل ربما تعددت الآلهة في بعض الشعوب كرمز للقوة الغيبية التي يعتقدون في وجودها، ولا شك أن التوحيد هو الأصل الصحيح، والتعدد عقيدة باطلة.

وقد كانت فكرة التعدد سائدة في المجتمعات التي لا يوجد فيها رسول، فمثلا: وكان لقدماء المصريين عديد من الآلهة، فقد عبدوا القط والجعران وأبا الهول، وأشهر آلهتهم قبل توحيدها العجل أبيس، ثم اتجهوا حينا إلى توحيد الإله بطريقة أخرى، وجعلوه الشمس، وكانوا يطلقون عليه «رع» وارتفعت المعابد لتقديسها وعبادتها في طول البلاد وعرضها، وكانت عبادتها هي عبادة الدولة الرسمية، حتى أصبح لقب الملك الرسمي «ابن شمس» وكان الملك أخناتون يعبدها ويقدسها»[٧].

والتعدد فطرة فاسدة والتوحيد طريق الفطرة السليمة.

وربما استؤنس بقوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٨]، يقول الإمام الزمخشري:

«قررهم أولاً بأن خالق العالم هو الله وحده» ثم قال لهم بعد التقرير» إذا أرادني خالق العالم الذى أقررتم به بضر من مرض أو فقر، أو غير ذلك من النوازل، أو برحمة

٦- الدكتور/ حسن مخزوم السيد العوضي ... المنهج في إثبات الصانع بين السلفيه والمتكلمين ص ٧ دار الطباعة المحمدية ط أولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

٧- الشيخ مصطفى محمد الطير - أقباس من نور الحق جـ ١ ص ٢٩، ٣٠ ط مجمع البحوث الاسلامية وينظر كتاب الإيمان والإسلام للاستاذ/ أحمد حسين ص ٦٧.

٨- سورة الزمر الآية رقم ٣٨.

من صحة أو غنى أو نحوهما، هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات رحمته، حتى إذا ألقمهم الحجر، وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة، قال: حسبي الله كافيا لمعرة أوثانكم»[٩].

والشاهد أنهم أجابوا بأن خالقهم هو الله، رغم إشراكهم غيره في العبادة وهكذا فإن الفطرة السليمة تشهد حتما بوجود الله الخالق العظيم جل علاه، وتة بضرورة الحاجة إليه، وربما قصد هذا الجانب الفطري الإمام الرازي حين قال: « عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى، لما كان كل ما تتصوره النفس فا بخلافه، فلم يتمكن العقل والنفس من الإشارة إلى حقيقة معلومة، بأن حقيقة الإ هي هذه الحقيقة، ويروى عن سهل بن عبد الله أنه سئل عن ذات الله فقال: ذات ا موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، وقد حجب الخلق عن معركة كنه ذاته، ودل عليه بآياته، والقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار الآخرة، من غير احاطة، ولا إدراك نهاية»[١٠].

وتلك ميزة الفطرة السليمة، ولعله يقصد معرفة الذات الإلهية من حيث ال على ما سبق إليه الإمام الغزالي، حيث يقول: «لا يعرف الله سبحانه وتعالى ك معرفته إلا الله تعالى»[١١] لكن أن يعرف تعالى بآثاره وآياته، فهذا من طرق الف السليمة.

ب - العقول النقية :

عقيدة الألوهية «كانت منذ بدء الحياة الفكرية، إحدى الشواغل العويصة

٩- الإمام الزمخشري الكشاف المجلد الرابع ص ١٢٩ ط دار الريان

١٠- الإمام الفخر الرازي - عجائب القرآن ص ١٤٤، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ط دار الكتب الإسلامية ٢ - ١٩٨٣م.

١١- الإمام الغزالي- الجام العوام عن علم الكلام ص ٩٤، ضبطه رياض مصطفى منشورات دار الحكمة بيروت هـ - ١٩٨٦م.

هزت أعماق العقل البشرى.. وراح يسأل. من أين أتى العالم؟[١٢] وحاول الإجابة على ما افترض من أسئلة - رغم أنها أسئلة عن أمر غيبى - ومن هنا اختلطت محاولاته بين الصواب والخطأ وتداخلت بحيث صارت مرة بحثا عن علة الكون، وأخرى عن مادة الكون، وثالثة عن الغاية منه ومصيره، وبالتالى فإن العقل أيضا حاول اصطناع أدلة على عقيدة الألوهية مع الاقرار بها.

نعود فنقول: أن مسألة وجود الله فطرية وعقلية معا، فهى فطرية فى الإيمان بها، وعقلية فى الاستدلال عليها ولو إجمالا، وإنما جاء الزيغ والانحراف من الملاحدة الماديين، لفساد فطرهم حينما حصروا الموجودات فى المادة وحدها، حتى إذا جاء برتراند راسل مثلا فقال: «إن وظيفة الدين لم تكن تساعد على ممارسة المغامرة العقلية»[١٣] كان هذا القول منه مردودا عليه، بأن الدين لم يكن حائلا أبدا، كما أنه لم يخل شعب من البحث فى مسألة وجود الله أبدا وقد شهدت به كل العقول النقية.

وقد اتخذت مناهج عقلية عديدة للاستدلال على عقيدة الألوهية، لأن الفطر قد تفسد وتعرض للعقول الكثير من الوساوس والشبهات، فتضل الطريق إلى المعرفة الحقيقية بالله، وحينئذ فقد وجب على المسلم فى معرفته تعالى الاستدلال بالعقل، ومن هنا سلك الناس مسالك عديدة، فى الاستدلال على وجود الله تعالى، ومن هذه المسالك ما سلكه كل من :

(١) السلف الصالح.

(٢) المتكلمون، وكان لهم في اثبات وجوده تعالى دليلان هما:

أولا: الدليل النقلى:

ثانيا الدليل العقلى: وهو يقوم على طريقتين:

١٢-الدكتور/ محمد غلاب - مشكة الألوهية ص ١٧ جماعة إحياء الفلسفة ط أولى ٧ يسى الحلبى ١٣٦٦٦ هـ - ١٩٨٣م.

١٣- برتراند راسل - حكمة الغرب جـ ١، ص ٢٣ عالم المعرفة بالكويت ترمة د/ فؤاد زكريا ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

أ- طريق الحدوث للعالم بجواهره وأعراضه.

ب - طريق الإمكان.

يقول الشهرستانى «سلك المتكلمون طريقين في اثبات الصانع تعالى، وهو الاستدلال بالحوادث على محدث صانع، وسلك الأوائل طريقا آخر، وهو الاستدلا بامكان الممكنات على مرجع لأحد طرفى الإمكان»[١٤].

(٣) المعتزلة.

(٤) الفلاسفة : ولهم في إثبات وجوده تعالى طريق الإمكان.

وسوف أتناول هذه الأدلة بشئ من التفصيل على النحو التالى:

الإيمان بالله رب العالمين يعتبر الأصل الأول فى العقيدة الإسلامية، وغير ينبنى عليه كما أنه أصل الغيبيات كلها، فمن آمن بالله وأنه غيب أمكنه الإيمان بـ بعده من الأركان متى صدق إيمانه، وسلمت عقيدته، والله سبحانه وتعالى غيب مـ حيث أنه لا يقع تحت الحس ولكن يعرف بآثاره المنبثة فى الكون أرضه وسمائه، وفـ الأنفس والآفاق.

والله سبحانه وتعالى غيب يستدل على اثبات وجوده بالعقل و النقل، كـ يستدل على صفاته جل علاه بالنقل والعقل معا، وكان لهذا الأصل أثر على المفكر المسلمين، إذ هم قد حاولوا الاستدلال عليه بعد إيمانهم به كما حاولوا تقرير العقـ ودفع الشبه عنها، وإثبات استحالة وجود شريك له جل علاه، وعجز الطبيعة عن خـ نفسها، لينتهوا من ذلك إلى إثبات واجب الوجود الخالق العليم جل علاه، ومن أ الجهود التى بذلت لبيان هذا الأصل والاستدلال عليه نذكر جهود كل من :

١٤- الإمام الشهرستانى - نهاية الاقدام فى علم الكلام ص ١٢٤ ، ١٢٥.

أولا: السلف الصالح[15]

لم يشغلوا أنفسهم بمسألة الاستدلال على وجود الله كعقيدة غيبية، وذلك لأنهم آمنوا بالله تعالى فطرة واعتقدوا تسليما، غير أنهم نظروا فى آيات الذكر الحكيم والحديث الشريف فحاولوا التعرف عليها أيضا من خلال النقل المعصوم، ومن ثم كان لهم مجهود فكرى فى المسألة برز من خلال تأملاتهم فى الكون وما فيه.

وكان «المعول عليه عند أئمة السلف وعلمائهم من أهل السنة والحديث، هو الأدلة الشرعية فى اثبات العقائد وتقريرها، ولم يعرف عندهم ما سمى فيما بعد بالدليل العقلى[16] أما لماذا؟ فلأمور أربعة:

الأول : قرب العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثانى: صفاء العقيدة ونقاء السريرة.

الثالث: عدم دخول ثقافات أخرى إلى ميدان العقيدة الإيمانية.

الرابع: انحصار الاحتكاك بالأمم الأخرى فى المسائل الدينيه ولأن الوحى كان ينزل بين أظهرهم فكانوا أعلم بتأويله من أهل العصور التاليه وكانوا مؤتلفين فى أصول الدين لم يفترقوا فيه ولم تظهر فيه البدع والأهواء»[17].

وليس معنى هذا أن السلف الصالح عطلوا عقولهم أو أهملوها، وإنما كان ايمانهم فطريا، ومع ذلك كان لهم من الأدلة دليلان.

١٥- اختلف فى تحديد مفهوم السلف الصالح على أقوال: الأول: أصحاب التحديد الزمانى: وهم يرونها مدة زمانية ثم اختلفوا فى المدة بين الطول والقصر حتى وصلوا بها من المائة الأولى إلى الخامسة القول الثانى: أصحاب الاتجاه اللغوى: وهم يرون السلف من لهم خلف فكل فرقة لها خلف يكون لها سلف. الثالث: السلف الصالح: هم المتمسكون بالكتاب والسنة وتقديمها على غيرها فى الاستدلال والسلوك، والأخير أرجح من غيره.

١٦- الدكتور/ حسن محرم الحوينى المنهج فى إثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص ٢٠، دار الطباعة المحمدية ط أولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

١٧- الإمام ابن حجر عقائد السلف ص ٣٠٩.

الأول: الدليل النقلى:

وذلك أنهم حينما كانوا يقررون العقيدة الدينية ماكانوا يسوقون عليها من أدلة إلا الدليل النقلى، وإمرار النص على ظاهرة من غير تشبيه يوقع فى التجسيم، أ تأويل يؤدى إلى التعطيل وإنما «طفقوا يقررون العقائد -الدينية - من واقع النصو الشرعية»[١٨].

الثانى: الدليل الكونى القرآنى:

وهذا الدليل قائم على النظر فى الكون ومحاولة الربط بين نصوص النق والمخلوقات المنبثة فيه والغاية المنشودة، ويعتبره الاستاذ عباس العقاد «أقو البراهين اقناعا وأحراها في ابطال القول بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها ويقدم لذلك ما يعضده:

أولا: برهان ظهور الحياة فى المادة «قال تعالى «يخرج الحى من الميت» وقوله تعالى: «وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة».

ثانيا برهان التناسل بين الأحياء لدوام ابقاء الحياة قال تعالى: «جعل لك م أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا، وقوله تعالى: «وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج»[١٩]

وهكذا كانت أدلة السلف الصالح تقع بين ما ذكر، وهو مجهودهم الفك بجانب مجهوداتهم الدينية فى عقيدة الألوهية، وكان للنقل أثره فى صقل ذهن الإنـ - المسلم - فالحقائق الإيمانية وخصائص الشريعة الاسلامية تمثل حجر الأساس تكوين عقلية المفكر المسلم»[٢٠].

١٨- المصدر السابق نفسه ص ٢٠.

١٩- الاستاذ/ عباس محمود العقاد - الله كتاب فى نشأة العقيدة الالهية ص ٢٢٩.

٢٠- الدكتوره/ فوقيه حسين محمود - مدخل الى الفكر الاسلامى ص ١٤ مطبعة أخوان [illegible] ١٩٨٨م.

ثانيا: المعتزلة:

تمثل فرقة المعتزلة صورة من التحرر الفكرى، وإن يكن الهدف الأول عندهم هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية فى مواجهة الخصوم الذين استعملوا كل أسلحة العقل فى مواجهة النقل، فان المعتزلة استعلموا كل أسلحة العقل لتأييد النقل، وكان ذلك- على أقل تقدير - عند أوائلهم، ومن ثم كان لهم من الأدلة على اثبات وجود الله تعالى ما يلى:

أولا: الدليل العقلي:

يقرر المعتزلة أن أنواع الدلالة أربعة : حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل»[٢١]ويوضح القاضى عبد الجبار السبب فى أن معرفة الله لا دليل عليها إلا العقل، فيقول: «أما أن معرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل، فلأن ماعداها فرع على معرفة الله تعالى بتوحيد، وعد له، فلو استدللنا بشئ منها على الله والحال هذه كنا مستدليين بفرع الشئ على أصله وذلك لا يجوز»[٢٢] إذن لا مكان للدليل النقلى عندهم وإنما المعول عليه الدليل العقلى النظرى فقط من حيث الظاهر.

ومن ثم فالقول بأنه قد «اهتم المعتزلة كثيرا فى البرهنة على وجود الله، وكانت عنايتهم بإقامة الأدلة على وجود الله لا تقل عن عناية السلف الصالح»[٢٣] قول يحتاج إلى إعادة نظر لأن السلف الصالح كان إيمانهم فطريا، واستدلالهم نقليا، والمعتزلة على العكس من ذلك.

٢١- القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمذاني شرح الأصول الخمسة ص ٨٨ تعليق الامام أحمد ابن الحسين بن أبى هاشم، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة.

٢٢- المصدر السابق نفسه ص ٨٨.

٢٣- د/ عبد الغنى الغريب - الجانب الإلهى عند المعتزلة وابن رشد ص ٥٤ رسالة ماجستير أصول الدين القاهره

يقول القاضى عبد الجبار «أن الله تعالى لا يُعرف ضرورة، وكل ذات لا ضرورة فالطريق إليها لا يعد وأحد أمرين، أما أن يكون حكما صادرا عنه، أو واقعا من قِبَله»[٢٤]

فإذا لاحظنا أن هذا الدليل هو بعينه السَّبْر والتقسيم، أمكننا فهم ا السالفة على معنى، أن العلم بالذوات لا يتم بالضرورة، وإنما يتم بالدليل ال عليها، وهذا الدليل إما أن يكون فعلا واقعا من قِبَل الذات، وهو تعلق بالفاعل، أو تعلق العلة بالمعلول، وهو الحكم الصادر عنها، يقول ابن «التعلق فى الذوات لا يخرج عن وجهين: إما أن يكون تعلق الفعل بالفاعل، أ العلة بالمعلول»[٢٥].

وهم يرفضون الاستدلال على الله بحكم صادر عنه، أما لماذا؟ فلأنهم ي أن يكون الله علة يصدر عنه معلولة ضرورة لأنه قول يؤدى إلى قبول فكرة و مشارك لله فى أخص أوصافه وهو القدم، لأن المعلول عندهم لا ينفك عن عل وجود ثان مع الله وهو مستحيل، ومادام هذا الوجه قد سقط من الاستدلال فل الوجه الآخر وهو تعلق الفعل بالفاعل وهو الطريق الوحيد الذى يوصل الى مع تعالى ويؤكد ابن متويه» أن الله ليس بعلة فنستدل بالصفة الصادرة عنه عل يستدل المعتزلة على الله تعالى بأفعاله.

والمعلوم أن أفعاله تعالى عند المعتزلة نوعان: أحدهما ماليس بمقد وثانيهما ماهو مقدور له ولغيره، والثانى تقع فيه المشاركة بوجه ما فلا على الله تعالى، أما الأول وهو ماليس بمقدور لغيره- فهو الدليل الذى ي

٢٤- شرح الأصول الخمسة ص ٨٩.

٢٥- ابن متويه - المجموع من المحيط جـ ١ ص ١٠١ نقلا عن مناهج التفكير فى العقيدة بين النصين عماد خفاجى ص ١٢٠.

٢٦- المصدر السابق جـ ١ ص ١٠١.

والطريق الموصلة إلى معرفة الله تعالى، وهذا الفعل الإلهى يقع فى الجواهر والأعراض، وبالتالى لابد من اثباتها أولا موجودة، ثم اثباتها ثانيا محتاجة، وأخيرا اثبات احتياجها الى الله الفاعل المختار، وهو ماذهب إليه القاضى عبد الجبار ومن معه، وهو دليل الحدوث.

اذن هذا الدليل العقلى - دليل الحدوث -عندهم يقوم على:

أ- حدوث الأعراض.

ب - حدوث الأجسام.

وحدوث الأعراض يقوم أولا على:

اثباتها موجودة،

ثم اثبات حدوثها،

ثم الانتهاء إلى احتياجها لمحدث فاعل مخالف لنا وهو الله تعالى[٢٧].

أما حدوث الأجسام فيقوم على أحد طرق ثلاثة:

الأول منها: الاستدلال بالأعراض على الله، وصحة السمع، ثم نستدل بالسمع على حدوث الأجسام.

الثانى: الاستدلال بالأعراض على الله ونعلم قدمه تعالى، ثم نقول لو كانت الأجسام قديمة لكانت مِثْلًا لله لأن القدم صفة من صفات النفس، والاشترك فى صفة من صفات النفس يوجب التماثل، ولا مِثْلَ لله فيجب أن لا تكون - الأجسام - قديمة، وإنما يجب أن تكون محدثة[٢٨].

٢٧-شرح الأصول الخمسة ص ٩٢، وفيه تحدث عن الأعراض ثم بيان جهة حدوثها بعدأن قسمها إلى مدرك وغير مدرك، وبين أن المدرك يمكن اثباته على سبيل الاستقلال، أما غير المدرك فاثباته بالجملة والتفصيل معا.

٢٨- المصدر نفسه ص ٩٤، ٩٥.

الثالث: الدلالة المعتمدة ومؤداها أن الأجسام لم تنفك عن الحوادث ولم تتقدمها، ومالم يخل من المحدث بتقدمه يجب أن يكون محدثا مثله[29] وهذا الوجه قائم عندهم على اثبات الأكوان وإنها حادثة.

ويرى أحد الباحثين أن المعتزلة يفضلون الاستدلال بحدوث الأجساد ويرونه أقوى من القول بحدوث الأعراض وذلك لوجوه:

أولها: أن الأجسام معلومة بالاضطرار على الجملة والتفصيل جميعا بخلاف الأعراض التي تنقسم إلى مدركة وغير مدركة وذلك يحتاج في اثباتها الى التفصيل على طريقة الجملة.

ثانيها: أن الاستدلال بالأجسام يتضمن اثبات الأعراض وحدوثها، وليس كذلك الأعراض، فالاستدلال بها لا يعرف به حدوث الأجسام.[30]

ثالثها: أن المعتزلة يرون أن كمال العلم بالله تعالى لا يتأتى إلا باثبات حدوث الأجسام وحيث أن تمام التوحيد لا يحصل إلا بأن ننفي عن الله تعالى أي شبه بالأجسام، وننفي شبه الله تعالى بالأجسام لهذه الأسباب مجتمعة كان تفضيل المعتزلة للوصول إلى اثبات وجود الله تعالى عن طريق اثبات حدوث الأجسام.

الثاني: دليل الاحتياج:

وهذا الدليل قائم على أن الأعراض والأجسام مفتقرة في اخراجها من العدم للوجود - إلى محدث حتى يحدثها، وهذا الافتقار هو الاحتياج بعينه، يقول القاضي عبد الجبار: «الأجسام والألوان وغيرها مفتقرة في حدوثها إلى محدث ما، إذ لابد

٢٩- المصدر السابق ص ٩٥.

٣٠- د/ عماد خفاجي - مناهج التفكير في العقيدة بين النصيين والعقليين جـ ١ ص ١٢٢ دكتوراه مخطوطة أصول الدين - القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

عند العلم بذلك من أن يكون له معلوم، وليس معلومه إلا الله عز وجل[٣١] وفى تقديرى أن الاحتياج يؤدى إلى الحدوث كما يؤدى إلى الإمكان فارجاعه إلى الحدوث أيسر لأنه دليلهم القوى وقد هاجم ابن تيمية دليل الحدوث كما هاجم دليل الإمكان، ولم يسلم لهم دليل من وجهة نظر شيخ الإسلام ابن تيمية.

الثالث: قياس الغائب على الشاهد:

وهو دليل يقوم على أننا نفعل بأنفسنا ما ينسب إلينا، لأننا أوجدناها وأحدثناها، وبالتالى احتاجت الينا كفاعلين لها - بناء على أن الأفعال الإنسانية الاختيارية تصدر عن صاحبها مباشرة - والمقايسة تقتضى القول بأن الأجسام والأعراض محدَثة لا من ذاتها وإنما من فاعل مختار احتاجت إليه وأوجدها.

يقول القاضى عبد الجبار: «نعلم أولاً اثبات حوادث هى أفعالنا، ثم نعلم أنها إنما كانت أفعالنا لأنا أوجدناها وأحدثناها، ومن حيث كانت محدثة احتاجت إلى فاعل ثم نعلم أن ذلك المحدِث لا يجوز أن يكون إلا خالقنا وهو القديم تعالى»[٣٢].

وكان الأولى للمعتزلة سلوك طريق الضرورة العقلية بدل قياس الغائب على الشاهد الذى لم يسلم من الاعتراضات القوية التى زلزلت أركانه ودفعت به إلى الانهيار، أما الضرورة العقلية فقائمة على أساس أن هذه الأجسام والأعراض كانت معدومة ثم وجدت، وهى فى ذات الوقت محتاجة إما لاستمرار عدمها أو لاستمرار وجودها، أو لتجدد وجودها، وحينئذ يقولون: هذه الأجسام، إما أن تكون قد أحدثت نفسها، لأن من حق القادر على الشئ أن يكون متقدما على فعله، فلو كان الجسم هو

٣١- القاضى عبد الجبار - المحيط بالتكليف ص ٧٥ تحقيق عمر عزمى الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣٢- القاضى عبد الجبار - المختصر فى أصول الدين ص ٢٠٧ ضمن رسائل العدل والتوحيد ط دار الشروق - القاهره ١٩٨٧م.

الذى أحدث نفسه لزم أن يكون قادرا وهو معدوم، والمعدوم لا يجوز أن يكون قادرا[٣٣]، وهذا بحكم الضرورة العقلية مستحيل، لكنهم رفضوا أن تكون معرفة الله ضرورة لما سبق.

واما أن تكون الأجسام قد أحدثها غيرها، وهذا الغير لا يمكن أن يكون مثلا لها وإلا وقع الاحتياج وعاد إلى الأمر الأول لكونه مِثْلاً لها، وبالتالى يلزم ضرورة أن ينتهي الأمر إلى محدث مخالف لها جميعا، وهو الله رب العالمين. فثبت بحكم الضرورة العقلية أن العالم كله حادث ومحتاج إلى محدِث وهو الله سبحانه وتعالى الواجب الوجود.

وسواء سلمت للمعتزلة أدلتهم أم نازعهم غيرهم فى تفصيلاتها فانها تمثل أثرا من الآثار القوية على فكرهم فى جانب عقدي ممثلا فى اثبات وجود الله رب العالمين.

وربما يقال: لماذا لم يتحدث القرآن الكريم مباشرة على إثبات وجود الله تعالى ذاتا وصفات وأفعالا، حتى يلتزم الجميع ويكون ذلك أسلم؟

ومن الجواب ما ذكره الاستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون حيث يقول: «القرآن الكريم لم يضع وجود الله - تعالى - موضع الاحتمال والفرض، ولا موضع الجدل والنقاش، والاستدلال بالآيات الكونية وغيرها لا يقصد بها نفى طرف فى قضية لها طرفان ليثبت الطرف الآخر، وإنما القصد من هذه الاستدلالات توجيه المدارك العقلية، والمشاعر الوجدانية الى جلال سلطانه، وعظمة تدبيره»[٣٤].

وكل مفكر ينهل من هذه الآيات القرآنية على وجود الله دليلا نقليا فهو له. أو دليلا كونيا قرآنيا فهو له، أو دليلا عقليا قائما على مقدمات نقلية فهو له، أو أدلة معملية توافقها آيات قرآنية فربما سلم له، المهم أن عقيدة الإيمان بالله فطرية، أما

٣٣- شرح الأصول الخمسة ص ١١٩.

٣٤- الشيخ - محمد الصادق عرجون - القرآن العظيم ص ١٤.

الاستدلال عليها فهو الذى تسلك له المسالك، وتقام له الأدلة وكان لفارس المعتزلة الأوائل جهود موفقة فى الاستدلال على وجود الله تعالى على النحو الذى سلف ذكره.

ثالثا أهل السنة والجماعة:

أمر الإيمان بالله رب العالمين شغل الفكر الإسلامى كله، يتساوى فى ذلك الصحابة والتابعون، كما يتساوى فيه السلف والخلف، غير أن كلا منهم كان يتعامل معه لا بحكم إيمانه به فحسب، وإنما كان يضاف إليه الاستدلال عليه وظروفه، فاذا كان السلف الصالح فى استدلالهم على الإيمان بالله رب العالمين قد سلكوا مسلك النقل ابتداء من مسألة الألوهية وانتهاء بأمر الأصول الغيبية فقد ساعدهم عليه أمور:

الأول: قرب العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثانى: صفاء العقيدة ونقاء السريرة.

الثالث: عدم دخول ثقافات أخرى إلى ميدان تلك العقيدة الغيبية.

الرابع: أنحصار الاحتكاك بين الأمم الأخرى فى المسائل الدنيوية.

غير أن هذا الحال لم يدم طويلا فإذا بقرب العهد برسول الله صلى الله عليه وسلم يصير زمانا كما أن مسألة دخول ثقافات كثيرة إلى البيئة الإسلامية صار مقررا لأن الأمم التى دخلت الإسلام كانت متباينة فى ثقافاتها وبيئاتها ولغاتها قبل دخولها الإسلام فلما دخلت انتقلت إليه مع ما كان لها.

وانخرط هؤلاء المسلمون الجدد بالمسلمين الأوائل وصار احتكاك المسلم بأخيه أمرا شرعيا، ثم وجدنا الجدد يتحدثون عن ثقافاتهم الأولى بحكم أنها موجودة فى عقولهم ولا يمكنهم التخلى عنها فورا ولعل الحديث الشريف قد نوه إلى هذا وبخاصة فى شأن مسلمة أهل الكتاب فقال صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا

تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا »[٣٥].

التقى أهل السنة والجماعة بعالم متفتح على ثقافات عديدة، وبدأت مسألة الصراع فى مسائل العقيدة بين المسلمين وغيرهم ممن صار احتكاكهم بهم ضروريا وطبقا لمقررات الشرع الحنيف من هنا ظهر طور جديد فى شغل الاستدلال على العقيدة الإيمانية وبخاصة فى جانب الغيبيات، ولم يعد منهج الاعتماد على النقل وحده يؤدى الغرض الكامل، بل تسلح غير المؤمنين بأسلحة أخرى منها العقل وقدراته، بل ويحاول اثبات قضاياه الدينية إليهم ومن أهم هذه المسائل قضية الغيبيات على العموم ومنها مسألة اثبات وجود الله تعالى والاستدلال عليه.

لذا لجأ أهل السنة والجماعة الى استعمال المنهج النقلى والعقلى معا فى الاستدلال على العقيدة الدينية وكان ذلك ضروريا لا محيد عنه فاستخدموا بعض المصطلحات الخاصة بغيرهم مجاراة لهم ودفاعا عن عقيدتهم من أمثال لفظ الجوهر والعرض، والخلاء، والملاء، وغيرها من الألفاظ التى لم تكن معروفة فى البيئة الاسلامية من قبل لكنهم ربما أفرغوها من محتواها عند أصحابها واستعملوها بعد أن ملؤها بمحتوى اسلامى يسير مع النقل المعصوم من أمثال ذلك استخدامهم للفظ العلة والمعلول والاثبات والابطال، والعدم والحدوث إلى غير ذلك مما لم يكن مستخدما فى البيئة الإسلامية من قبل.

ومما لا يمكن تجاهله أن النقل المعصوم صبغ فكر المسلمين صبغة خاصة، وكون لديهم ملكات عقلية ايمانية بحيث صارت الركائز التى يعتمد عليها، وكان للنص المنزل أثره «فى صقل ذهن الإنسان - المسلم - فالحقائق الإيمانية وخصائص الشريعة الاسلامية تمثل حجر الأساس فى تكوين عقلية المفكر المسلم»[٣٦].

وتتكون أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية، ولذا سنفرغ لكل منهما

٣٥- الإمام ابن حجر :عقائد السلف ص ٩-٣.

٣٦- الدكتوره / فوقيه حسين محمود، مدخل الى الفكر الإسلامى، ص ١٤ مطبعة اخوان زويق ١٩٨٧/١٩٨٨.

حديثا مستقلا، بحيث تتضح الأدلة عند كل منهما ولنبدأ بالأشاعرة.

أ - الأشاعـــــرة:

من أشهر الفرق الإسلامية، وأكثرها تقريرا للعقيدة الإسلامية ودفاعا عنها، وكان لهم فى الاستدلال عليها مجهود بارز متنوع فى تقديمهم العديد من الأدلة عليها، ومسألة اثبات وجود الله كان لها النصيب الأوفى من مجهودات الأشاعرة الفكرية، كما كان للقوم أدلة أبرزها:

١- الدليل الكونى:

هو أحد الأدلة العقلية والدليل الكونى المقتبس من النقل المعصوم يقوم على أن هذه الكائنات صغيرها وكبيرها تسير لغاية محددة وأن فى العالم نظاما عجيبا وترتيبا غريبا، من عجائب المخلوقات وحكمة وجودها وفق نظام عام لا مخرج منه مع أنه لا اختيار لها فيه كحركة الشمس والكواكب والأرض والجبال.

والإنسان باعتباره نطفة ثم علقة فمضغة إلى آخر ما فيه مع العلم بأن نطفة الإنسان لا تنتج حيوانا ولا العكس وهذا الدليل الكونى يقوم على الاستدلال بذوات الأجسام من علوية وسفلية وصفاتها أو اختصاص بعضها بمزايا لم توجد فى البعض الآخر مع الاشتراك فى الجسمية وهو اقناعى [٣٧] وهذه قد أرشد إليه القرآن فى عدة آيات [٣٨] مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ

٣٧- قال الاستاذ الدكتور عوض الله حجازى «لأن مقدماته ليست يقينية، بل تحتمل أكثر من معنى فسمى الدليل اقناعيا» هامش القول السديد فى علم التوحيد للاستاذ الشيخ/ محمود أبو دقيقه ص ١٩٤ ط مجمع البحوث الاسلاميه.

٣٨- الا[illegible] الشيخ/ محمود أبو دقيقه - القول السديد فى علم التوحيد جـ ١ تحقيق وتعليق أ.د/ عوض الله جاد حجازى ص ١٩٤. ط مجمع البحوث الاسلاميه بالأزهر الشريف.

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾[٣٩]

ومن يدرك هذه «لا يسعه إلا أن يعتقد أن لها موجدا حكيما، مختارا فى تصرفه قديما، منزها عن كل نقص»[٤٠].

وقد شارك فى هذا الدليل السلف الصالح، وأهل السنة والجماعة، ودعاة السلف والمفكرون المسلمون المحدثون والمعاصرون وما ذلك إلا لأنه طريق القرآن فى الاستدلال على وجود الله تعالى ولنضرب لكل منهم مثالا.. ومادمنا ذكرنا طرفا عن السلف الصالح فلا نعيدا لقول فيه إذن هناك اتفاق بين السلف وأهل السنة والجماعة فى الاستدلالدبالدليل الكونى القائم على النقل المعصوم فما هو موقف الشيخ الأشعرى؟

يقول الإمام الأشعرى «أن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن للخلق صانعا صنعه ومدبرا دبره؟ قيل له: الدليل على ذلك أن الإنسان الذى هو فى غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقة ثم لحما ودما وعظما، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال، لأنا نراه فى حال كما له وقوته وتمام عقله، لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعا ولا بصرا ولا أن يخلق لنفسه فدل ما وصفناه على أن ليس هو الذى ينقل نفسه فى هذه الأحوال وأن له ناقلا نقله من حال إلى حال، ودبره على ما هو عليه»[٤١] ومن فقد نظر الشيخ إلى الإنسان ككائن حى ذى أطوار مختلفة وله من الصفات مالا يتمكن منها وحده ومع هذا ترى فيه حكمة، وتشمله عناية، وتبدل أحوال، وتغير أطوار، فدل ذلك على أن له خالقا خلقه وسواه وأن هذا الخالق موجود ولا أحد سواه جل علاه وهو السميع البصير.

---

٣٩ - سورة البقرة الآية ١٦٤.

٤٠- القول السديد فى علم التوحيد ص ١٩٩ تحقيق أ.د. عوض الله جاد حجازى.

٤١- الإمام أبو الحسن الأشعرى - اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ص ١٧ . ١٨ تحقيق د. حموده غرابه، مطبعة مصر الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

٢- الدليل العقلى:

هو عبارة عن الاستدلال بالبراهين التى هى اليقينيات المنتجة وهى المعروفة فى المنطق بالبرهان الذى هو قول مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقين، وهذا هو المسمى بالدليل العقلى [٤٢] وهذا الدليل هو الأنفع للخاصة، وهو عند الأشاعرة ينقسم إلى:

(١) دليل الحدوث: وهو «عبارة عن كون الوجود مسبوقا بالعدم» [٤٣] إذ هو ما تساوى وجوده وعدمه باعتباره ممكنا

(٢) دليل الإمكان: وهو «عبارة عن كون الشئ فى نفسه، بحيث لا يمتنع وجوده ولا عدمه امتناعا واجبا ذاتيا» [٤٤].

وقد جمع هذين الدليلين الإمام العضد والشريف الجرجانى يقولان: «المقصد الأول فى اثبات الصانع وللقوم فيه مسالك خمسة: المسلك الأول للمتكلمين وهو قد علمت أن العالم إما جوهر أو عرض، وقد يستدل على اثبات الصانع بكل واحد منهما إما بامكانه أو بحدوثه بناء على أن علة الحاجة عندهم، إما الحدوث وحده، أو الإمكان مع الحدوث شرطا أو شطرا [٤٥].

أما الأول - دليل الحدوث - فإنه يقوم على:

أ- حدوث الجواهر [٤٦].

الجوهر: هو ما يقوم بنفسه، وينقسم إلى بسيط ومركب ولكل منهما أقسام هى:

٤٢- الشيخ / محمود أبو دقيقه - القول السديد فى علم التوحيد ص ١٩٤.

٤٣- الإمام الفخر الرازى الأربعين فى أصول الدين جـ ١ ص ١٠١ تحقيق د/ أحمد حجازى السقا الكليات الأزهرية.

٤٤- المصدر نفسه جـ ١ ص ١٠١.

٤٥- شرح المواقف جـ ٣ الموقف الخامس ص ٢.

٤٦- التعريفات ص ٧١.

١- البسيط :

أ- جوهر بسيط روحانى كالعقول والنفوس المجردة

ب- جوهر بسيط جسمانى كالعناصر المختلفة.

٢- المركب:

أ- مركب فى العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل.

ب- مركب منهما معا كالمولدات الثلاثة.

ب- حدوث الأعراض[47].

العرض مالا يقوم بنفسه بل يحتاج إلى ما يقوم به، كما يعرف بأنه: الموجود الذى يحتاج فى وجوده الى موضع ومحل يقوم به كاللون المحتاج فى وجوده إلى جسم يحله، ويقوم هو به، وهو على نوعين النوع الأول: قار الذات وهو الذى تجتمع اجزاؤه فى الوجود كالبياض والسواد.

النوع الثانى: غير قار الذات وهو الذى لا تجتمع اجزاؤه فى الوجود كالحركة والسكون فلا توجد الحركة إلا ويختفى السكون، كما إذا وجد السكون تلاشت الحركة ولذا فهو غير قار بل سريع الانتقال.

كما يقسم العرض إلى:

١- العرض العام.

٢- العرض اللازم.

٣- العرض المفارق

٤٧- التعريفات ص ١٢٩.

ولكل منها أحكامه التى يمكن الرجوع إليها فى مواطنها.

وقد فصلت كتب الكلام هذا الدليل، وركز على أن حدوث الجواهر قائم على حدوث الأعراض بمعنى أنه لا يمكن بدليل الحدوث اثبات أن الجواهر حادثة إلا إذا أثبتنا سلفا حدوث الأعراض ولذلك كان من متكلمى أهل السنة والجماعة من قرر أن دليل الامكان أقوى من دليل الحدوث فى مسألة اثبات وجود الله تعالى.

يقول الشيخ الفناري: «إنما اعتبر المتكلمون الحدوث بناء على أن دليل الصانع، وهو العالم حادث، أو على أن الصانع مختار عندهم فلا يستند إليه القديم ولم يرتض الشيخ الفنارى رأى المتكلمين من أن علة الحاجة، أما الحدوث وحده أو الإمكان مع الحدوث، وركز على أن علة الحاجة يناسبها الإمكان وحده، لأن طبيعة الممكن تقتضى ضرورة وجود مرجح لوجوده على عدمه والعكس، يقول الشيخ عن علة الحاجة.

«وعلتها عند قدماء المتكلمين هو الحدوث، أو الامكان مع الحدوث، وعند متأخريهم كالحكماء هو الامكان وهو الحق، لأن الأصل فى الحاجة إلى العلة هو الترجح بلا مرجع والممكن لما لم يقتض وجوده لذاته احتاج فى وجوده الى علة مرجحة ضرورة، وأن كان قديما كصفات البارى عند أهل السنة، وكالعقول عند الحكماء»[٤٨] والعقول العشرة نظرية فاسدة لم يقم دليل مقبول على صحتها[٤٩]

وقد هوجم دليل الحدوث ههنا، بأن فيه من وجوه الضعف مالا يجدى معه الدفاع، وأهم هذه الوجوه ما يلى:

٤٨- حاشية الفنارى - بشرح المواقف جـ ٣ ص ٢ الهامش الشيخ الجرجانى يراه دليل الامكان وحده بدليل قوله: ولا يذهب عليك أن ماذكره تطويل ورجوع بالآخرة إلى اعتبار الامكان وحده، والاستدلال به «شرح المواقف جـ ٣ ص ٤، ٥ وعليها حواش.

٤٩- راجع مشكلة الألوهية للدكتور محمد غلاب ص ٣٢.

أولا: أن دليل الحدوث فى الجواهر قائم على اثبات حدوث الأعراض أولا، وحدوث الأعراض قائم على تبدل الأحوال، وهو غير مسلم من هذه الناحية.

ثانيا: أن الأعراض لا يمكن فصلها عن الجواهر إلا فرضا، فما من جوهر يمكن تصوره بعيدا عن أعراضه اللازمة له فكيف يمكن الفصل بينهما حتى نثبت الحدوث للأعراض أولا، بينما يستحيل اثباتها بعيدا عن جواهرها وهوفرق قوى.

ثالثا: أن الجواهر ذوات، فكيف يمكن اثبات حدوث الذوات بناء على حدوث الأعراض رغم أن الجواهر أصول والأعراض فروع، ولا يثبت حكم للأصل لمجرد ثبوته للفرع نظرا لاختلاف طبيعة كل من الأصل والفرع، الجوهر والعرض.

من ثم كان دليل الإمكان فى اثبات وجود البارى جل علاه أقوى من دليل الحدوث، وأحرى به أن يصل بالمتكلم إلى غرضه فى اثبات أن الموجودات كلها ممكنة والممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا لمرجح، ولا شك أن هذا المرجح هو الله تعالى وهو الذى نحاول اثباته، بل هو المطلوب.

الثانى: دليل الامكان:

وهو يقوم على تقسيم الموجودات إلى جواهر وأعراض، والإمكان قائم على:

أ- امكان الجواهر.

ب- إمكان الأعراض.

يقول الشيخ الأصفهانى: «المبحث الثانى فى البرهان على وجود واجب الوجود، ويدل عليه وجهان، أحدهما باعتبار الحدوث والآخر باعتبار الامكان «الأول - الحدث - أنه لاشك فى وجود حادث، وكل حادث ممكن، لأنه لو لم يكن كل حادث ممكنا لم يكن معدوما تارة وموجودا أخرى واللازم ظاهر الفساد، فان كل حادث يكون موجودا بعد مالم يكن فيكون معدوما ثم صار موجودافبالضرورة يكون معدوما تارة

وموجودا أخرى.. فثبت أن كل حادث ممكن، وكل ممكن له سبب موجود بالضرورة.[٥٠]

اذن دليل الامكان هنا علته بينه فى أنها الحاجة إلى مرجع ليخرج المعدوم بها إلى الوجود، أو يذهب بها الموجود إلى العدم، وهذه العلة واضحة متى ذكرت الجهتان - الوجود، والعدم.

كما أن دليل الامكان يؤكد على ضرورة الامكان بالنسبة لكل المخلوقات، أما كيف فلأن كل ممكن محتاج إلى الغير، وكل محتاج إلى الغير ممكن، وكل ممكن له سبب، وهذا السبب أما الذات أو الصفات أو شئ آخر مباين للذات والصفات والضرورة العقلية توجب استبعادهما معا - كون السبب الذات أو الصفات - ليبقى أمر آخر هو المباين، وبه يثبت وجود الواجب لأنه مباين لكل الكائنات ومتفرد من كل ناحية.

ربما يقال أن دليل الامكان استخدمه الحكماء فما الفرق بينه وبين الامكان عند المتكلمين؟ والجواب أن امكان المتكلمين قائم على أن العالم حادث وكل حادث ممكن فلا يقوم على علة الاحتياج.

أما عند الفلاسفة فقائم عندهم على تقسيم الموجود إلى ممكن وواجب، يقول الشيخ الجرجانى «من الناس من اثبت حدوث العالم وامكانه، ثم استدل به على وجود الصانع سبحانه وتعالى، وهو الطريق الذى سلكه المتكلمون وبعض الحكماء»[٥١] وهو ما يمثل امكان المتكلمين ومن معهم.

ثم بين الامكان عند غيرهم فقال: «ومنهم من اعتبر حال الوجود، واستدل بالنظر فى الوجود، وأنه واجب أو ممكن على اثبات الواجب وهو الطريق الذى سلكه الشيخ أبو على فى كتابه الاشارات والمصنف أشار الى الطريقة الأولى بالوجه الأول،

٥٠- الإمام أبو الثناء شمس الدين بن محمود بن عبد الرحمن الأصفهانى - مطالع الأنظار على طوالع الأنوار، وبها حاشية الشريف الجرجانى ص ٢٢١، ٢٢٢ بتصرف.

٥١- حاشية الجرجانى على مطالع الأنظار ص ٢٢٢ الحاشية.

وأعني به امكان المتكلمين والثانى بالثانى[٥٢] ويقصد به إمكان الحكماء وإمكان الفلاسفة.

قال الشيخ المرعشى: «البرهان على وجود واجب الوجود وفيه مسالك كثيرة، والمشهور منها اثنان:

المسلك الأول للمتكلمين: أعلم أن العالم أما جوهر أو عرض، وقد يستدل على وجود الصانع بكل واحد منهما أما بإمكانه أو حدوثه بناء على أن علة الحاجة عند المتكلمين، أما الحدوث وحده، أو الإمكان مع الحدوث شرطا كان الحدوث أو شطرا فهذه وجوه أربعة:[٥٣]

وخالف الرازى فى كونها أربعة وجوه، ووصل بها إلى طرق ستة فقال: «الطريق إلى اثبات الصانع تعالى ليس إلا احتياج أجسام هذه الموجودات المحسوسة الى موجود آخر غير محسوس، ومنشأ تلك الحاجة على قول بعضهم هو الإمكان، وعلى قول آخرين هو الحدوث، وعلى قول ثالث هو مجموع الامكان والحدوث، ثم هذه الأمور الثلاثة أما أن تعتبر فى الذوات أو فى الصفات أو فى مجموعها أو بالعكس فالمجموع طرق ستة»[٥٤] وقد استوفى شرحها[٥٥].

والأشاعرة لهم من المجهود الفكرى فى مسألة وجود الله تعالى الكثير بل أن المسائل الكلامية استغرقت منهم المجهود الكبير وكان لهم فيها مجهود وافر، لا يتمكن الباحث من استيفائها فى مشارق الأرض ومغاربها على سبيل العد والحصر، بل أكثر من هذا، وهو أن الأشاعرة كانت لديهم النزعة التقويمية، فمتى انتقد عليهم

٥٢- المصدر نفسه هامش ص ٢٢٢.

٥٣- العلامة المرعشى - نشر الطوالع ص ٢١٩ مكتبة العلوم العصرية ط أولى ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

٥٤- الإمام الرازى الأربعين فى أصول الدين جـ ١ ص ١٠٣ تحقيق د/ أحمد حجازى السقا.

٥٥- المصدر نفسه ص ١٣١/١٠٣ ويمكن الرجوع إلى أسرار التنزيل وأنوار التأويل فهو من أهم كتب الرازى فى مسألة اثبات وجود الله من وجهة نظرى.

دليل سارعوا بدفع الانتقاد أو تقوية الدليل، وربما كان الانتقاد من داخل المدرسة الأشعرية نفسها حتى تصح لهم الأدلة.

من ذلك مافعله الجرجانى الأشعرى حين هاجم دليل الحدوث عندهم وبيّن أن دليل الإمكان أقوى حيث قال: «ولا يذهب عليك أن ما ذكروه تطويل ورجوع بالآخرة إلى اعتبار الإمكان وحده والاستدلال[٥٦] به وكذلك صنع الفنارى بنفس الدليل وصنع غيرهم بغيره»، ولعل فيما ذكر كفاية.

ب - الماتريديـــــة:

أحد جناحى أهل السنة والجماعة، إذ المعروف أنها تتكون من جناحين الأول هم الماتريدية أصحاب بلاد ما وراء النهر، وهم أصحاب الامام أبو منصور الماتريدى والثانى هم الأشاعرة، هم أصحاب الأشعرى، ولا شك أن الماتريدية فرقة إسلامية امتدت أصولها فى الماضى إلى الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان وتلاميذه من بعده، وكان لها دور هائل فى بلاد ما وراء النهر، وكان الإمام أبو منصور الماتريدى يمثل رأس الفرقة، وقد حاولوا الاستدلال على العقيدة الإيمانية وفى مسألة اثبات وجود الله تعالى كان لهم من الأدلة ما يلى:

١- الدليل الفطرى.

٢- الدليل الكونى القرآنى.

٣- دليل الحدوث للأعيان والأعراض.

٤- دليل الإمكان.

ولا شك أن الدليل الفطرى قاسم مشترك كما أنه يمثل مجهودا فكريا، له طبيعة خاصة كما أن الثانى يمثل جانبا من جوانب التأمل فى النقل، من ثم يبقى دليل الحدوث ممثلا للاتجاه الفكرى عند الماتريدية فى اثبات وجود الله تعالى

٥٦- شرح المواقف - الموقف الخامس ص ٥ تحقيق د/ أحمد الهدى

وكذلك دليل الامكان.

ويقول الشيخ: «أصل ما يعرف به الدين - إذ لابد أن يكون لهذا الخلق دين يلزمهم الاجتماع عليه، وأصل يلزمهم الفزع إليه. وجهان: أحدهما السمع والآخر العقل»[57] وبيَّن الشيخ أن السمع والعقل يتفرع عنهما كل من العيان - الحواس - والأخبار - النقل - والنظر، وجعلها كلها أدلة موصلة إلى العلم مطلقا ومنه العلم باثبات وجود الله تعالى إذ هو أصلها جميعا على أساس أن «أسباب العلم للخلق ثلاثة:

١- الحواس الخمسة،

٢- الخبر الصادق،

٣- العقل»[58].

يقول الشيخ: «فدل ذلك على لزوم النظر بما دفعه، مع مالابد من معرفة ما فى الخلق من الحكمة، إذ لا يجوز فعل مثله عبثا، وما فيه من الدلالة على من أنشأه، أو على كونه بنفسه، أو حدث أو قدم»[59].

دليل الحدوث

تحدث الشيخ عن الحدوث كدليل مبينا أنه ينقسم إلى:

١- حدوث الأعيان،

٢- حدوث الأعراض.

وأن الدليل على حدوث الأعيان يمكن التعرف عليه من خلال الأدلة السابقة،

٥٧- الإمام أبو منصور الماتريدى - كتاب التوحيد ص ٤ تحقيق د/ فتح الله خليف ط دار الجامعات الحرية.

٥٨- الإمام أبو المعين النسفى - كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص ١١٩ تحقيق جيب الله حسن أحمد - دار الطباعة المحمدية.

٥٩- الإمام أبو المنصور الماتريدى - كتاب التوحيد ص ١٠.

وهى الحواس والنقل، والنظر قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: الدليل على حدث الأعيان هو شهادة الوجوه الثلاثة التى ذكرناها من سبل العلم بالأشياء.[٦٠]

أما عن حدوث الأعراض فيقول: «معلوم أن تكون الحركة والسكون والاجتماع والتفرق غير الجسم، إذ قد يكون جسما متفرقا يجتمع، ومتحركا يسكن، فلو كان لنفسه يكون كذلك لم يكن ليحتمل مضادات الأحوال على بقاء الجسم بحاله، وعلى هذا يخرج الفناء والبقاء، إذ قد يوجد غير باق ولا فان فى أوقات، فيلزم أن يكون غيره، وكذلك من أراد بقاء الشئ أو فناءه يقصد إلى غير الوجه الذى يُقصد بالآخر، فإن قصد البقاء لم يقصد الفناء، وإن قصد الفناء لم يقصد البقاء، لأن الفناء غير البقاء. فثبت أنهما غيران يحلان»[٦١] .

وهكذا أثبت الشيخ وجود الله من خلال دليل الحدوث سواء للأعيان أو الأعراض ثم ينتهى إلى القول: «الدليل على أن للعالم محدثا أنه ثبت حدثه بما بيّنا، وبما أنه لا يوجد شئ منه فى الشاهد يجتمع بنفسه ويفرق ثبت أن ذلك كان بغيره»[٦٢] وهذا الغير هو محدِث العالم، وهو الله سبحانه وتعالى.

دليل الإمكـــــان:

ويبدو لي أن الماتريدية يرونه أقوى من الحدوث حيث يقوم على:

١- امكان الجواهر.

٢- حدوث الجواهر.

٣- إمكان الأعراض.

٤- حدوث الأعراض.

٦٠- المصدر السابق نفسه ص ١١.

٦١- المصدر السابق نفسه ص ١٦.

٦٢- المصدر السابق نفسه ص ١٧.

يقول الشيخ البياضى "علم كل من استدل أن العالم من السماوات وا...
وغيرهما ممكن لأنه مركب متكثر، وكل ممكن فله علة مؤثرة"[٦٣] وراح الشيخ يق...
من الآيات القرآنية ما يراه مؤديا لأدلته، سواء على طريقة الامام أو على ما قا...
البياضى مؤديا لتلك الأدلة.

اذن يمكن القول: بأن متكلمى أهل السنة والجماعة كان لهم دور بار...
مسألة اثبات وجود الله تعالى وصياغة الأدلة عليها، كما كان لهذه العقيدة الا...
أثر قوى على فكرهم حتى أنهم تناولوها باستفاضة فى المؤلفات التى خصت به...
فى حينه.

بل أن الإمام الجرجانى ذكر أن: «المتكلمين استدلوا بأحوال خصوص...
الآثار على وجود المؤثر فقالوا: أن الأجسام محدثة فكذا الأعراض، فلابد لها...
صانع، ولا يكون الصانع حادثا وإلا احتاج إلى مؤثر آخر فيلزم الدور والتسلس...
الانتهاء إلى قديم والأولان - الدور أو التسلسل- باطلان، والثالث هو المطلو...
ويعنى به الانتهاء إلى قديم وبالتالى كان للفكر الإسلامى الدور المميز فى ت...
مسألة اثبات وجود الله تعالى والأدلة عليها.

رابعا - الفلاسفـــــة:

كان من أثر الإيمان بالواحد الديان، وتقديم الأدلة على اثبات وجوده تعالى
الفكر الاسلامى أن تناول الفلاسفة المسألة بالبحث والدرس والاستدلال «ون...
نحصى هنا جميع البراهين التى استدل بها الفلاسفة على وجود الله، فانها ...
يشابه بعضها بعضا فى القواعد وأن اختلفت قليلا فى التفصيلات والفروع، و...

٦٣- الإمام البياضى - إشارات المرام من عبارات الإمام ص ٨٢.
٦٤- شرح المواقف - الموقف الخامس.

نكتفى منها بأشيعها وأجمعها وأقربها الى التواتر والقبول وهى»[٦٥] :

١- دليل الوجوب.

٢-دليل الامكان.

أما دليل الوجوب فقائم على أن الموجود أما أن يكون وجوده، لذاته وهو وجود الواجب، وإما وجوده من غير ذاته، وهو وجود الممكن، يقول ابن سيناء «كل موجود إذا التفت إليه من حيث ذاته، من غير التفات إلى غيره فإما أن يكون بحيث يجب له الوجود فى نفسه، أو لا يكون، فان وجب فهو الحق بذاته الواجب الوجود من ذاته وهو القيوم»[٦٦] وإن لم يجب له الوجود، وهو فى نفس الوقت موجود، يكون ممكنا لأنه لا يجب له الوجود. وليس ممتنعا من حيث أنه موجود، اذن الممكن لا يجب وجوده فيكون واجبا، ولا يمتنع وجوده فيكون مستحيلا، لما سبق من القول بأن الممكن ما تساوى وجوده مع عدمه. أما الواجب فهو واحد واجب الوجود وهو الله تعالى، اذن دليل الوجوب أثبت الفلاسفة به وجود الله على طريقتهم فيه.

وأما دليل الامكان فهو أكثر أدلة الفلاسفة ذيوعا، كما أن دليل الحدوث عند المتكلمين أكثر الأدلة تداولا بحيث يمكن القول بأن دليلى الوجوب والامكان يوجدان عند الفلاسفة عدا الكندى الذى يرى أن دليل الحدوث أقوى عنده من دليل الامكان ولهذا اعتمده، وربما يقال لماذا انسلخ الكندى عن الفلاسفة فى الاستدلال؟

والجواب أن الكندى كان معتزليا بل وكان «من قادة مذهب الاعتزال، وله فى خدمته وخدمة الدفاع عن العقيدة مواقف مشهورة»[٦٧]

٦٥- الاستاذ / عباس محمود العقاد - الله ص ٢٠٧ ط ٧ دار المعارف.

٦٦- الشيخ الرئيس ابن سينا - الاشارات والتنبيهات - القسم الثالث ص ١٩ تحقيق د/ سليمان دنيا - دار المعارف ط ٣ دخائر العرب.

٦٧- الدكتور / محمد البهى - الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص ٣٤٨ دار الكاتب العربى بالقاهره/ ١٩٦٧م ط ٤.

اذن يمكن القول بأن مسألة الألوهية كان لها تأثيرها على الفكر الاسلامى مـ
كافة نواحيه ومن ثم جاء الاستدلال عليها كأثر من آثارها بأوسع ما يكون، ولم تقف
المحاولات حتى اليوم ولن تقف مادامت محاولات استدلاليه على اثبات أمر غيبي
لأن أثره سيظل وله على النفوس قوة، وعلى الفكر هيمنة، وكل يتناوله حسـ
امكانياته المتاحة، وآية ذلك. أن فلاسفة العصور الوسطى والعصر الحديث كلّ جا
الاستدلال على اثبات هذه المسألة الغيبية، وسميت أدلتهم: «البراهين التقليدية
ويقسمونها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: البراهين الميتافيزيقية، أو المابعد الطبيعية، وذلك لأنهم يعتمدون فيه
على العقل وحده.

القسم الثانى: البراهين الطبيعية، وذلك لأنهم اعتمدوا فيها على التجربة الحسية أ
انتزعت من العالم الخارجى.

القسم الثالث: البراهين الأخلاقية. وذلك لأنها أدلة استنبطت من العالم الأخلاقى[٦٨].

على أن مسألة الاستدلال العقلى الخالص قد استوفى البحث فيها جانب
وبقيت مسألتا البراهين الطبيعية والأخلاقية حيث تجرى حولهما المناهج المتعدد
وتستخدم فيها الوسائل الكثيرة، وكلها بغرض اثبات الاستدلال على وجود الله جـ
علاه، وكان الفكر الاسلامى من أوسعها تناولا، وقد ذكرنا طرفا منها.

٦٨- الدكتور/ محمد غلاب - مشكلة الألوهية ص ٧١ بتصرف.



المبحث الثاني
الصفات الإلهية

الصفات الالهيـــــــــة :

الصفات الالهية غيب عنا، لأنها تسمو على أدراكنا الحسي، وليس في إمكاننا ادراكها إلا بالأثر الصادر عنها، ومع ذلك فقد أهتم الفكر الاسلامي بالحديث عنها، لأنها في النقل المنزل، ولأنه لا يعقل أن تكون ذات البارى جل علاه مجردة عن صفاتها، واذا كنا قد فرغنا من الحديث عن وجود الذات الالهية، ورأينا أنها غيب يمكن الاستدلال عليه ويجب الايمان به، وأن الذات الالهية غيب مطلق من حيث كنهها، وغيب يمكن الاستدلال التى سلف ذكر طرف منها عليه بطرق الاستدلال، من حيث معرفة وجودها، فكذلك الصفات الالهية نجد للعقل امكانية فى اثباتها جملة، بجانب ثبوتها بالدليل النقلى على وجه التفصيل.

وطالما أن الصفات لابد لها من موصوف، وقد تقرر أنها تتبعه، وعلمنا أن ذات البارى تعالى غيب فكذلك صفاته قطعا، من حيث ذكرها مفصلة، وبما يناسب الذات المقدسة مع نفى المماثلة من كافة الوجوه ولا شك أن النقل المنزل قد أسعف العقل السليم، حيث أتى له بذكر الصفات الالهية على وجه التفصيل، كما جاء بالأسماء الحسنى، التى يقول الشيخ الباجورى عنها.

«تسميته تعالى بلفظ الجلالة أو غيره من الأسماء، لا تستفاد إلا من الأنبياء عليهم وعلى رئيسهم الأعظم أفضل الصلاة وأتم التسليم»[٦٩] والعقل السوى يرى أن كل ما يتخيله الانسان من صفات الكمال لنفسه، فهى ضرورة فى الله أَوْلَى وأتم على ما يليق بذاته تعالى.

فمثلا جاء فى الذكر الحكيم والسنة المطهرة العديد من الآيات والأحاديث النبوية، التى تحدثت عن الصفات الالهية والأسماء الحسنى من ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

---

٦٩ الامام الباجورى حاشية تحقيق المقام على كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام ص ٣١ الطبعة الأخيرة الحلبى ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م.

(٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾[٧٠] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٧١] ، وغير ذلك من الآيات القرآنية التى تحدثت عن الصفات الالهية والأسماء الحسنى مما يطول ذكرها أو الحديث عنها فى هذا المقام.

كما جاء فى السنة النبوية المطهرة، فمن رواية الوليد بن مسلم عن شعيب.. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، وهى الله الرحمن، الرحيم ، الملك، القدوس»[٧٢] إلى آخر ما جاء فى الحديث الشريف.

اذن مسألة الصفات الالهية غيب من حيث حقيقتها، غيب من حيث عددها على وجه تفصيلى قد لا يهتدى العقل وحده إلى معرفتها جميعا، بل لابد - كما سبق - من الاهتداء بالنقل وهو النص الشرعى المعصوم، والوقوف بالعقل فى استدلالاته عند دلالات النقل ومفاهيمه فى المسألة، لأن هذا ليس من امكانيات العقل وحده، وماليس من امكانه لا يكلف به، أما لماذا؟ يقول الإمام الفخر الرازى:

«أعلم أن العمدة فى هذه المسألة أن الله سبحانه وتعالى غير متناه فى الذات والصفات والعقل متناه فى الذات والصفات والمتناهى - العقل - لاسبيل له إلى إدراك غير المتناهى، وهذه هى النكتة المستحسنة»[٧٣] .

٧٠- سورة الحشر الآيات ٢٢ - ٢٤.

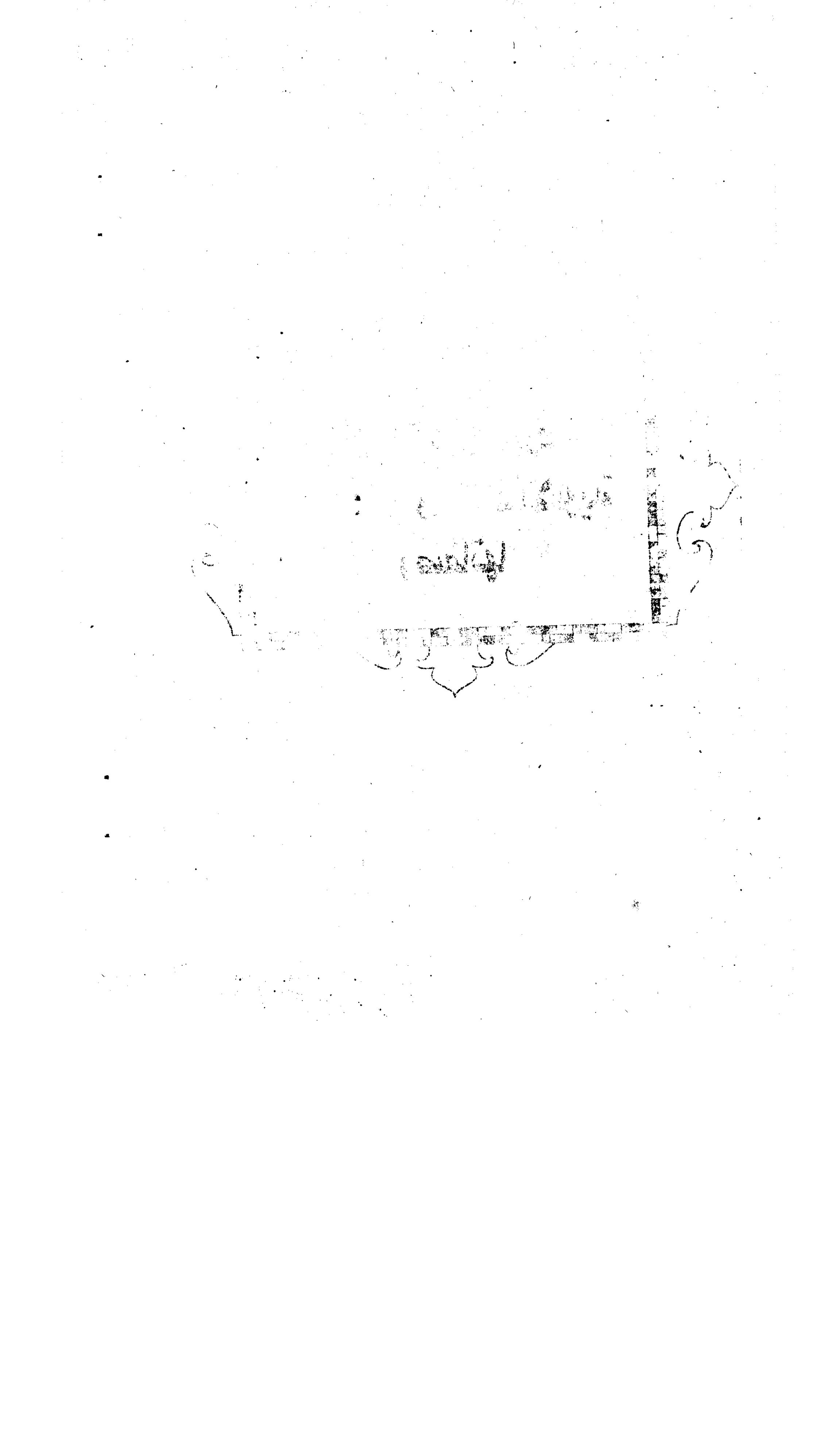
٧١- سورة الحديد الآية رقم ٣.

٧٢- صحيح البخارى جـ ٨. ص ١٠٩ سنن الترمذى جـ ١٣، ص ٢٤ وغيرها من كتب الحديث والكلام.

٧٣- الامام الفخر الرازى عجائب القرآن ص ١٤٦ تحقيق الاستاذ عبد القادر أحمد عطا - دار الكتب الاسلامية ط أولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٣م.

لا يقال إن هذا يخالف مذهب الفخر فى أن ثبات وجود الله طريقه العقل، لأنا نقول: أن مراد الفخر ههنا هو عدم امكانية التعرف على الذات والصفات بالعقل من حيث الكنة والحقيقة، وهذا لا خلاف عليه، وإن كان يمكنه التعرف على الذات والصفات الالهية من خلال الآثار الظاهرة والآيات الباهرة، ولذا جد العقل فى التعرف عليها من خلال تلك الآثار والمظاهر والآيات المنبثة فى الكون.


المبحث الثالث
العلاقة بين الذات الالهية
وصفاتها



فرغنا من عرضنا الاجمالى لمسألة وجود الذات الالهية وصفاتها، من حيث كونهما غيبا يجب الايمان به ويستدل عليه بالعقل الى جانب النقل، وتبين لنا وجود علاقة بين الذات الالهية وصفاتها، كما بان لنا أن المشتغلين بهذا النوع من الفكر الاسلامى يتناولون هذه العلاقة تحت عنوان «الذات والصفات» وهى من الغيب، ومع أنها غيب مطلق من حيث هى، فقد وجدنا العقل البشرى يجد فى البحث عنها، حتى إن النتائج التى توصلوا إليها تريك المشتغلين ببحثها يختلفون فيما بينهم وينقسمون أقساما متباعدة، نجملها فيما يلى:

الصفاتيـــــة:

وهو اصطلاح يطلق على مثبتى الصفات وهم يرون أن «لله تعالى صفات زائدة على ذاته، وأنها قديمة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى»[٧٤] ويمثل هذا الاتجاه كل من:

١- السلف الصالح،

٢- الأشاعرة.

٣- الماتريدية.

٤- المشبهة.

٥- الكرامية.

مع الاختلاف فى طريقة الاثبات وكيفيته على ما سيأتى، وإن انتقلت سمة الصفاتيه الى الأشعرية، كما يقول الشهرستانى الذى يقول أيضا:

«ولما كانت المشبهة والكرامية من مثبتى الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتية»[٧٥]، والشهرستانى أشعرى. ولذا نراه من أقرب الناس الى تفهم روح الأشاعرة

٧٤- الإمام البغدادى - الفرق بين الفرق ص ٢١٤.

٧٥- الامام الشهرستانى - الملل والنحل جـ ١ . ص ٩٣، تحقيق أ/ عبد العزيز الوكيل مؤسسة الحلبى.

والتعبير عنها، كما نراه يشرح مفهوم هذه الزيادة فيقول حاكيا عن الأشعرى: «البارى تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، مريد بارادة، متكلم بكلام، سميع بسمع... وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى.. لا يقال: هيَ هُوَ، ولا هيَ غَيره»[٧٦].

والماتريدية قد شاركوا الأشاعرة منهجهم فى الاثبات على النحو الذى نتناوله، لأن مسألة زيادة الصفات على الذات أمر مسَلَّم عند أهل السنة والجماعة - أشاعرة وماتريدية -كما سلفت الاشارة إليه، ولذا نراها فى مؤلفاتهم الكلامية وغيرها على السواء، ولنقبس من الأشاعرة ثم الماتريدية، وكذلك اتجاهات بعض المحدثين.

١- عند الأشاعــــرة:

أ- الإمام الأشعري:

يقول : نثبت لله السمع والبصر، ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج[٧٧] بل أنه يتولى الرد على مخالفيه يقول: «الباب السابع، الرد على الجهمية فى نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته»[٧٨] وأكد أن المعتزلة كان نفيهم لكافة الصفات التى هى محل النزاع فيقول «نفت المعتزلة صفات رب العالمين»[٧٩] ويبدو أنه قصد صفات المعانى على ماهو الحال فى النزاع، اذاً المعتزلة يثبتون لله الصفات وزيادتها عدا صفات المعانى، وتولى الرد عليها وكان له فى ذلك مجهود وافر فتح الطريق لمن أتى بعده فى الرد عليهم، وكشف ضعف شبههم.

٧٦- المصدر نفسه جـ ١ ص ٩٥.

٧٧- الامام الأشعري: الابانة عن أصول الديانة جـ ٢، ص ٣٢٢ تحقيق د/ فوقية حسين محمود، ط ٢، دار الكتاب ١٩٨٦م.

٧٨- المصدر نفسه جـ ٢، ص ١٤١.

٧٩- المصدر نفسه جـ ٢، ص ١٤١.

ب- الإمام الباقلانى:

يقول: «البارى عالم بعلم قديم متعلق بجميع المعلومات.. قادر بقدرة قديمة شاملة لجميع المقدرات، مريد بإرادة قديمة متعلقة بجميع الكائنات، سميع بسمع قديم متعلق بجميع المسموعات» وهكذا إلى آخر هذه الصفات ثم يقول: «صفات ذا - تعالى - قديمة أزلية، لم يزل موصوفا بها، ولا يزال كذلك، ولا تشبه صفا المخلوقين، ولا يقال أنها هو ولا غيره، ولا صفاته متغايرة فى أنفسها»[٨٠].. ثم يقد الدليل على أن الصفات زائدة على الذات، ويرد على النفاة فيقول: «الدليل على ا صفاته لا يقال لها هى هو : أنها لو كانت هى هو لكانت خالقة فاعلة مثله فلا يجو أن يقال : هى هو»[٨١] لما سبقت الاشارة إليه فى قول الباقلانى نفسه.

جـ - إمام الحرمين الجوينى:

يقرر أن «صانع العالم حى، عالم بجميع المعلومات، قادر على جميـ المقدورات، فإنا ببداهة العقول نعلم استحالة صدور الأفعال من العاجز عنها، وكذل يستيقين كل لبيب: أن الأفعال المحكمة المتقنة الواقعة على أحسن ترتيب ونظا واتقان وإحكام، لا تصدر إلا من عالم بها»[٨٢]، والشيخ يؤكد هذه المسألة عنده كما فعـ سلفه من الأشاعرة فيقول:

«القديم البارى سبحانه وتعالى: عالم بعلم قديم، قادر بقدرة قديمة، حي بحيـ قديمة» ودليلنا فى المسألة أن نقول: قد تقرر فى العقول أن ما يُعلم به المعلوم علـ

٨٠- الإمام الباقلانى - الأنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٣٨، بتصرف. تحقيق الشيخ الكوثرى ٢ الخانجى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥م.

٨١- المصدر نفسه ص ٣٨.

٨٢- إمام الحرمين لمع الأدلة ص ٨٢، ٨٣ تحقيق د/ فوقيه حسين محمود المؤسسة المصرية العامة للتأليف ط ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.

فلو علم البارى تعالى المعلومَ بنفسه - كما زعمت المعتزلة - لكان نفسه علما، إذ كل متعلق بمعلوم تعلق إحاطة به علم»[٨٣] والمسألة بهذا الشكل قائمة فى مؤلفات الأشاعرة الكلامية على الخصوص وغيرها على العموم.

د- الإمام الشهرستانى:

يقول: «وهذه الصفات زائدة على ذاته، وهى صفات أزلية، ومعان قائمة بذاته»[٨٤] وكل مؤلفات الأشاعرة على هذا النحو من القول باثبات الصفات وزيادتها على الذات الالهية، على ما تقرر وسلف ذكر بعضه كنماذج له، وهو الثابت فى مؤلفاتهم الكلامية.

هـ- الإمام الفخر الرازى:

لا يترك فرصة فى كتبه الكلامية أو غيرها إلا ويؤكد أن الذات غير الصفات، فيقول: «الذات والصفة حقيقتان مختلفتان لذاتيهما»[٨٥] ويقرر أن هذه الصفات غير الذات، وزائدة عليها كما هو الشأن عند الأشاعرة فيقول: «ثبت أن صفات الله تعالى أمور زائدة على ذاته، قائمة بذاته»[٨٦] تعالى، ومعنى كونها زائدة على ذاته تعالى، أنه عالم بصفة هى العلم، قادر بصفة هى القدرة، حى بصفة هى الحياة، الى آخر هذه الصفات التى تؤكد أنها زائدة على الذات عند الأشاعرة.

٨٣- المصدر نفسه ص ٨٧، ٨٨.

٨٤- الإمام الشهرستانى - نهاية الإقدام فى علم الكلام ص ١٨١.

٨٥- الإمام الفخر الرازى - الأربعين فى أصول الدين جـ ١ ص ٢٣٠ تحقيق د/ أحمد حجازى السقا طبعة الكليات الأزهرية.

٨٦- الإمام الفخر الرازى مفاتيح الغيب المجلد الثانى ص ٥٧٢ ط دار الغد العربى ١٩٩١ ط أولى.

٢- عند الماتريديــــــــة:

يقرر الماتريدية أن صفات الله زائدة على ذاته، وأنها ثابتة له جل علاه على الوجه الذى وصف به نفسه ولنقدم نماذج من هذه الجهة للاثبات والتى هى فى نفس الجناح الثانى لأهل السنة والجماعة - الجناحان هما الأشاعرة والماتريدية.

أ- الإمام أبو حنيفة:

حكى البياضى عن الإمام أبى حنيفة أنه قال «فى الوصية. لاهو، أى ليس الصفة عين الذات فى المفهوم ولا غيره، أى لا ينفك عنه فى الخارج»[٨٧] ومعنى لا ينفك عنها هو عدم الانفصال فى الخارج بين الذات والصفات. وقد فصل المحقق عدم الانفكاك فى الخارج فقال: «وأما فى الذهن فيقع الانفكاك، كما إذا تصورت الوهاب فلا يمكن تصور المنتقم، فيحصل الانفكاك ذهنا لا خارجا»[٨٨] وهو الرأى عند أهل السنة والجماعة - أشاعرة وماتريدية - من أن الصفات زائدة على الذات فى الذهن فقط.

ب - الإمام أبو المعين النسفى:

يقول الإمام النسفى مثبتا لزيادة الصفات على الذات «لما ثبت أنه حى، عالم، قادر، سميع، بصير، ثبت أن له حياة، وعلما وقدرة، وسمعا وبصرا»[٨٩] ولا تقف جهوده عند تصوير موقفه ولكنه يرد على المعتزلة ردودا مطولة، كما لعل الأشاعرة فيقول: «وكانت المعتزلة بإنكارهم هذه الصفات ملتحقين بالمتجاهلة السوفسطائية، إذ

٨٧- العلامة البيضاء - إشارات المرام من عبارات الإمام ص ١٢٨ تحقيق الشيخ يوسف عبد الرازق طبعة الحلبى.

٨٨- المصدر نفسه هامش ص ١١٨.

٨٩- الإمام أبو المعين النسفى - كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص ١٦٧ تحقيق جيب الله حسن أحمد - دار الطباعة المحمدية ، ط أولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

القول: بعالم لاعلم له، وقادر لا قدرة له كالقول بمتحرك لاحركة له، وساكن لا سكون له، وأسود لا سواد له.. والقول بأن الله تعالى لا علم له بنا، ولا قدرة له علينا شنيع محال»[٩٠] لا يمكن قبوله أبدا.

جـ - الإمام البياضى :

يقول «الصفات الثبوتية زائدة على الذات، وأن بعضها ليست عين البعض الآخر من الصفات واختاره عامة أهل السنة»[٩١] وقصد بعامة أهل السنة الأشاعرة والماتريدية وراح يفصل شبهات النافين ثم يردها من كافة الوجوه.

من هنا بان لنا أن المثبتين للصفات على هذا المنهج هم جمهور الأشاعرة، والماتريدية على مامر ذكره غير أنى سأذكر نموذجين لبعض أهل الحديث فى إثبات زيادة الصفات على الذات حتى لا يقال أن أهل الحديث يرفضون ما ذهب إليه الأشاعرة والماتريدية كما لا يقال : أن أهل الحديث ليسوا متكلمين.

٢- بعض أهل الحديث:

أ- الإمام البيهقى:

مما ألف رحمه الله كتاب الاعتقاد[٩٢] وخص أحد أبوابه بعنوان «آيات وأخبار وردت فى صفات زائدات على الذات قائمة به»[٩٣] تعالى وذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للتدليل على زيادة الصفات على الذات عن طريق النقل حيث قال

٩٠- المصدر السابق ص ١٦٨.

٩١- الإمام البياضى - إشارات المرام من عبارات الإمام ص ١١٩.

٩٢- الإمام البيهقى - الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٩٣- المصدر نفسه ص ٣٠ - ٣٤ ط السلام العالمية ودار الكتب العلمية ص ٣٦ - ٤٠.

«فى الحديث الصحيح اثبات صفة العلم، وصفة القدرة»[٩٤] والشيخ تحدث بالكثير من النصوص - قرآنا وسنة - رآها تؤيد ماذهب إليه، بل أشار إلى كتابه الأسماء والصفات وأحال عليه.

ب- الإمام البغوى:

يقول: «لا يعتقد فى صفات الله - عز وجل - أنها هو، ولا غيره بل هى صفات له أزلية لم يزل جل ذكره، ولا يزال موصوفا بما وصف به نفسه، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته، هو الأول والآخر. والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم»[٩٥].

وقد قرر وجوبا على العبد أن يعتقد أن الله عز وجل،عظيم له عظمة، كبير له كبرياء، عزيز له عزة، حى له حياة، باق له بقاء، عالم له علم متكلم له كلام، قوى له قوة، قادر له قدرة، سميع له سمع، بصير له بصر[٩٦] إلى غير ذلك من الصفات الإلهية إذن من أهل الحديث مَن يقرر زيادة الصفات على ذاته تعالى ويرى طريقه النقل.

جـ - الشيخ نور الدين الصابونى:

وقف فى وجه النفاة وأكد «أن صفاته - تعالى - ليست عين الذات، كما زعمت المعتزلة، وليست غير الذات، كما ذهب اليه الكرامية، بل نقول: كل صفة من صفات الله تعالى، لا هى عين الذات، ولا غير الذات»[٩٧] من هنا فقد تقرر وجود قوة فى أدلة المثبتين، تجعل جهة الاثبات عندهم فيها من الدقة ما يعضدهم، ويجعل رأيهم أكثر قوة من آراء النفاة، لذلك رأيناهم - المثبتين - يقسمون الصفات الالهية إلى نوعين:

٩٤- المصدر السابق ص ٣٨.

٩٥- الامام البغوى ÷ شرح السنة جـ ١ ص ١٧٣ تحقيق الاستاذ / السيد أحمد صقر، والدكتور محمد الأحمدى أبو النور ط ١ دار الكتب ١٣٩٦هـ.

٩٦- المصدر نفسه جـ ١ ص ١٧١.

٩٧- الشيخ/ نور الدين الصابونى - البداية من الكفاية فى أصول الدين تحقيق فتح الله خليف ص ٤٩، ٥٠.

١- النوع الأول: صفات الذات.

٢- النوع الثاني: صفات الفعل.

يقول الإمام الباقلاني في الفرق بينهما: «إن صفات ذاته، هي التي لم تزل، ولا يزال موصوفا بها، وإن صفات أفعاله هي التي سبقها، وكان تعالى موجودا في الأزل قبلها»[٩٨] ويقول الشريف الجرجاني عن هذا الفرق.

«أعلم أن الصفات على ضربين، صفات الذات، وصفات الأفعال، والفرق بينهما أن كل ما يوصف به الله تعالى ولا يجوز أن يوصف بضده، فهو من صفات ذاته، نحو الوجود، والقدم، والقدرة، والعلم، والحياة، وكل ما يجوز أن يوصف به تعالى وبضده فهو من صفات الأفعال، نحو الرحمة والشفاعة والغضب»[٩٩] وإذا كان هذا الذي مر هو رأي مثبتي الصفات فما الفرق بينهما؟

لا شك في وجود تفرقة بينهما قام بكشف بعضها المحدث الإمام البيهقي وبشكل فيه الكثير من التفصيل فمثلا.

يقول: باب بيان صفة الذات وصفة الفعل «ثم يصل إلى القول: «لله عز اسمه، أسماء وصفات، وأسماؤه وصفاته وهي على قسمين»:

أحدهما: صفات ذات.

والآخر: صفات فعل.

فصفات ذاته ما يستحقه فيما لم يزل ولا يزال، وهو على قسمين: أحدهما عقلي، والآخر سمعي، والعقلي طريق اثباته أدلة العقول مع ورود السمع به.. والسمعي ماكان طريق اثباته الكتاب والسنة فقط، كالوجه واليدين والعين[١٠٠].

«وأما صفات فعله فهي تسميات مشتقة من أفعاله، ورد السمع بها مستحقة

٩٨- الإمام الباقلاني - الإنصاف ص ٢٦.

٩٩- العلامة السيد الشريف حاشيته على مطالع الأنظار ص ٩.

١٠٠- الامام البيهقي: الاعتقاد ص ٣١ بتصرف.

له فيما لا يزال دون الأل، لأن الأفعال التى اشتقت منها لم تكن فى الأزل»[١٠١] ولست هنا أجد ما أقول إلا أن ما رآه الأشاعرة محل اتفاق بين المثبتين، وتدل له ظواهر الشرع وصحيح العقل.

يقول الدكتور حسن محرم: وإذا كان الأشاعرة قد ضعفت أدلتهم على اثبات زيادة الصفات على الذات فإننا لا نعدم هنا أن نقول لصالح الأشاعرة: إن عد الدليل لا يستلزم عدم المدلول فى نفس الأمر، وبخاصة أن الدليل النقلى شاهد لهم ومعارض لمذهب الخصم وأدلته»[١٠٢]

فعلا نجح الصفاتيه – من السلف وأهل السنة والجماعة – فى ابراز المسأل على الوجه الأمثل ومعهم بعض أهل الحديث، وأكدوا زيادة الصفات على الذات، وهو اختيارهم، وعليه استدلالهم وإبطال شبهات خصومهم، واتضح أن الصفاتيه لفظ يخص الأشاعرة – باعتباره وصفا انتقل اليهم كما حكاه الشهرستانى – إلا أنه من الأولى فيما اختار اطلاق وصف المثبتين لزيادة الصفات على ما يعم المثبتين على النح الذى سلف، فى مقابلة النفاة للصفات كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة ومن لف لفهم ونهج منهجهم.

ب- النافون زيادة الصفات على الذات:

يمثل هؤلاء الجهمية، وجمهور المعتزلة والفلاسفة والشيعة، ومن سار خلفهم يقول الإمام الأشعرى: «الباب السابع الرد على الجهمية فى نفيهم علم الله تعالى وقدرته، وجميع صفاته[١٠٣]» ثم قال: «نفت المعتزلة صفات رب العالمين»[١٠٤] وقا

١٠١- المصدر نفسه ص ٣١ بتصرف.

١٠٢- الدكتور/ حسن محرم الحوينى- قضية الصفات الالهية ص ١٩٨ ط ١ دار الطباعة المحمدية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

١٠٣- الإمام الأشعرى – الإبانة عن أصول الديانة جـ ٢ ص ١٤١ تحقيق د/ فوقية حسين محمود.

١٠٤- المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٥٨.

الأشعرى - رحمه الله - بالرد عليها جميعا من خلال ما نقله عنهم، ورد عليهم فيه.

وقال الإمام الشهرستانى: المعتزلة «نفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا: هو عالم بذاته قادر بذاته، حى بذاته لا بعلم وقدرة وحياة - باعتبارها - هى صفات قديمة، ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص الوصف لمشاركته فى الالهية»[١٠٥] بل جوز المعتزلة قيام صفة الكلام النفسى به تعالى بينما اللفظى قائم بغيره[١٠٦].

وكذلك الحال مع الجهمية قال المقريزى: ظهر «مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به، فانه نفى أن يكون لله صفة زائدة على ذاته، لأن هذه الصفة يوصف بها المخلوقون فلا يوصف بها الخالق»[١٠٧] حتى لا تقع المشاركة وأكد الشهرستانى أن جهما «وافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية»[١٠٨] اذن المعتزلة والجهمية نفاة صفات.

لكن العلامة المرعشى أكد انضمام الشيعة والفلاسفة اليهما فيقول: «ذهبت الفلاسفة والمعتزلة والشيعة الى نفى زيادة الصفات القديمة الزائدة على الذات، فقالو: هو عالم بالذات، قادر بالذات، وكذا سائر الصفات»[١٠٩] واذا كان ما مر هو من جملة أقوال المثبتين كشهادة فى وجه الخصوم فما هى أقوال النفاة أنفسهم؟ الجواب:

قال القاضى عبد الجبار ما يستحقه من الصفات فهو الصفة التى بها يخالف مخالفه، ويوافق موافقه، لو كان له موافق تعالى عن ذلك، وكونه قادرا، عالما، حيا، سميعا، بصيرا، مدركا للمدركات، موجودا، مريدا، كارها، هذا عند أبى هاشم.

١٠٥- الامام الشهرستانى الملل والنحل جـ ١ ص ٤٤، ٤٥ تحقيق الاستاذ / عبد العزيز الوكيل.

١٠٦- نشر الطوالع ص ٢٨٥.

١٠٧- المقريزى - الخطط جـ ٣ ص ٣٠٣.

١٠٨- الملل والنحل جـ ١ ص ٨٦.

١٠٩- العلامة المرعشى: الشهير بسجاقلى زادة - نشر الطوالع ص ٢٤٠ ط أولى مكتبة العلوم العصرية ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤.

وأما أبو على فانه لا يثبت تلك الصفة الذاتية... ولا خلاف فى هذا بين الشيخين إلا فى هذه الصفات الأربع - كونه قادرا، عالما، حيا، موجودا - فعند أبى على أنه يستحقها القديم تعالى لذاته، وعند أبى هاشم يستحقها لما هو عليه فى ذاته، وإما ما يجب له فى كل حال فهو تلك الصفة الذاتيه، وهذه الصفات الأربع»[١١٠] التى يستحقها لذاته عند أبى على، ويستحقها لما هو عليه فى ذاته عند أبى هاشم وبالتالى فهم قد نفوا زيادة الصفات على الذات.

أما لماذا استحقاق هذه الصفات؟ يقول القاضى عبد الجبار: «الأصل فى ذلك أن هذه مسألة خلاف بين أهل القبلة، فعند شيخنا أبى على أنه تعالى يستحق هذه الصفات الأربع التى هى كونه قادرا عالما حيا موجودا لذاته، وعند شيخنا أبى هاشم يستحقها لما هو عليه فى ذاته»[١١١] والناظر فى تأليف المعتزلة الكلامية يراها تحاول نفى زيادة الصفات على الذات بكل طريق ممكن، ويبدو أن غرضهم من ذلك كان تحقيق أمرين:

الأول: المحافظة على مبدأ التوحيد - من وجهة نظرهم.

ذلك أن مسألة نفى زيادة الصفات عندهم أصل فى عقيدة التوحيد[١١٢]، أما لماذا؟ فلأنهم يرون أن القول بوجود صفة قديمة قائمة بذاته تعالى زائدة على ذاته يؤدى إلى القول بوجود الهين قد يمين، وهو كفر، فاذا كان الأمر كذلك، فان «من أثبت معنى صفة قديمة، فقد أثبت الهين»[١١٣] وهى من مقولات واصل على ما ذكره الشهرستانى.

١١٠- القاضى عبد الجبار شرح الأصول الخمسة ص ١٢٩ تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان مكتبة وهبه ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١١١- المصدر نفسه ص ١٨٢.

١١٢- القاضى عبد الجبار - المغنى جـ ٤ ص ٢٤١، وشرح الأصول الخمسة ص ١٢٨.

١١٣- الشهرستانى - الملل والنحل جـ ١ ص ٤٦.

كما قرر القاضى عبد الجبار أن «القديم لو استحق هذه الصفات لمعان قديمة، لوجب أن تكون مثلا لله تعالى» وهذا كله يؤدى إلى بطلان عقيدة التوحيد»[١١٤].

وقد صور الامام التفتازاني هذا الفهم عن المعتزلة بقوله: «تمسكت المعتزلة بأن اثبات الصفات ابطال للتوحيد، لما أنها موجودات قديمة مغايرة لذات الله تعالى، فيلزم قيام غير الله تعالى، وتعدد القدماء»[١١٥] هذا عن رفضهم للصفات محافظة على مبدأ التوحيد وهو اتجاه جدلى، ونتائج غير مقبولة.

ولم تسلم لهم هذه الشبهات بل أنهم ألزموا القول باثبات القدماء، قال الامام البياضى: حاكيا عن الامام الرازى: «المعتزلة وأن بالغوا فى إنكار اثبات القدماء لكنهم قالوا به فى المعنى لأنهم قالوا: الأحوال الخمسة المذكورة ثابته فى الأزل مع الذات.

والثابت فى الأزل على هذا القول أمور قديمة، ولا معنى للقديم إلا ذلك، أى لا نعنى بالوجود، إلا ماعنوا بالثبوت، فلا فرق فى المعنى بين قولنا «لا أول لوجوده، ولا أول لثبوته حتى لو نوقش فى اللفظ غيرنا الوجود إلى الثبوت»[١١٦].

على أن هذه الفكرة عندهم لم تسلم من النقد العنيف والالزام المتكرر اللذين قوبلت بهما من أهل الاثبات، وعلى جهات مختلفة والحق أن ردود أهل الاثبات أقوى بكثير من شبهات النفاة على مدى التاريخ الفكرى للمسألة.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطى: «أنكر هذه المعانى السبعة المعتزلة، وأثبتوا أحكامها فقالوا: هو قادر بذاته، سميع بذاته، عليم بذاته، حى بذاته، ولم يثبتوا قدرة ولا علما ولا حياة، ولا سمعا، ولا بصرا فرارا منهم من تعدد القديم، وهو مذهب كل العقلاء يعرفون ضلاله وتناقضه، وأنه إذا لم يقم بالذات علم استحال أن

١١٤- القاضى عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة ص ٢٠٠.

١١٥- الامام سعد الدين التفتازانى - شرح العقائد النسفيه ص ٧٠ ط الحلبى.

١١٦- العلاة البياض - اشارات المرام ص ١٢١.

نقول هي عالمة بلا علم وهو تناقض واضح بأوائل العقول[117] إذ كيف ندعى أن ذاتا موجودة، توصف بالقدره، ولا تكون قادرة، وتوصف بالعلم ولا تكون عالمه، وتوصف بالسمع ولا تكون سامعه، إن هذا القول غير مقبول، ودعوى الخوف من تعدد القدماء إنما هي مجرد ظنون وأوهام قامت على الجدل، فالذى ننفيه هو تعدد الذوات وهو الذى يقر به غير المسلمين، وهو الكفر بعينه، لا تعدد الصفات وهو أمر ثابت وعليه إجماع أهل الحديث وأهل السنة والجماعة..

الأمر الثاني: المحافظة على مبدأ التنزيه:

والتنزيه عند المعتزلة جعلهم يرفضون زيادة الصفات على الذات، لأنهم زعموا أنها تؤدى إلى القول بالتجسيم. أما لماذا؟ فلأنهم تصوروا أن القول بزيادة الصفات على الذات الالهية يفيد وجود مركب من الصفات والذات معا، والتركيب يؤدى إلى الاحتياج، والله منزه عن الاحتياج وغيره، من ثم فقد لزم نفى زيادة الصفات.

وضرب القاضى عبد الجبار لذلك مثالا بصفة القدرة فقال: «ولا يصح الفعل بها إلا بعد استعمال محلها فى الفعل، أو فى سببه، ضربا من الاستعمال، فيجب أن يكون الله تعالى جسما محلا للأعراض»[118] والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك وهذه مغالطة لأنه لا علاقة بين المقدمة والنتيجة.

وقد رد مخالفوهم عليهم ردودا مطولة والزموهم بأن مبدأ التنزيه ثابت لله، والقول بلزوم الاحتياج هنا مدفوع لأن «الموجب لتلك التعلقات هو نفس الذات وعلى هذا التقدير لا يلزم تحقق الحاجة»[119] التى قلتم بها وبالتالى فزعمهم بأن الله لو كان

١١٧- العلامة الشيخ - محمد الأمين الشنقيطى - الأسماء والصفات نقلا وعقلا ص ٩ تحقيق شريف ابن محمد فؤاد هزاع مكتبة التوعية الاسلامية لإحياء التراث الاسلامى الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١١٨- القاضى عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة ص ١٦٢.

١١٩- الامام الفخر الرازى - الأربعين فى أصول الدين جـ ١ ص ٢٨، تحقيق د/ أحمد حجازى السقا الكليات الأزهرية.

عالما بالعلم لاحتاج فى معرفة الأشياء لتلك الصفة - العلم - قول غير صواب، ودفعه ميسور .

أما كيف فلأن الاحتياج يفهم ويلزم متى افتقر فى حصول المتعلقات الى شئ آخر، وهذا مالم يقل به الصفاتيه، إنما يقولون أن الموجب لها هو نفس الذات لاشئ غيرها ولو كان هناك غير هو الموجب لوجدت شبهات أكثر، ولكان إبطالها أمرا صعبا، أجل تعددت شبهات النفاة حتى بلغت ستا، ولكن ردود المثبتين أتت عليها جميعا وأبطلتها.

وقد رفض أهل الاثبات كل شبهات النفاة وأكدوا أن التنزيه يكون فى الكمال، إذ ليس من المعقول أن يكون المخلوق متمتعا بالعديد من صفات الكمال، ثم لا تنسب إلى الخالق أعلى كمالاتها وهى صفاته جل علاه.

من ثم فقد أكد أهل الاثبات أن لله صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها وكما دلت الأفعال على« كونه عالما قادرا مريدا، دلت على العلم والقدرة والإرادة، لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا، وأيضا لا معنى للعالِم حقيقة إلا أنه ذو علم، ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة.

فيحصل بالعلم الأحكام والاتقان، ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث، ويحصل بالارادة التخصيص بوقت دون وقت، وقدر دون قدر، وشكل دون شكل، وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حيا بحياة»[١٢] إلى آخر تلك الصفات.

من ثم فان المعتزلة والفلاسفة والجهمية ومن معهم يرون أن مسألة زيادة الصفات على الذات الالهية لا أصل لها على الجهة الشرعية، بل الأصل عدم زيادتها، وعليه تقوم عقيدة التوحيد عندهم، مع اثبات التنزيهات له تعالى.

١٢- الشهرستانى - الملل والنحل جـ ١ ص ٩٤.

غير إنى وإن كنت أميل إلى أن الاثبات أقوى فما ذلك للحجج الكلامية فقط، وإنما لظواهر النقل المنزل أيضا على النحو الذى فهمه أهل الاثبات.

يقول الشيخ صالح موسى شرف: تحت عنوان المذهب فى الصفات:

«اختلف المتكلمون والفلاسفة فى هذه الصفات على أربعة أقوال:

الأول: مذهب أهل السنة[١٢١]، من أنها صفات قديمة موجودة قائمة بذاته تعالى، واتفق هذا المذهب على أنها ليست عين الذات، وان اختلفوا هل هى لا غير أيضا، أو هى غير الذات مطلقا.

الثانى: مذهب عامة الفلاسفة وكثير من المعتزلة، من أنها عين الذات.

الثالث: مذهب فريق من المتكلمين، من أنها تعلق مخصوص به يصير العالِم عالما، والقادر قادرا، وقد ذكر العلامة عبد الحكيم أن هذا مذهب جمهور المتكلمين، ولعله يريد المتكلمين من المعتزلة فهم يطلق عليهم لفظ المتكلمين من باب التوسع فى الاستخدام.

الرابع: مذهب الكرامية، من أنها صفات موجودة حادثة قائمة بذاته تعالى»[١٢٢].

وبعد أن عرضنا رأى المثبتين والنافين وبينا أن أدلة المثبتين أولى بالقبول لتظاهر النصوص الدينية معها، فاننا لا نعدم القول بالحكم الشرعى فى المسألة، وهل هى من أصول الدين حتى يقع بها الإيمان أو الكفر؟ أم لا ؟ وهو ما سنبحث عنه.

القـــــول فى المسألة :

أ- أنها خلافيـــــة: يرى فريق من العلماء أنها ليست من أصول الدين اثباتا[١٢٣]

١٢١- يقصد الأشاعرة الماتريدية.

١٢٢- الشيخ / صالح موسى شرف - مذكرات التوحيد ص ٤، ط ٣، مطبعة شبرا ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

١٢٣- كالحال مع ما مر من أهل الاثبات السلف الصالح وأهل السنة والجماعة ومن معهم.

أو نفيا[١٢٤]، لأن أصول الإيمان قد جاءت فى النقل المعصوم وليس فيه ما ينص على أنها من أصول الدين، وحديث جبريل المشهور «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١٢٥].

بل أن النافين والمثبتين قد تنازعوا شبهاً ، وتناقلوا إلزامات، ومن ثم وقع التنازع، بيد أن أصول الدين محل اتفاق بين المؤمنين بالله رب العالمين، ولذا فقد بان لنا أن موقف كل منهما ليس على صواب فى اعتباره من أعظم أصول الدين اثباتا أو نفيا وكل قول يؤخذ منه ويرد عليه إلا قول المعصوم صلى الله عليه وسلم.

يقول الامام العضد: «أعلم أن مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها، ليست من الأصول التى يتعلق بها تكفير أحد الطرفين «هذه وجهة نظره، قد أيدها بقوله»: سمعت عن بعض الأصفياء أنه قال: عندي أن مسألة زيادة الصفات على الذات، وعدم زيادتها وأمثالها، مما لا يدرك إلا بالكشف، ومن أسنده إلى غير الكشف، فإنما يترائى له، ماكان غالبا على اعتقاده بحسب النظر الفكرى، ولا أرى بأسا فى اعتقاد أحد طرفى النفى والاثبات فى هذه المسألة[١٢٦].

وهذا الحكم هو الشأن فى كل مسألة خلاقية، يرجع النظر فيها إلى امكانيات صاحبها واعتقاده وخلافية المسألة جاءت من حيث أن أدلة كل فريق ظنية، والمعروف أن الأدلة متى كانت ظنية فإن الحكم فيها يكون من قبيل المباح، ولا يلزم صاحب رأى غيره، بل عليه أن يلتزم وحده، غير أن الإمام الباجورى رحمه الله، قد صنع مثل الرأى الذى مال إليه الإمام العضد.

حيث يقول: «يكفى المكلف أن يعرف أن الله موجود، ولا يجب عليه معرفة أن

---

١٢٤ - وهم المعتزلة والفلاسفة والشيعة على ما مر ذكره.

١٢٥ - صحيح مسلم باب أركان الإيمان.

١٢٦ - الإمام العضد - العقائد العضدية بشرح الدوانى ص ٣٣٣.

وجوده تعالى عين ذاته، أو غير ذاته، لأن ذلك من غوامض علم الكلام»[١٢٧] التى لا تقف الأدلة فيها موقف القطع واليقين وإنما موقف الترجيح ويقاس عليها الأمر فى مسألة الصفات من كونها عين الذات أو غير الذات، اذن الشيخ الباجورى وافق الإمام العضد وكلاهما أشعرى - فى أن المسألة ليست من الأصول التى يجب الاعتقاد فيها بالاثبات أو النفى.

ويقول الاستاذ الامام محمد عبده: «كون الصفات زائدة على الذات، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معانى الكتب السماوية، وكون البصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات ونحو ذلك من الشئون التى اختلف عليها النظار، وتفرقت فيها المذاهب، مما لا يجوز الخوض فيه، إذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل إليه»[١٢٨] وفى تقديرى أن صعوبتها قائمة من ناحية أنها من الأمور الغيبية التى لا يعلمها إلا الله جل علاه، وكونها من غوامض علم الكلام دليل على ما ذهبنا إليه، وكان الأولى التوقف فى الحكم، أو عدم بحث المسألة.

ويقول الدكتور/ بركات دويدار: «الحق أنه ليس هناك رأى قاطع فى الموضوع - زيادة الصفات أو عدمها - إذ لانص من معصوم، كما أنه لا يوجد دليل عقلى قاطع»[١٢٩] اذن فصل الذات عن الصفات يمثل مصطلحا فنيا إن صح استعماله فى العوالم المخلوقة، فلا يتحتم قبوله والقول به على ذات الخالق جل وعلا وسائر صفاته بحال من الأحوال.

على أنى أكرر القول: بأن هذه المسألة ماكان يصح فيها هذا الاختلاف، حتى يزعم أحد أنها من أعظم أصول الدين[١٣٠] فعلى جهة الاثبات التمسك باثباتها وعلى

١٢٧- الامام الباجورى - حاشية الباجورى ص ٣٢.

١٢٨- الاستاذ الامام - محمد عبده رسالة التوحيد ص ٦٢، ط ٤، دار المعارف تحقيق محمود أبو ريه.

١٢٩- الدكتور/ بركات دويدار - الوحدانية ص ٢٥١، الهامش مكتبة النهضة العربية.

١٣٠- إمام الحرمين - الشامل جـ ١ ص ٦٢٥.

جهة النفى التمسك بنفيها لأن اثبات الصفات ابطال التوحيد[١٣١] كما ادعى أهل النفى، ولا يكفى القول بسلامة النوايا وإنما التمس العذر فى المسألة لكونها أمرا لا حيلة للمرء أمامه إلا التسليم بأنه أمر غيبى لامكان للعقل فى الوصول إلى حقيقته ومن حاول فما هو الا سباح فى محيط لا يبلغ مداه، ولا يتبين من منتهاه ولا عمقه من أعلاه.

ب- مثبتها ليس هو المؤمن ونافيها الكافر ولا العكس بل الكل مؤمن:

حاول كل من الطرفين اتهام الآخر بما يخرجه عن ملة المسلمين حيث اتهم النفاة المثبتين بأنهم مشبهة[١٣٢] بينما اتهم المثبون النفاة بأنهم معطلة»[١٣٣] والتعطيل كفر بواح من وجهة نظرهم يجب أن يبتعد عنه المسلم، وأن يبتعد عن أسبابه المسلم، وهذه الأحكام فيها من القسوة مالا يمكن قبوله من طائفة المسلمين رغم أن المسألة غيبية والخلاف فيها قائم، وربما كان غرض كل منهما نبيلا فى ذاته، وأن أخطأة طريق الوصول إليه، ومحل التنازع واحد، ولغة الحوار ليست واحدة، وإن كانت لهجة الرد عند الأشاعرة فيها من الهدوء ما يجعلها تفوز عند التلاقى متى بعدت المسألة عن الرمى بالكفر من كلا الطرفين.

وأرى الخصومة فى هذه المسألة غير مقبولة، فضلا عن اصدار أحكام من أدلة مجتزأة بعيد أمرها عن النقل المعصوم وإنما هى وجهات نظر قد تسلم لأصحابها أو يعز على خصومهم قبولها وصاحب الرأى يلتزم لا له أن يلزم غيره.

وقد سبق القول بأن مسألة زيادة الصفات، وعدم زيادتها، ليس من الأصول التى

١٣١- القاضى عبد الجبار شرح الأصول الخمسة ص١٢٨ والمغنى جـ ٤، ص ٢٤١ وقد ذكر أن المثبتين إما مشبهة وإما مجسمة، وهذا تحكم منه، لا يليق به.

١٣٢- القاضى عبد الجبار المغنى جـ ٤، ص ٢٤١ اتهم فيه المثبتين بأنهم «إما مشبهة أو مجسمة» مع أن هذا تحكم لا يليق.

١٣٣- التبصير فى الدين ص ٣٧، والفرق بين الفرق ص ٢١٤.

يتعلق بها تكفير أحد الطرفين»[١٣٤] اذن هذه المسألة ما كان يصح أن يقف أحد الطرفين من الآخر - وكلاهما مؤمن - موقف المؤمن من الكافر، لأنها ليست من الأمور التي يتعلق بها الإيمان أو الكفر.

يقول الإمام الفخر: «الكفر عبارة عن انكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول به»[١٣٥].

وعبارة الرازى فيها من الدقة بجانب استخدام لفظ ضرورة مافيها، أما لماذا فلأن هناك ما يعلم بالنظر وللنظار فيه رأى، وبالتالى فان انكار ما علم من الدين بالضرورة هو محل الإيمان والكفر، وليست مسألة زيادة الصفات أو عدمها من هذا القبيل.

يقول الإمام الفخر «فعلى هذا لا نكفر أحدا من أهل القبلة، لأن كونهم منكرين لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم غير معلوم ضرورة بل نظرا[١٣٦] والنظر محل اجتهاد العلماء ولكل وجهة، ولا يعنى قبول رأى تكفير غيره.

ويقرر أحد الباحثين أن «مواطن الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة ليست من أصول الدين التى يكفر المرء باعتقاده خلاف الحق فيها، بل هى أمور فرعية، أخطأهم الحق فيها دون أن يفضى ذلك إلى كفر أو إلحاد»[١٣٧] .

فإذا أخذنا بما سلف ذكره تبين أن المسألة من الغيوب التى يتعلق الإيمان بها إجمالا، أما بحثها تفصيلا من جانب العقل وحده فلا أمان له فيها، ولا تثريب عليه إن هو التمس العذر لمن تناولها فيما مضى ويكفى المرء المؤمن الإيمان بالغيب جملة فيما أجمله النقل، وتفصيلا فيما جاء به النقل الصحيح مفصلا، ولا عليه بعد ذلك من شئ.

١٣٤- الإمام العضد - العقائد العضدية بشرح الدوانى ص ٣٣٣.

١٣٥- الامام الفخر - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢٤٠ وبذيله تلخيص المحصل للطوسى.

١٣٦- المصدر السابق نفسه ص ٢٤٠.

١٣٧- الإمام الآمدى - غاية المرام فى علم الكلام هامش ص ٥.

وحسبي أن مسألة زيادة الصفات أو عدم زيادتها من الغيب المطلق، التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى علام الغيوب، وأني أفوض الأمر فيها لعلم الله، وهو ما أدين الله عليه واعتقد به، من خلال ما جاء به النقل المنزل، وما تمسك به السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وأظن بالمتحاورين سلامة النية، وطهارة القلب، ونبل الغاية، المخطئ والمصيب فيها يعذر لأنها غيبية، وأدعو الله للجميع بسلامة الدين والنجاة في الآخرة.

ما أثر الإيمان بالله وصفاته على المسلم:

لكن تبقى نقطة مهمة وهي ما هو أثر الإيمان بالله تعالى على المسلم؟ والجواب أن العقيدة الحقة في الله رب العالمين، تعتبر مؤثرا أقوى من غيره في حياة المؤمن عقيدة وعبادة بل هي أقوامهم على الاطلاق إذ عليها تبنى كافة الأمور الأخري ومجمل الآثار المترتبة علي الايمان به تعالى هي:

١- النظرة للكائنات علي أنها مخلوقات مسخرة لا أعداء متربصين.

قال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾.[١٣٨]

٢- التعامل مع هذه المخلوقات لاستمرار الحياة لا لإفسادها لأنه خليفة الله فيها.

١٣٨- سورة ابراهيم الآيات ٣٢ - ٣٤

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[139].

٣- ضبط الفكر بما يوافق أوامره جل علاه.

٤- الاتجاه نحو الطاعة حتى يشعر بالسعادة طبقا للعدل الإلهى.

٥- الراحة النفسية والابتعاد عن شبح القلق.

٦- محاولة إقامة النظام العالمى والمحافظة عليه بما يحقق مصالح المجتمع كله.

٧- التوكل على الله والثقة فيما عنده.

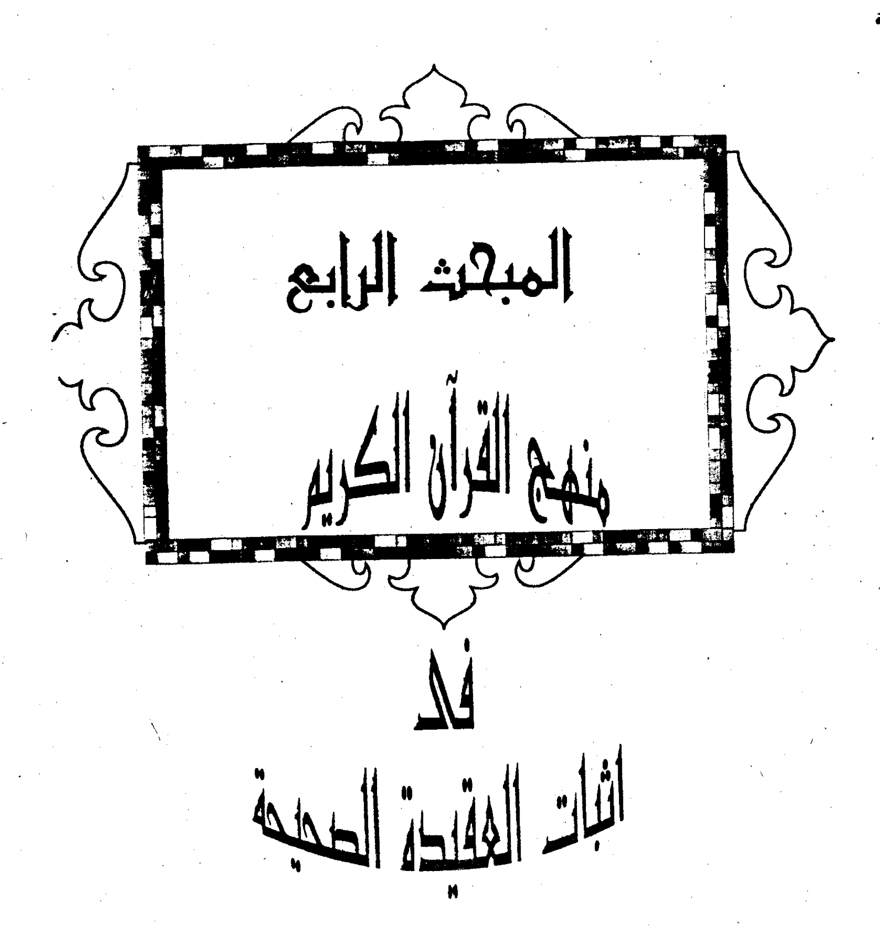
٨- صحة العبادة مع الصدق فيها والبعد عن التزلف، والارتزاق بها، والتكسب من خلفها.

٩- الارتفاع بمستوى العمل واتقانه.

١٠- التوجه الى الله وحده فى كل شئ.

وهناك آثار كثيرة تركتها لفطنة القارئ يبحثها بنفسه، ويَجِدُّ فى طلبها. فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها لا يبالى من أين جاءت.

١٣٩- سورة البقرة الآية ٣٠.


المبحث الرابع
منهج القرآن الكريم
في
إثبات العقيدة الصحيحة



عرض القرآن الكريم قضية الألوهية وصفات الله تعالى وقضايا العقيدة الاسلامية على نحو لا يوجد له مثيل فى أى كتاب آخر ، فهو لم يقصر الاستدلال على وجود الله بطريق واحد ، وانما ذكر طرقا عديده ، ومسالك كثيرة بحيث تناسب كل من يحاول التعرف عليها أو يعمل على الوصول اليها . من هذه المسالك :

[١] خطاب العقل ودعوته للتأمل :

هناك مسالك عقلية تقوم على التأمل والنظر فى الكون ، أرضه وسمائه ، علوه وسفليه ، خفيّه ومرئيه ، بحيث اذا تأملها العقل السليم جزم بأن لها خالقا واحدا ولا يمكن أن يكون غيره ، وفى نفس الوقت فإن هذا له من صفات الجلال والكمال ، والجمال والاكرام ما لا يتناسب مع أحد سواه ، وقد قال ذلك كله فى القرآن الكريم .

من ذلك قوله تعالى : " أن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا[١] فأي عاقل نظر للسماء وسعتها ، وعلو مكانها وارتفاعها ، وتماسكها وعدم سقوطها ، وثباتها وعدم تدهورها ، وبعدها عن الأرض ، ووجود الشمس والنجوم والقمر كفواصل ثابته بين الأرض والسماء ، أدرك حتما أن لهذا الكون الها خالقا رحيما ولا اله سواه .

ومثل ذلك فى القرآن الكريم كثير ، بل أن الايات القرآنية أمسكت بزمام العقل ، وهمست فى أذنيه ، وأخذته من ناصيته ، مطالبه أياه بالعمل فيما خلق له ، والاجتهاد فى الوصول الى ما كلف به ، وكان ذلك كله بعد عرض الدلائل الكونية التى تتسع لها المدارك العقلية .

---

(١) سورة فاطر الاية ٤١ .

بل أن مادة عقل وردت فى القرآن الكريم حوالى خمسين مرة ، وعلى أنحاء شتى[٢] مما يؤكد أن العقل قد عنى به القرآن الكريم ، ودفعه للقيام بواجباته على النحو الذى كلفه الله تعالى به ، ومن أول الواجبات تعقل ايات الذكر الحكيم ، لأنها كلام الله ، وصفة من صفاته والأستجابة لأوامره والبعد عن نواحيه .

قال تعالى : " أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين[٣] . ، وقوله تعالى : " أنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون[٤] .

وبين أن أختلاف الليل والنهار ، وتعاقب كل منهما من الادلة العقلية على وجود الله تعالى واثبات وحدانيته ، وعلمه وقدرته وسائر صفاته جل علاه .

قال تعالى : " وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وهو الذى ذرأكم فى الأرض واليه تحشرون ، وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون[٥] .

ونعى على أولئك الذين يركضون عقولهم بأقدامهم ، ثم ينقادون لغيرهم ، تاركين نعمة الله عليهم ، كافرين بأنعمه اليهم وبين أنهم شر من الدواب .

---

(٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مادة ع ق ل ص ٤٦٨/٤٦٩ .

(٣) سورة يوسف الايتان ٢/٣ .

(٤) سورة الزخرف الاية ٣ .

(٥) سورة المؤمنون الايات ٧٨/٨٠ .

قال تعالى : " ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون[٦] ، وذكر أنهم أهل الضلالة الذين وقع عليه الرجس ، وطغى عليهم غضب الله . ولن ينقذهم من عقابه ما يعبدون من الهة باطلة ، ولو كانوا يعقلون ما وقعوا فى هذا الذى عنه ينهون .

قال تعالى : " وما كان لنفس أن تؤمن الا بأذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون[٧] .

وعلى هذا النحو جاء العديد من الايات القرآنية ، كداع للعقل أن يتأمل ، ودافع لأن يفكر ، ومطالب له بعدم الاستسلام للرؤى المفزعة ، والأمانى الكاذبة ، والاثار التى نقلها الأقدمون من غير احتكام الى العقل السليم مع معاندتها للشرع الشريف ، وبهذا علم أن المسلك العقلى أحد المناهج فى الاستدلال على وجود الله تعالى .

[٢] اثبات وجود الله تعالى أولا :

قرر القرآن الكريم أن مسألة وجود الله تعالى ليس فيها أدنى شك ، بل هى قضية أولية والا فان الشاك محتاج لأثبات خالق لهذا الكون ، فاطر له من العدم الى الوجود ، ولن يكون هذا الفاطر للكون سوى الله رب العالمين .

قال تعالى : " قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى[٨] .

---

(٦) سورة الانفال الاية ٢٢ .

(٧) سورة يونس الاية ١٠٠ .

(٨) سورة ابراهيم الاية ١٠ .

والمعنى أن كنتم تشكون في الله تعالى على ناحية اثبات وجوده ، فمن الذى فطر السماوات والأرض حتى أخرجهما من العدم الى الوجود ، وحفظ عليهما هذا الوجود، فلم يحدث خلل أو اضطراب ، بل الكون على ما هو عليه من يوم أن خلقه الله ، مانقص من الماء شيء ، وما زاد على الأرض شيء ، "إنا كل شيء خلقناه بقدر" (٩) .

[٣] اثبات الوحدانية لله تعالى :

لما ثبت بالدليل أن الله تعالى موجود ، ذكر أنه تعالى واحد ، من كل وجه ، فقال تعالى : " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (١٠) .

وهذه السورة مع قصرها تعدل ثلث القرآن الكريم ، فان مقاصده منحصرة في بيان العقيدة والأحكام والقصص ، وهى قد اشتملت على المقصود الأعظم من العقائد ...

أعنى وجود الله تعالى وتوحيده ، وصفاته ، ولذلك قال رسول الله ﷺ " أسست السماوات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد ، أى أن السماوات السبع والارضين السبع ما خلقها الله تعالى الا لتكون دلائل على وجود الله تعالى وتوحيده ، ومعرفة صفاته التى نطقت بها السورة الكريمة (١١) .

وقد وردت آثار كثيرة فى فضل سورة الأخلاص وقارئها وقراءتها ، وقد عنى بهذه الناحية المؤلفات فى علوم القرآن الكريم لكنها فى مجملها

---

(٩) سورة القمر الاية ٤٩ .

(١٠) سورة الأخلاص

(١١) الدكتور سليمان سليمان خميس - نحو عقيدة قرآنية ص ٧٢ .

بيـان لوحدانيـة الله تعـالى ، والتركيز عليهـا مع تفـرده جـل عـلاه فـى كـل ناحية .

قال تعالى : " والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم[١٢] ، ففى الأية الكريمة نفى الواحد بالعدد وهو الواحد الحسابى ، والواحد بالتركيب ، والواحد بالجهة ، حتى لم يثبت الا واحد من كل وجه ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وتكرر حديث القرآن الكريم عن وحدانية الله تعالى مرارا ، وفى كل واحدة جهة غير الآخرى ، بحيث يجد الناظر للقرآن الكريم أن الوحدانية لله جاءت من كل ناحية ، وثابته له جل جلاله على كل مصدر من ذلك .

[أ] ورود الوحدانية على جهة العقيدة .

أجل العقيدة الاسلامية واحدة تقوم على صحة الاعتقاد فى الله الواحد ، ونفى أى شريك له وتفرده جل وعلا فى كل ما يتعلق بشئونه تعالى وما يتعلق بالخلائق خلقا وابقاء ، ابتداء وانشاء ، اعادة واعداما ، وورود الوحدانية فى العقيدة جاء على نواح عديدة أيضا .

- الوحدانية مع الرحمة

قال تعالى : " والهكم اله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم[١٣]. فهو الاله الواحد ، المنفى عنه الشريك أيا كان ، وهو سبحانه وتعالى موصوف بأنه رحمن رحيم ، فهو واحد رحمن رحيم على هذه الناحية .

---

(١٢) سورة البقرة الاية ١٦٣ .

(١٣) سورة البقرة الاية ١٦٣ .

● **الواحدنية مع القهر والغلبة**

قال تعالى : " قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل هو الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار(١٤) .

وقال تعالى : قل انما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار(١٥) ، قال الصابونى ناقلا فى معنى الاية هذا شروع فى بيان مهمة الرسول ﷺ .

وفى اثبات الوحدانية ، والمعاد والجزاء . أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أنما أنا رسول من رب العالمين انذركم وأخوفكم من عذابه أن لم تؤمنوا ولست بساحر ولا شاعر ولا كاهن .

وما من اله الا الله الواحد القهار ، وليس لى رب ولا معبود الا الواحد الغالب على خلقه القاهر لكل شيء ، رب السماوات والأرض وما بينهما ، فهو خالق جميع ما فى الكون من الخلائق والعجائب المتصرف فيها بالايجاد والأعدام فهو وحده العزيز الغفار(١٦) .

---

(١٤) سورة الرعد الاية ١٦ .

(١٥) سورة ص الايتان ٦٥/٦٦ .

(١٦) الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير حـ١٥ ص٦٤ .

• **الوحدانية مع نفى الشريك الواحد .**

قال تعالى : " وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون ، وله من فى السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون[١٧] .

فالاية فيها اثبات الوجود لله تعالى ووحدانيته مع نفى الشريك الواحد ، اذ لو كان معه تعالى شريك واحد لكانت الالهة اثنين . الله الواحد الأحد والاله المتخذ شريكا لله ، وحينئذ تقع المعاندة ولا يوجد العالم .

وبين القرآن الكريم أن الاله لا يكون الا واحدا فهو المستحق للعقيدة الصحيحة والعبادة السليمة ، أما غيره فلا اعتداد به ولا حديث عنه ، وذكر العلامة الصاوى أن النهى عن اتخاذ الهين فيه نهى عن اتخاذ الأكثر بالأولى وان فى الاية الكريمة اثباتا لألوهية الله تعالى ووحدانيته ، ونفى الشريك عنه جل علاه .

والمعنى أن المعبود لا يكون الا واحدا والا لم يوجد شىء من العالم . قال تعالى : " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا [١٨] ، وقال تعالى : "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[١٩] ، وبالتالى فلا تقع الرهبة الا من الاله الواحد ، فإن النفع والضر بيده وحده لأن الألوهية وصفه

---

(١٧) سورة النحل الايتان ٦٥/٦٦ .

(١٨) سورة الأنبياء الاية ٢٢ .

(١٩) سورة المؤمنون الاية ٩١ .

وحده[٢٠] ، ومن كان كذلك فقد انتفى عنه الشريك والصاحب والولد ، وكل ما كان من هذا القبيل .

● الوحدانية مع نفي الشريك المتعدد

بين القرآن الكريم أن الله تعالى واحد ، ويستحيل أن يكون أكثر من واحد ، وان الذين يدعون من دونه أكثر من اله هم فى ضلال بين وهم الكافرون بالله تعالى على كل ناحية .

قال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم[٢١] .

وقوله تعالى : " يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا[٢٢] .

اذن الوحدانية لله تعالى قائمة على نفى الشريك أيا كان ونفى التعدد مهما كان ، ونفى التركيب والتحيز عن الله تعالى ، وانه كلما كانت الوحدانية قائمة لله فى عقل الانسان وذهنه مستمرة فى عقيدته ، صحيحه فى ديانته ، فلا شك أنه على الطريق السداد يسير ، وفى النهاية السعيدة يقدم قومه أما لماذا ؟

---

(٢٠) العلامة الصاوى – حاشية الصاوى على الجلالين – المجلد الثانى ص ٣١٤ .

(٢١) سورة المائدة الايتان ٧٣/٧٤ .

(٢٢) سورة النساء الاية ١٧١ .

فلأنه العقيدة الصحيحة تقاوم كل فكرة خاطئه ، تحاول الاقتراب من ميدان الألوهية ، وهنا تصح له عقيدته ، وتسلم له عبادته ، فيظفر من دنياه بالسلامة ، وفى الأخرة بالنجاة .

قال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني برىء مما تشركون[٢٣] .

ذكر العلامة السيوطى فى سبب نزول الآية " قل أى شىء أكبر شهادة قال : جاء النحام بن زيد ، وقروم بن كعب ، وبحرى بن عمرو فقالوا : يا محمد ما نعلم مع الله الها غيره . فقال لا اله الا الله بذلك بعثت ، والى ذلك أدعو ، فانزل الله فى ذلك قوله قل أى شىء أكبر شهاده ، قل الله شهيد بينى وبينكم[٢٤] .

وعلى صفة الوحدانية جاء التأكيد والتكرار فى القرآن الكريم بشكل لافت للنظر ، كأن يريد أن يجعلها المسألة الرئيسية ، بحيث من حاول الخروج عليها واجهته الأيات القرآنية من كل ناحية ، توجيها ونصحا ، فان لم يستجب واجهته ترهيبا وتحذيرا ، فان لم يرتدع واجهته صفعا وتكفرا ، " ومن أصدق من الله قيلا " .

---

(٢٣) سورة الانعام الايتان ١٩/١٨ .

(٢٤) العلامة السيوطى . لباب النقول فى اسباب النزول بهامش تفسير الجلالين ص ١٦٥/١٦٤ ط دار التراث.

• الوحدانية لله مع التصديق بالرسل

قال تعالى : " قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد[٢٥] .

وقال تعالى : " قل أنما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار[٢٦] .

وهكذا فان أثبات الوحدانية لله سبحانه استتبعه التصديق بأن سيدنا محمد رسول الله ﷺ حقا ،وان البعث أمر حتمى ، وان لقاء الله فى الآخرة لا مفر منه ، وأن المكلف يحاسب فى الآخرة على ما قدمت يداه ،وأن هذا الواحد غالب على الجميع بقدرته غالب عليهم بعلمه وحكمته ، غالب عليهم بكل ماله من صفات الجلال والكمال ، والجمال والأكرام .

• الوحدانية مع بيان عاقبة المكذبين بالبعث

ذكر القرآن الكريم أن أهل التوحيد يصدقون بوحدانية الله ، ويؤمنون بالبعث ، ويقرون بهذه المسائل الايمانية اقرارا لا يتطرق اليه شىء من شك ، أما غيرهم فلا يقع لهم ذلك من نفوسهم موقع التسليم الايمانى ، والقبول النامى ، ولا الخبر الطيب أو النبت الذاكى .

قال تعالى : " والهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون[٢٧] ، ولو كانت قلوبهم قائمة على الاستقرار فى

---

(٢٥) سورة الكهف الاية ١١٠

(٢٦) سورة النحل الاية ٢٢ .

(٢٧) سورة ص الاية ٦٥ .

العقيدة ، والسلامة فى العبادة لآمنوا بالله الواحد ، وصدقوا بالآخرة وقاموا على أنفسهم مقام الحق والصدق فلا تقع فى الباطل ولا تركن للضلال ، ولكن كل ذلك لم يكن وبالتالى فهم لم يؤمنوا بالاله الواحد ، ولم يؤمنوا بالاخرة .

[ب] ورود الوحدانية مع العبادة :

ذكرنا أن الوحدانية جاءت فى العقيدة الاسلامية لله رب العالمين على انحاء متعددة ، وكذلك جاءت فى العبادة ، بحيث ينظر اليهما على انهما شيء واحد وكل لا يقبل الانفصام ، انها عقيدة واحدة تقوم فيها العقيدة والعبادة معا ، وقد جاء النقل المنزل بها جميعا . من ذلك .

- **الوحدانية مع نفى عبادة الارباب**

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : " ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة أبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون

يا صاحبى السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون[٢٨] .

---

(٢٨) سورة يوسف الايات ٣٧/٤٠ .

فقد بين لهم أن عبادة الارباب باطلة ، وان العقيدة الصحيحة تلزم العاقل ان يتوجه بالعبادة لمن هو واحد من كل ناحية ألا وهو الله رب العالمين ، الحقيق بأن نتوجه اليه بالعبادة السليمة مع صحة العقيدة .

قال تعالى : " اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله ألا ان يتم نوره ولو كره الكافرون(٢٩) .

وأكد القرآن الكريم أن عبادة الاله الواحد هي التي جاء الوحي بها ، وقام الأنبياء والمرسلون عليها ، أما الإشراك في العبادة فذلك شأن المنحرفين ، وقد ذكر القرآن الكريم أن نبي الله ابراهيم قد وصى بها بنيه ، وكذلك كل أنبياء الله فعلوا .

قال تعالى : " ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الأخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون

ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذقال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون(٣٠) .

وهكذا فان أيات القرآن الكريم عرضت أمور العقيدة والشريعة على نحو خال من أوجه التقصير بل أنها في عرضها فصلت ما يحتاج الى تفصيل

---

(٢٩) سورة التوبة الايتان ٣١/٣٢ .

(٣٠) سورة البقرة الايات ١٣٠/١٣٣ .

، وذكرته بأكثر من طريق حتى يسهل على طالبه التعرف عليه والوصول اليه ، وهو المنهج القرآني الذى عرف به النقل المنزل ، والسياق القرآني الكريم ومن أصدق من الله حديثا .

- **الأولية والأخروية**

سلف الحديث عن وحدانية الله فى الوهيته وربوبيته ، وهـا نحـن نتحدث عن الأولية والأخروية لله رب العالمين ، فهو الأول الذى لم يسبق بأول ، وهو الأول وحده جل علاه ، هو الأول من كل وجه ، أولية التقدم ، وأولية التفرد ، أولية الخلق والايجاد ، أولية الاحكام والاتقان ، الاولية فى كل معانيها .

قال تعالى : " هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم[٣١] . وقد جمعت الأية الكريمة بين أوليته تعالى التى لم تسبق بشيء ، بمعنى أنه الأول الموجود الذى لم يتقدم على وجوده أى وجود ، " بل سبق وجوده كل الوجود ، واستمر هكذا موجودا وسيستمر منفردا بالوجود ، متفردا ، فكما كان هو الأول بلا بداية ، فهو سبحانه وتعالى الأخر بلا نهاية . قال عليه السلام " أنه الأول ليس قبله شيء ، والأخر ليس بعده شيء[٣٢] " .

وربما كان مفهوم الأولية والأخرية بالنسبة لنا محصورا فى مفهوم معين ، ضاق أو اتسع المفهوم حسب ثقافة المتلقى وامكانياته ، وهذا انما يتناسب كمفهوم مع قدراتنا نحن المخلوقين التى يخاطبنا الله جل علاه حسب ظروفها وفيما تتمكن منه .

---

(٣١) سورة الحديد الاية ٣ .

(٣٢) ذكره الفخر الرازى فى تفسيره المجلد ١٥ ص ٣٥٥ .

لكن مفهوم الأول والأخر من حيث الكنه والحقيقة الألهية فهذا مما لا تستوعبه عقولنا ، وان كانت تستدل عليه ولا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ، قال الفخر الرازى " واعلم أن هذا المقام مقام مهيب غامض عميق[٣٣] .

ذلك أن أولية الله تعالى صفة من صفات ذاته ، وكذلك أخريته تعالى ، وباقى صفاته ، ونحن لا نملك التعرف على الذات الالهية جل علاه من حيث حقيقتها ، لأنه لا يعرف الله على الحقيقة الا الله ذاته فكذلك ما نسب لتلك الذات الالهية من صفات .

كل ما فى الأمر أن المفهوم اللغوى الوارد فى النقل المنزل أنما يخاطبنا بقدر ما نفهم ، ويقرب المعانى للعقول حسب الامكانيات التى خلقها الله لنا ولذا ورد فى الحديث : سبحانه من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته[٣٤] .

قال الفخر الرازى : فهذه ابحاث غامضة فى حقيقة التقدم والأولية والأزلية ، وما هى الا بسبب حيرة العقول البشرية فى نور جلال ما هية الأزلية والأولية ، فان العقل انما يعرف الشىء اذا أحاط به ، وكل ما استحضره العقل ، ووقف عليه فذاك يصير محاطابه ، والمحاط يكون متناهيا ، والأزلية تكون خارجه عنه .

ثم هو سبحانه وتعالى ظاهر باطن فى كونه أولا ، لأن العقول شاهده باسناده المحدثات الى موجد متقدم عليها ، فكونه تعالى أولا أظهر من كل ظاهر من هذه الجهه ، ثم اذا اردت أن تعرف حقيقة تلك الأولية عجزت

---

(٣٣) المصدر نفسه ص ٣٥٥ .

(٣٤) حاشية الصاوى على الجلالين المجلد الرابع ص ١٦٩ .

، لأن كل ما أحاط به عقلك ، وعلمك فهو محدود وعقلك ومحاط علمك فيكون متناهيا ....

ومن ثم فتكون الأولية خارجة عنا ، فكونه تعالى أولا اذا اعتبرته من هذه الجهة ، كان ابطن من كل باطن ، فهذا البحث عن كونه تعالى أولا[٣٥] .

وفي تقديري أن هذه الامكانيات المحصورة فينا من أقوى الأدلة على ان هناك امكانيات غير محصورة تتعلق بالله رب العالمين ، وهنا يكون الفارق بين امكانيات المخلوق وامكانيات الخالق ، وهو نفس الذى يمكن أن نستدل به على وجود الله تعالى ، من ناحية أخرى .

أما كونه تعالى أخرا فلأنه تعالى يفنى جميع العالم فيتحقق كونه أخرا ، ثم أنه تعالى يوجدها ويبقيها أبدا ، ثم أنه لما كان الوجود منه تعالى يبتدىء ، ولايزال ينزل وينزل حتى ينتهى الى الموجود الأخير ، الذى يكون هو مسببا لكل ما عداه ، ولا يكون سببا لشيء أخر ، فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه أولا ، فهو سبحانه أول فى نزول الوجود منه الى الممكنات ، أخر عند الصعود من الممكنات اليه[٣٦] .

- وربما تسأل لماذا لم يستقل العقل بمعرفة الصفات الالهية والذات الالهية على الحقيقة والكنه ، أما كان ذلك أيسر فى تفهم الموقف وحل المسائل الصعبة والعويصة .

---

(٣٥) الفخر الرازى — مفاتيح الغيب — المجلد الخامس جـ٣٠ ص ٣٥٩.

(٣٦) المصدر السابق ص ٣٦١ .

• والجواب : من وجوه

• الأول : أن الله تعالى ذاتا وصفات لايتناهى ، بينما العقل متناه ، ولا يدرك المتناهي من لا يتناهى بل العكس هو الصحيح ، ولوحاول المتناهى الاحاطة باللانهائى على وجه الحقيقة لفقد خواصه ، وانهدمت امكانياته .

• الثاني : أن العقل ميزان له ميدان فاذا حاول تجاوز هذا الميدان ضل وانحرف ، وميدان العقل وميزانه فيما له معه حيلة ، وتقع عليه امكانياته ، ويتحكن من ضبطه على ناحية يقينية .

• الثالث : أن العقل مخلوق واحكامه في المخلوقات التى يتعرف عليها ربما كانت يقينية ، وهو بالنسبة لها ميزان صحيح غير أنك لا تطمع أن تزن به امور التوحيد والأخرة ، وحقيقة البنوة ، وحقيقة الصفات الالهية ، وكل ما وراء طوره فان ذلك مطمع في محال .

مثال ذلك : مثال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدرك أن الميزان فى احكامه غير صادق ، لكن العقل قد يقف عنده ، ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط الله وصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه(٣٧) .

أجل العقل حجه الله على عباده ونعمة من نعمه عليهم ، ووسيلة التكليف فيهم ، لكن له حدود لا يتعداها ، وهو فى هذه الحدود ، وخلال تلك المجالات يكون عمله الذى ربما صدقت أحكامه ، أو جاءت على سبيل القطع واليقين ، ولكن اذا حاول تجاوزها ، أو القفز فوقها وتخطيها ،

---

(٣٧) العلامة ابن خلدون – المقدمة ص ٣٢٢ ، وما بعدها .

فلا شك أنه داخل فى متاهات وضلالات ، لايأمن معها السلامه أو يطمئن فيها الى النجاة .

من ذلك مسألة الغيبيات التى لا تقبل تجربة العقل ، ولم يحط بها علما على نحو غير ما جاء به الشرع الشريف ، فإن العقل اذا حاول اقحام نفسه فيها فلا شك أنه واقع فى الدرجات وهابط من أعلى الدرجات ، بل هو منهى عن الخوض فيها ، ومحاولة الدخول اليها .

وربما تستأنس لما ذهبنا اليه بالحديث الشريف الذى جاء من عدة طرق من قوله ﷺ " تفكروا فى الاء الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا" ، وقوله ﷺ " تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذات الله فانه لا تحيط به القدر[٣٨] .

اذن الله واحد أول لا بداية له ، وأخر لا نهاية له ، وهذا مقتضى وحدانيته ، وخاصية تفرده بالخلق والايجاد ، وهكذا أفاضت أيات القرآن الكريم فى هذه المسألة ، وجاءت اليها على أكثر من ناحية حتى استقر فى الأفهام ، وقر فى العقول والنهى أنه تعالى واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

ثم أنه تعالى أول قبل كل شىء ، وانه أخر لأنه بعد كل شىء ، وانه ظاهر بحسب الدلائل ، وانه باطن عن الحواس محتجب عن الأبصار[٣٩] فثبت له تعالى أنه الأول والأخر ، والظاهر والباطن ، وانه بكل شىء عليم .

---

(٣٨) سبق تخريجه – من طرق كثيره كلها قوية ورواياته متعددة كلها صحيحة .

(٣٩) الفخر الرازى – مفاتيح الغيب المجلد الخامس عشر جـ٣٠ ص ٣٦٢ /٣٦٣ .

كما أنه تعالى محتجب عن الحواس الظاهرة ، والباطنة فلا تحيط به فى الدنيا ولا فى الأخرة ، وانما رؤيته وسماع كلامه فى الاخرة من غير كيف ولا انحصار ، ولا احاطه ، فكل مخلوق عاجز عن الاحاطة به ، بل كلما عظم قرب العبد منه ازداد خشية وهيبة وعجزا [٤٠] .

وكان من دعائه ﷺ " اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء ، وانت الأخر فليس بعدك شىء ، وانت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر[٤١] .

وهكذا فقد قام المنهج القرآنى على اثبات الكمالات كلها لله جل علاه ، وركز على العقيدة الصحيحة ، وفصل أجزاءها الواحد تلو الآخر ، فذكر الذات الالهيه وصفاتها ، وكل ما يتعلق بها .

ورأس الأمر كله ، أن يؤمن بالله الذين يؤمنون بالغيب ، ولما كان الله خالقا للغيب فقد صار الايمان به استدلا لا بالمخلوق على الخالق ، فتبارك الله رب العالمين .

وبعد أن عرض المنهج القرآنى عقيدة الألوهية وما يستتبعها ، عرض لباقى أجزاء العقيدة الاسلامية ، وربما جاءت كلها فى الاية الواحدة مثل قوله تعالى : " آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير[٤٢] .

---

(٤٠) حاشية الصاوى المجلد الرابع ص ١٦٩ .

(٤١) المصدر السابق ص ١٦٩ .

(٤٢) سورة البقرة الاية ٢٨٥ .

وقوله تعالى : " قل أمنا بالله وما أنزل عنينا وما أنزل على ا
واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وا
من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[٤٣] .

وقوله تعالى : " قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وم
النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[٤٤] .

وهكذا جاءت العقيدة الاسلامية فى الآيات القرانية على
التذكير والتأكيد ، وفى أكثر من موقع مما يؤكد أن منهج القرآن
فى اثبات العقيدة قام على عرضها والتأكيد عليها ، واستمرار تناو
العديد من الايات وعلى الكثير من النواحى .

- وربما يقال أن القرآن الكريم عنى بالعقيدة فى جانب إثبات
الالوهية ، والوحدانية ، وما يستتبع ذلك ولم يعر باقى أجزاء
العناية اللازمة ، ولكن هذا الزعم غير صواب ، أم لماذا ؟ فلما يل

- اولا : أن الحديث عن الملائكة فى الآيات القرآنية حديث غام
المورد ، عزيز المنال ، عال فى التراكيب اذ قد وردت مادة م ا
القرآن الكريم قرابة المائة مرة[٤٥] ، جمعا ومفردا ، ومثنى ، منكر

- ثانيا : ان حديث القرآن الكريم عنهم ، شمل خلقهم ، وعب
واعمالهم ، والتكاليف التى توجه اليهم ، والمهمات التى يقومون
الدنيا والأخرة .

---

(٤٣) سورة آل عمران الاية ٨٤ .

(٤٤) سورة البقرة الاية ١٣٦ .

(٤٥) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٦٧٤ - ٦٧٦ .

وكذلك الكتب المنزلة ، والصحف والألواح التى جعلها الله هداية لأصحابها ، مثل توراة موسى ﷺ وصحفه والواحه ، وصحف ابراهيم الخليل ، وزابور داؤد وانجيل عيسى ﷺ ، والقرآن الكريم ، وقد جاءت الايات القرآنية على هذا الجانب موضحة ومعرفة ، مفصلة كافة هذه وتلك بحيث لم تترك شيئا منها إلا عرفت به ، وبينت ما أضيف اليه ، وما يجب أن ينفى عنه .

كما جاء الحديث عن رسل الله الكرام ، والأمم الذين بعثوا فيهم ، والمعجزات التى أجراها الله تعالى لهم تأييدا ، ومواقف خصومهم منهم والنتائج التى ترتبت على الايمان ، والعواقب التى تلت الكفران حتى أن بعض السور القرآنية أطلقت على بعض الأنبياء أو تسمت بأسمائهم .

مثل سورة يونس ، وسورة هود ، وسورة يوسف ، وسورة ابراهيم ، وسورة طه ، وسورة نوح ،سورة محمد ، إلى غير ذلك من السور التى سميت باسماء الأنبياء .

وكذلك مجيء سورة بعينها تسمى سورة الأنبياء الى غير ذلك مما يدل على العناية القرآنية التامة بالأنبياء والمرسلين تعريفا بهم ، وعباداتهم ، وأممهم ، وغير ذلك مما هو تابع الايمان بهم .

وكذلك اليوم الأخر قد تعدد الحديث عنه حتى أن اسماءه تجاوزت الثلاثمائة ، فالقارعة ، والحاقة ، والطامة ، والصاخبة إلى غير ذلك من الاسماء والدلالات التى تطلق على اليوم الأخر ، واليوم الأخر عنى به الشرع الشريف أيما عناية ، فحديثا عن اسمه ، والايمان به ، وما سيجرى فيه بحيث اذا تأملها عاقل أدرك أن الايمان باليوم الأخر أمر لا يقل أهمية عن باقى أجزاء العقيدة الاسلامية .

يقول الأستاذ سيد قطب " أن جميع الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام الى سيدنا محمد ﷺ قد تضمنت عقيدة اليوم الأخر ، مع تضمنها لوحدانية الله سبحانه وتعالى[٤٦] ، ولذا فمن لا يؤمن باليوم الأخر لا تكون له عقيدة أبدا ، ولا يصح له ايمان ،

وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : " إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالأخرة هم كافرون ، واتبعت ملة أبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون[٤٧] .

أما الايمان بالقضاء والقدر فمن مظاهر عناية القرآن الكريم بهما ورودها كثيرا فى القرآن الكريم بل وتسمية سورة من سور القرآن الكريم باسم سورة القدر[٤٨] ، وفوق ذلك ومعه تخصيص القدر بمعنى معين .

قال تعالى : " وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم[٤٩] ، وقوله تعالى : " وكان أمر الله قدرا مقدورا[٥٠] ، وقوله تعالى : " إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر[٥١] ، والقضاء والقدر مما نال عناية كبيرة من الدارسين المسلمين بل تخصصت فيه ابحاث بعينها[٥٢] .

---

(٤٦) الاستاذ / سيد قطب - مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٤ ط ٦ - دار المعارف ١٩٨٠ .

(٤٧) سورة يوسف الأيتان ٣٨/٣٧ .

(٤٨) سورة القدر ، وعدد أياتها خمس كما جاءت مادة ق د ر فى القران الكريم حوالى خمسا وستين مرة - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٥٤٧/٥٤٦ .

(٤٩) سورة الحجر الاية ٢١ .

(٥٠) سورة الأحزاب الاية ٣٨ .

(٥١) سورة القمر الايتان ٥٠/٤٩ .

(٥٢) راجع كتابنا الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى - علاقة الغيب بالقضاء والقدر .

من ثم فلا اعتداد باعتراض الجاهل ، ولا عبرة بسؤال الماكر ، انما نريد بيان وجه الحق فى المسألة ، وان القرآن الكريم عرض العقيدة الصحيحة بيان اجزائها ، واثبات كل طرف فيها ، وابطال الشبه التى يعتمد عليها اعداؤها الذين حكم الله عليهم جميعا بعدم النجاة فى الأخرة ان هم ابتعدوا عن دين الاسلام .

قال تعالى : " ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الأخرة من الخاسرين[٥٣] ، اللهم أجعلنا عندك من المقبولين " رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى .أشدد به أزرى ، واشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصير[٥٤] .

" اللهم أنى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها شملى ، وترد بها الفتن عني ، وتصلح بها دينى ، وتحفظ بها غايتى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتبيض بها وجهى ، وتلهمنى بها رشدى ، وتعصمنى بها من كل سوء اللهم أنى أسالك الفوز عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ، ومرافقة الأنبياء إنك نعم المولى ونعم النصير [٥٥].

---

(٥٣) سورة آل عمران الاية ٨٥ .

(٥٤) سورة طه الايات ٢٥/٣٥ .

(٥٥) أخرجه الطبرانى فى الدعاء والأحياء للغزالى جـ١ ص ٣٢١ .



المبحث الخامس

الفكر المادى

المذهب المادى تيار فكرى يقوم على الاعتقاد فى المادة وحدها ، والايمان بأنها وحدها الموجودة ، ومن ثم فهى محسوسة ، وذات طبيعة تقبل التجريب ، كما تقبل التحليل والتركيب ، ونظراً لخطورة هذا التيار الفكرى على الدين والانسانيه والاخلاق والقيم سأتجه للحديث عنه فما هو تعريف الفكر ؟

أ- معنى الفكر.

عرف الفكر فى اللغة بأنه اعمال العقل فى مسألة أومسائل وترتيب بعض ما هو معلوم وصولا الى ماهو مجهول ، والتفكير : اعمال العقل فى مشكلة للتوصل الى حلها(١)

كما عرفوا الفكر الانسانى بأنه حركة من حركات الذهن البشرى ، ونشاط من أنشطته بما فيه من تركيب وتحليل ، وبحث وتنسيق ، وعمق وروية ، أو تسرع وسطحية ، وهذا الفكر يقوم به كل من الانسان ، والجن والحيوان على القدر الذى أعطاه الله كلا منها.

فالفكر الانسانى له موضوعاته ، ومناهجه ، ووسائله ، والغايات التى يؤدى اليها والنتائج التى ينتظرها ، او تنتظر منه ، سواء على النحو المشاهد المرئى ، أو عالم المرء الخاص الذى يعيشه ، ولايعرفه الا هو ، كعلاقة بينه وبين الله تعالى.

كما أن الفكر الجنى هو أيضامختلف عن الفكر الانسانى ، فالجن غيب عنا ، وله ظروفه الخاصة به ، وبالتالى فالفكر عنده له موضوعاته ، ومسائله

---

(١)المعجم الوجيز باب الفاء ص٤٧٨ .

ووسائله وغاياته التى تنطوى فى أعماق الغيب الذى يناسب عالم الجن، ولا يعلمه الا الله جل علاه .

من ثم فلا يكون تفكير الجن هو نفسه تفكير الانس ، وانما كل منهما مختلف عن الأخر ، ومتفق مع طبيعة صاحبه ، ونمط الفكر الذى يمارسه ويقوم به، بما يتفق مع امكانيته نفسه .

ولكل من الانسان والحيوان والجان نمط حياتى مختلف عن الآخر ، وصورة من الفكر تناسب صاحبه ، ولايطعن تفكير أحدهما تفكير غيره.، لما سبقت الاشارة اليه ، من اختلاف كل منها عن غيره ، والفكر يناسب المفكر نفسه . فما هو الفكر الانسانى ؟ ثم ما المقصود بالمادى؟

والجواب أن الفكر عرف بكونه

" ترتيب أمور معلومة للتأدى الى مجهول" [١] وهذا التعريف مما يتمسك به المناطقة ، سواء كان المودى اليه من باب التصورات ، أو من باب التصديقات ، وهذا الفكر الانسانى له خصوصياته المتعددة التى لابدله منها، ولايوصف بغيرها.

كذلك عرف بأنه جمله النشاط الذهنى بما فيه من تحليل ذهنى ، وتركيب ، وتنسيق ، على اسمى صدور العمل الذهنى[٢] وهذان التعريفان أقرب مايكون

---

(١) السيد الشريف الجرجانى - التعريفات صـ١٤٧

(٢) القاموس المحيط ج٢ صـ٢٩٧

الى التعريفات القاموسية ، والمنطقية لكن الذى لابد منه هو أن هذا النشاط الذهنى يتعلق بالموضوعات المحسوسة والمعقولة معا.

هذا عن تعريف الفكر من الناحية الاصطلاحية غير ان هناك بعض الناس يحصرون الفكر فى الجانب المادى فقط ، متصورين أن الفكر لايكون الا مادة وماعداه فهو من قبيل الهرب من التعريف به، وهؤلاء عرفوا بأنهم أصحاب الفكر المادى.

وهم قد حصروا الفكر فى عدة موضوعات حسيه فقط . ولذا عرفوا الفكر بأنه :

١- الصيغ اللفظيه، بما فى ذلك الرموز الرياضية وما اليها ، ولاشئ غير ذلك .

ويؤكدون على أنه " لاضرورة لافتراض وجود شئ نعلل به عملية الفكر سوى العبارات اللفظية ، أى الكلام مقيدا بشروط خاصة ، فليس ثمة ما يدعو لافتراض كائن غيبى باطنى نسميه بالعقل ، لكى نفسر به عملية الفكر ، مادام فى استطاعتنا أن نعلل ظاهرة التفكير بالالفاظ وحدها"(١)

وهم يعرفون بالوضعية كما يعرفون باصحاب الفكر المادى فانهم كذلك عرفوا بأنهم أصحاب الوضعية المنطقية كما يشاركهم الرأى أصحاب الوضعية الطبيعية والوضعيه الأجتماعية."(٢) ونحن لانتفق معهم ، ولانرى رأيهم ، وانما تكرر :

---

(١) د/ذكى نجيب محمود - المنطق الوضعى ج١ ص٨ ط ٦ ١٩٨١ الانجلو المصرية

(٢) ظهرت فى أوربا أبان القرن التاسع عشر ، وظهر على متن كل منها شخصية مثل شيلك ، دوركايم ، أوجست كونت ، اوجست كومت ، وغيرهم لمزيد بيان ينظر د/ عزمى اسلام ص٢١٧ وما بعدها . وكذلك التفكير الفلسفى الاسلامى د/ سليمان دنيا، الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/ محمد البهى . ففى كل منهما ردود على هذا الفكر المادى ورخصته.

أنهم يقعون فى مغالطات ، ويقررون شبهات ، ماهم بذلك من علم ان هـم الا يخرصون"

٢- عملية التفكير ان هـى الارمـوز نستخدمها كالفـاظ اللغة ، او كرمـوز الرياضة ، وتركيبها فى شتى صورها... حتى التفكـير الصـامت فانـه كذلـك " الفاظ تجرى فى تركيبات معينة ، وان تكن الالفاظ فى هذه الحالة غير مسـموعة الا لصاحبها ، لأن الحركات التى تحدثها أضعف من أن تحرك اللسان والشـفتين فى صوت مسموع للأخرين"

٣- الفكر هو التركيب اللفظى او الرمزى للمفردات لا اكثر ولا اقل "

٤- الفكر هو الصيغ اللفظية او الرمزيـة مشـروطة بامكـان وضـع الصيغـة فـى صيغة اخرى تساويها ، وامكـان الاسـتبدال بصيغـه اخـرى يـلزم عنهـا ، ومـالم تتوافر هذه الشروط من تركيبات اللفظ والرمز يكون صوتا غير دال على شئ او ثر قيما غير ذى معنى ، ولايكون فكرا....

٥- الفكر خصائص معينـة فـى ترتيـب الكلمـات او الرمـوز ان وجـدت كـان الكلام فكرا ، والا فهو ليس بالفكر[1] وهذا الانحصار غير مقبول ، لأن الفكـر منه ما هو دينى معنوى وروحانى وماهو مادى أو غير محسوس لكنه غير دينـى فالفكر المتعلق بالأمور الغيبية ، سواء منها مما عرفناه نحن أو ممالم نعرفـه ، وانمـا هو من قبيل الغيب الذى وضعت اسبابه فى الارض والخيال العلمى يقودنا اليه ، فهو فكر روحى فى امور غيبية ولايمكـن اعتبـاره فكـرا ماديـا أبـدا وان تعلـق بالماديات المكتشفة فيما بعد.

---

(١) د/زكى نجيب محمود - المنطق الوضعى ص٩٨

كما أن هذا الانحصار لاتوجد له مبررات قوية ، ولا أدلة يعتمد عليها :إلا الوهم ، وضيق الفهم ، والقصد الى الإنكار والتكذيب ، والتكذيب بالمعجزات ، وانكار اليوم الأخر ، وهو ما اعلنه الناقل عنهم ، أو البوق الذى تحدث فى مصرنا نيابه عنهم فى اوربا ، حيث يقول:

" مذهبى الفلسفى هو فرع من فروع المذهب التجريبى ويمكن تسميته بالوضعية المنطقية ، او التجريبية المنطقية ، او بالتجريبية العلمية ، ولابد أن يكون لمن يأخذ بهذا المذهب اتجاه خاص عند نظره الى مباحث المنطق " ثم يواصل قائلا[1].

وهذا الاتجاه الخاص هو الذى حاولت أن انظر به إلى تلك المباحث عندما الفت به المنطق الوضعى . فأطلقت على الكتاب هذا الاسم ، لأَوُل به على أنه منطق منظور اليه بعين ترى الأمور بمنظار المذهب الوضعى الذى لايؤمن إلا بالمادة وأن الذى يجب التصديق به هو ما يمكن تحليله ، واجراء التجارب العلميه عليه ، وما عداه فإنه يحكم عليه بانه غير موجود ، ولايمكن الايمان به ، او التصديق بانه موجود على أى نحو كان [2]

ومن المؤسف أن اصحاب المذهب الوضعى فى مصر المسلمة لايمكن اعتبارهم من المسلمين لأنهم يعلنون – فى كفر صريح – أن الميتافزيقيا كلام فارغ لايرتفع الى أن يكون كذبا...

---

(١) المصدر نفسه حدو من المقدمه

(٢) نفس المصدر ص٩ ، المقدمه الثالة وهولم يرجع عن هذه الاراء بل ذكرها فى كل من كتبه ، نحو فلسفة علمية، خرافة الميتافيزيقا، وموقف من الميتافيزيقا ، وهو نفسه خرافه الميتافيريقا

لأن ما يوصف بالكذب يتصوره العقل ، ولكن تدحضه التجربة ، أما هذه -الميتافيزيقا فكلامها كله رموز سواء تملأ الصفحات بغير مدلول "(١)

ويكرر قوله مدافعا عن كفريات الأخرين قائلا " والحق الا اسراف ولا تجن من رجال العلوم حين بها جمون الفلاسفة قائلين : انها حين تبحث فى مشكلات مثل وجود الله ،وخلود الروح ، وحرية الارادة ، فانما تنسج نظرياتها من رؤس الفلاسفة نسجا، لاتستند فيه الى تجربة"(٢)

وهذا المذهب لايعتنقه الا الملحدون ، ويجمعهم اتجاه واحد هو نفسه الوجود المادى وحده ، أما الوجود غير المادى فإنهم لايؤمنون به بل ولايعتقدون وجوده ، وانما يفسرونه تفسيرا ماديا أليا لأن عقولهم ليست مستعده لتقبله.

ولسنا مستعدين للتعاون معهم على أى نحو كان ، لأن كفرياتهم ما باتت تنطلى على أحد ، بل ولا نرتضى وجودهم فى بلدنا الاسلامية وانما نلتمس من أهل الحكم ، ومن كان فى موقف الراعى ، أن يطلبهم للتوبة ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة ، فإخلاء السبيل حق لهم ، وأن أبوا قتلوا كفرا ، ودم الكافر لاحرمة له بل هو مهدر الدم. متى كانت ردته بعد تعقل وايمان (٣)

والفكر قديم مع الانسان نفسه ، لكن حصر الفكر فى الماديات اتخذ أشكالا عده ، وكانت له مظاهر متعددة. فمرة يختفى هذا النشاط الفكرى

---

(١) المصدر السابق صـ٣ من المقدمه الأولى

(٢) د/زكى نجيب محمود موقف من الميتافيزيقا صـ١٥ مطابع آخرون

(٣) المرتد يعاقب بكفره.

وتكون السيادة للفكر الدينى القائم على أصول الشرع ، وقواعده الشريفه ، مادام مع النبى والعلماء والصالحين وأحيانا تكون السيادة للفكر الغير دينى باتجاهاته الفاسده وقضاياه المنحرفه.(١) ولكنها وقتية لاتلبث أن تزول سريعا.

وكلما كان أتجاه القوم للشرع كانت السلامة معهم ، والنجاه محققه لهم، والاتجاه نحو الصواب هو قائدهم ، وكلما انحصروا فى المادة غرقوا فى التجسم والتشبيه وقد ساق القرآن الكريم صورا عديده لهذا الانحصار المغرق فى المادية من ذلك

١- طلب اليهود من موسى عليه السلام ان يريهم الله جهره قال تعالى "يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقه بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبيناً"(٢)

٢- تصورهم الاله العظيم مجسدا ، له يدتغل، ويصيبه الفقر والبخل تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

" وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا لوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا

---

(١)كلما ابتعدوا الناس عن شرع الله ، ولجأوا للفكر وترك رسل الله وشرعه ، والايمان بالشيطان وحده

(٢) سوره النساء الآية ١٥٣

وكفروا وألقينا بينهم العدواة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لايحب المفسدين"(١)

ب– أقسام الفكر

يتنوع الفكر إلى أنواع متعددة ، كلها بحسب موضوعاتها والمسائل التى تعالجها ، والغايات التى تهدف اليها ولكن الاهم من ذلك أن يكون لها فى النهاية قيمة شرعية ، تحقق السعادة للبشرية ، وتؤدى الى رضى الله تعالى ، ومحبة رسوله ﷺ ، فما هى انواع الفكر ؟

النوع الاول : الفكر الدينى

وهو الفكر القائم على فهم النقل المنزل ، فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وهذا الفكر له ضوابط شرعية جاء بها الحديث الشريف من ذلك قوله ﷺ فيما روى عن ابى ثعلبة الخشنى قال : قال رسول الله ﷺ:

ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تقربوها ، وترك أشياء من غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوها"(٢) ولو حاول العقل بحثها لضل ولما كان فى مأمن من الزلل، وهى فى ذات الوقت اعلى من امكانيات العقل كلها ، والله تعالى لايكلف المخلوقين الا فى حدود ما تطيقه عقولهم.

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٤

(٢) الامام ابو نعيم - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٩ ص١٧ دار الكتب العلمية بيروت

وقد جاء الحديث مؤكدا هذا المعنى ، من ذلك ماروى أنه ﷺ قال : ان الله فرض فرائض فلاتضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، ونهى عن اشياء فلا تنتكهوها ، وسكت عن أشياء رخصة لكم ليس بنسيان ، فلا تبحثوا عنها"(١)

وهذه السكوتات من باب الرحمة والرخص التى تتعلق بالمؤمنين فى عقولهم واعمال تلك العقول ، فللمرء المسلم أن يفكر ماوسعه الفكر ، لكن فى حدود لايحاول تجاوزها ، ومن خلال اشارات لايعمل على تخطيها ، فإن وقف عندها نجا ، وكان فكره فى حدود النقل المنزل ويسمى فكرا دينيا.

اما اذا صرف نفسه عن هذه الرخص وتجاوز تلك الحدود محملا عقله فوق ما بامكانه ظانا أنه يخدم قضية تتعلق بالدين وأن الدين لايتجاسر فى الوصول اليها، أو الوقوف عندها ، أو بلوغها المبلغ المنشود ، حينئذ يكون فكرة غير دينى ، ولايأمن النجاة ، وانما يوسم بما فيه من موضوع أو نتائج هدف اليها.

فعلوم الفقة ، والتفسير ،والعقيدة والحديث ،واللغة ، وأصول الفقه والتصوف الاسلامى، وسائر العلوم التى تجرى فى هذا الفلك ، وتتقيد بالنقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، هى علوم دينيه لأنها تخدم الدين ، الاسلامى وفى حدوده ونصوصه تدور.

النوع الثاني: الفكر الغيردينى

وهذا الفكر ليس منضبطا بالنقل المنزل، وليس فى حدود النصوص الدينية، لكن منه مايخدم قضية الدين، ومنه مايخدم اعمار الأرض ، وامكانية

---

(١) الامام البيهقى -السنين الكبرى ج١ ص١٢ ط أولى مجلس بائره المعارف العثمانيه حيد اباد الدكن بالهند ١٣٥٥ الجوهر النقى.

العيش فيها بسلام ، وعملية المواءمة بين النقل المنزل ، وبين المنتج الفكرى ، فى حدود مايخدم البشرية ، ويراعى مصالح الكون ، من غير أن يعاند الشرع فهو مقبول على هذه الناحية.

وهذا الفكر الغير دينى يتنوع الى انواع باعتبار الموضوعات التى يعالجها والغايات التى تهدف اليه فمنه:

١-التفكير العلمى وهو نوع من التفكير المنتظم ، الذى يمكن أن نستخدمه فى شئون حياتنا اليوميه ، أو فى النشاط الذى نبذله حين نمارس أعمالنا المهنية المعتادة . أو فى علاقاتنا مع الناس ومع العالم المحيط بنا[1]

٢-التفكير المادى. وهو الذى يقوم على أنحصار موضوع التفكير فى المادة وحدها فما معنى المادة والمادى اذن.والجواب انه قد وردت مادة م د د فى اللغة على انحاء شئ منها.

١- الامتداد الحسى والمعنوى

من ذلك قولهم : كل شئ يكون مددا لغيره ، بحيث يكون الأول امتدادا للأخر ، امتداد حسيا، أو امتداد معنويا ، وبالتالى فكل منهما - المادى والمعنوى - ملازم للآخر.

٢- الجوهر المادى المركب

ومنه قولهم المادى كل جسم ذى امتداد ، ووزن ، ويشغل حيزا من الفراغ فهو المادى

---

(١) د/فؤاد زكريا - التفكير العلمى ص٦،٥ ط الهنية المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦

٣- الاصول الاولى للشئ.

من ذلك قيل مادة الشئ هى: أصوله وعناصره التى منها يتكون[١]

وطبقا لما سلف يمكن تعريف المادة فى اللغة بأنها الأصول الثابتة للجسم الممتد بصفاته وعوارضه الذاتيه، من طول، وعرض، ووزن وعمق، وسائر الصفات التى لايخلو أمره عنها، ومنها الصلابة والليونة، والخشونة والنعومه والوزن واللون، وغيرها من الأعراض التى تلازمه، والعوارض التى يقف أمرها عنده وهناك تعريفات أخرى للمادة منها.

أ- المادة هى الزيادة المتصله

ب- مادة الشئ هى التى يحصل الشئ معها بالقوة.[٢]

ومن ثم فإن المادة يمكن أطلاق الاسم عليها حقيقة أو مجازا، فإذا جاءت الحقيقة اللغوية، او المجاز اللغوى على النحو البلاغى الجمالى، فتلك شأنها، وليس بمستغرب عليها كما أن مادة م د د جاءت فى القرآن الكريم على الحقيقة والمجاز[٣]، مما يجعل الباحث ينظر اليها فى هذه الناحية، ويبصرها من تلك الزواية.

---

(١) المعجم الوجيز مادة م د د ص ٥٧٥ ط وزارة التربية والتعليم مجمع اللغه العربية بالقاهرة ١٩٩٢

(٢) السيد الشريف الجرجانى - التوقعات باب الميم ص١٧١ ط الحلبى ١٩٣٨م

(٣) احصاها المعجم الفهرسى لألفاظ القرآن الكريم ص٦٦٢ فيرجع اليها من شاء المزيد.

ويراد بها الامتداد الحسى. من أمثله ذلك قوله تعـالى "واذا الأرض مـدت"(١) "فهذا امتداد حسى ، فيه سعة وانبساط على النحو الـذى تـؤدى بـه الأرض وظيفتها التى خلقها الله سبحانه وتعالى ، وجعلها منوطة بها.

ومن ذلك قوله تعالى " وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى اليل النهار ان فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون"(٢) قـال ابـو بكـر بـن الأصـم : المدهـو البسـط الى مـالا يـدرك منتهاه، فقوله تعالى "و هـو الـذى مـد الارض يشعر بأنـه تعـالى جعـل حجـم الارض حجما عظيما لا يقع البصر على منتهاه(٣)

ومثل ذلك ورد فى أيات القرآن الكريم كثيرا ، ويراد به الامتدادوالبسط المكانى، قال تعالى " والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيهـا مـن كـل شئ موزون"(٤) وقال تعالى" والارض مددناها والقينا فيها رواسـى وانبتنـا فيهـا من كل زوج بهيج"(٥)

---

(١) سوره الانشقاق الأية ٣

(٢) سورة الرعد الآية ٣

(٣) الامام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب - المجلد التاسع ج ١٧ ص١٨٣ ط دار الغد العربى ١٩٩٢/١٤١٢هـ

(٤) سورة الحجر الآية ١٩

(٥) سورة ق الآية ٧

والمتتبع لأيات القرآن الكريم يجد هـذا الأمر - ورود كلمة مـادة - قد تعدد مجيئه ، مقصودا به الأمتداد المكـانى ، والبسط فيه ،والاتسـاع من كافة النواحى ، ومن ثم تكون المادة هى الامتداد الحسى على سبيل الحقيقة اللغوية.

الناحية المعنوية

كما وردت مادة م د د على ناحية الامتداد الحسى ، فقد جاءت كذلك على الناحية المعنوية وجاء ذلك فى الآيات القرآنية الكريمة من ذلك قوله تعـالى" واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون[1]

ولاشك أن الغى ليس من الاشياء المادية ، انه من المعنويات ، انه شئ معنوى يقع فيه اصحاب الضلالة حين تستولى عليهم شياطينهم ، ويقودونهم الى المزالق ، ومناطق الزلل.

ان طالبى الضلالة يقفون من دعاة الاصلاح موقف الرافض للنصح ، وهم لايكفون عن الوقـوع فى الضلالة ، ولايتورعون عن الوقوع فى الغى مع أخوانهم يمدونهم فيه ، ويجرون معهم طريقه ثم لايتوقفون عند نقطة توزن عندها أعمالهم . او يحاسبون فيها أنفسهم.

قال تعالى " الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون"[2] وقال تعالى " قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا "[3] .

---

(١) سورة الاعراف الأية ٢٠٢

(٢) سورة البقرة الأية ١٥

(٣) سورة مريم الأية ٧٥

قال الراغب الأصبهانى: أصل المد الجر ، ومنه المدة للوقت الممتد ، ومـدة الجرح ومن النهر، ومده نهر أخر ، ومددت عينى الى كذا ، ومددتـه فـى غيـه، ومددت الابل سقيتها المديد ، وهو بذر ودقيق يخلطان بماء[1]

على أن أكثر ماجاء الامداد فى المحبوب ،والمد فـى المكروه .لكن بقيت نقطة مهمة ، وهى ان المادة تستعمل فى الشئ المادى، الذى له حجـم وعمـق . على مايفهم من الأبعاد المعروفة لكل ما هو مادى . ومـا كـان مـن قبيـل المـاده فهو منسوب اليها ، فيقال هذا الفكـر مـادى متى انحصر فـى المـادة وطرائفهـا وحدها ، أو جعلها همه الاول والأخير ، فلا يؤمن بوجود غيرها، ولايفكر فـى شئ سواها ، هو الذى عرف به الماديون قديما وحديثا ، وفى كل العصـور التـى جاء فيها الفكر المادى ، أو أعلن فيه عن أنفسهم الماديون.

والذى لاجدال فيه هو أن المذهب المـادى قديـم ، والفكـر المـادى صـورة متكرره ومن اليسير متابعتها فـى كـل مراحلهـا لكـن ذلـك ربمـا جعـل حجـم الكتاب يزداد كثيرا ، ولذا سأرجى الحديث عن كل من .

١ -اصول الفكر المادى .

٢ -مبادئه العامه.

٣ -فكره مركزه عـن اهـم مدارسـه القديمـه ، كالمدرسـه الذريـة ، والابيقوريـه والرواقيه

---

(١) الراغب الاصفهانى - المفردات فى غريب القرآن ص٤٦٥ تحقيق محمد سيد كيلانى دار المعرفة بيروت

٤-نظره عامه على الفكر المادى فى العصر الحديث والذى كانت له صور مستجده فى كثير من الحالات

٥-دراسه نقديه لمذاهب التطور، وجوانبه الفلسفيه وكذلك المذاهب التى تحيط بها، كالتشوء، والارتقاء، والتطور فى العلوم البيولوجيه

كما لايمكن التخلص عن ألافكار التى طرحتها الوضعيه المنطقيه، والوضعيه الطبيعيه، والوضعيه الاجتماعيه باعتبارها امتدادات للفكر المادى، وصور من ذات الفكر بل هى وليده وربيب له، ممايجعلنى أقدم لمحه عن مبادى الفكر المادى عند الوضعيه المنطقيه، باعتبارها أحد التيارات التى تضرب بقوه فى بناء المجتمع المسلم، وربما انخدع بها بعض الاغرار أواعتقد صحتها من لايملك أتخاذ القرار .

فما هى اشهر المبادئ عندهم وموقف الاسلام منهم وسأجعل ؟

الفصل التالى تجميعا لبعض شبهاتهم ومناقشتها والرد عليها بعد تنفيدها واثبات بطلانها . فما هى شبهات الفكر المادى؟

تاريخ الفكر المادى

لم يكن الفكر الانسانى فى بدايه عهده منظما كما عليه الحال اليوم، وانما كان فكرا فرديا تقوم عناصره على الانسان ذاته من غير تحديد لموضوع تتم

المناقشة حوله علميا كان أو غيره ، ولذا نقلت لنا المنقول الكثير من الأساطير ، والأكثر من الخرافات ، بجانب القليل الذى يمكن الحكم عليه بالصحة.

وكانت مهمة النبى هى تعبيد الناس الاله الخالق العظيم جل علاه وتعريفهم به سبحانه وتعالى ، وما يجب عليهم نحو هذا الاله العظيم ، وكانت الأمور تتم مع الأنبياء ، وفى الأمم التى بعث فيها رسل ، ووجد فيها أنبياء.

بيد أنه كانت هنالك أماكن أخرى - غير ما سلف ذكرها - اتسمت بالعديد من السمات التىجعلها تختلف عن غيرها فهى أما:

١-اماكن فرغ منها نبى بعد قيامه باداء مهمته معهم، ومازالت تلك الأمة على عهدها مع ربها طبقا للنحو الذى جاءهم عليه النبى.

٢-اماكن كان فيها نبى ثم تركها وهى فى انتظار نبى جديد يصحح لها مسار حياتها ، ويهدى الحائرين من أفرادها ، ويعيد القطيع الضال الى مأمنه.

٣-أماكن تخلفت عنها رسالة الله، لأن هذه الأقوام وتلك الأمم رفضوا تعاليم الله ، ونكصوا عن الانصياع لتعاليمه ، بل وكذبوا رسله وأنبياءه فعاقبهم الله تعالى ثم تركهم فى ظلمات يعمهون، فهمفى تخبط مستمر ، واختلاف دائم ، وخروج على الشرع لايرجى بعده عود مقبول.

٤-اقوام بعدت بهم السبيل عن الشرع الحكيم ، فصنع لهم مفكروهم أديانا يقبلون عليها وتعاليم يخضعون لها ، وكان مفكروهم يستخدمون امكانياتهم فى الاضافة اليها والحذف منها ، والتبديل والتعديل حسب ما عليه ظروفهم الوقتية وملائمه تلك الظروف للنواحى الحياتيه. من ذلك .

تفسير ظواهر الكون المحيطه بهم تفسيرا يتفق مع امكانياتهم او يختلف ، لكن المهم . انه تفكير عقلى . و لم تقف الوثائق المؤكده لتعطى فكره محدده عن أول شعب او قوم أو جماعه يمكن اطلاق الفكر المنظم على أعمالهم على سبيل اليقين والقطع ، ولكن الشائع وجود عدد من الآمم نشأ فيهم التفكير العقلى المنظم فى وقت واحد . وها هو ديمقريطس صاحب المذهب الذرى يقرر : ان أحدا لم يتفوق عليه فى علم الهندسه ، حتى ولا المهندسون المصريون اذن وجود فكر محدد عند شعب بعينه أمر غير مسلم وانما ابرزهم .

١-المصريون القدماء ولن أتحدث عن جانب العماره والفن فالاهرامات تحدث عنه ، ولكن مسأله البعث والحساب والجزاء دليل قوى على أن هؤلاء القدماء كان لديهم استعداد فطرى لقبول الميتافيزيقا وان يكونوا قد تعاملوا معها مباشره وان كنت أرجح أنهم لم يبكروا الميتافزيقا ، وانما تقوم عندهم على مفهومها لا بلفظها .

٢-اليونان ، برز الاتجاه الفكرى عند اليونان فى وقت مبكر، وكان غالبه يبحث عن الميتافيزيقا لكن فى جانب محددمنها وهو أصل الكون وشغل فكرهم الجانب المادى ،فبحثوا عنه فى الماده بأشكالها ، ومن ثم كان فيهم من رفضوا التسليم بوجود ماليس ماديا ومن هؤلاء .

٣-الصينيون .

٤-الهنود .

٥-أمة الفرس .

٦-العرب القدامى .

٧-الوضعيه المنطقيه

٨-منكر والميتافيزيقا فى العصر الحاضر .

لا أقصد من هذا تعدداهم فى الشرق والغرب ، أو فى الشمال والجنوب فهذا مالايتمكن منه باحث وحده ، وانما يحسن أن تقوم به هيئه علميه تخصص فتره زمنيه ، ومجموعه من العاملين بها ، مع اتاحه الكثير من الامكانيات ، وهذا مالا أتخذث فيه . الان انما اتحدث عن منكرى الميتافيزيقا فى مصر باعتبارها .

قضيه انكار الميتافيزيقا .، لاباعتبار المنكرين أنفسهم . من ثم سأركز على ما يلى .

اولا . عرض قضيه الانكار وأسبابه

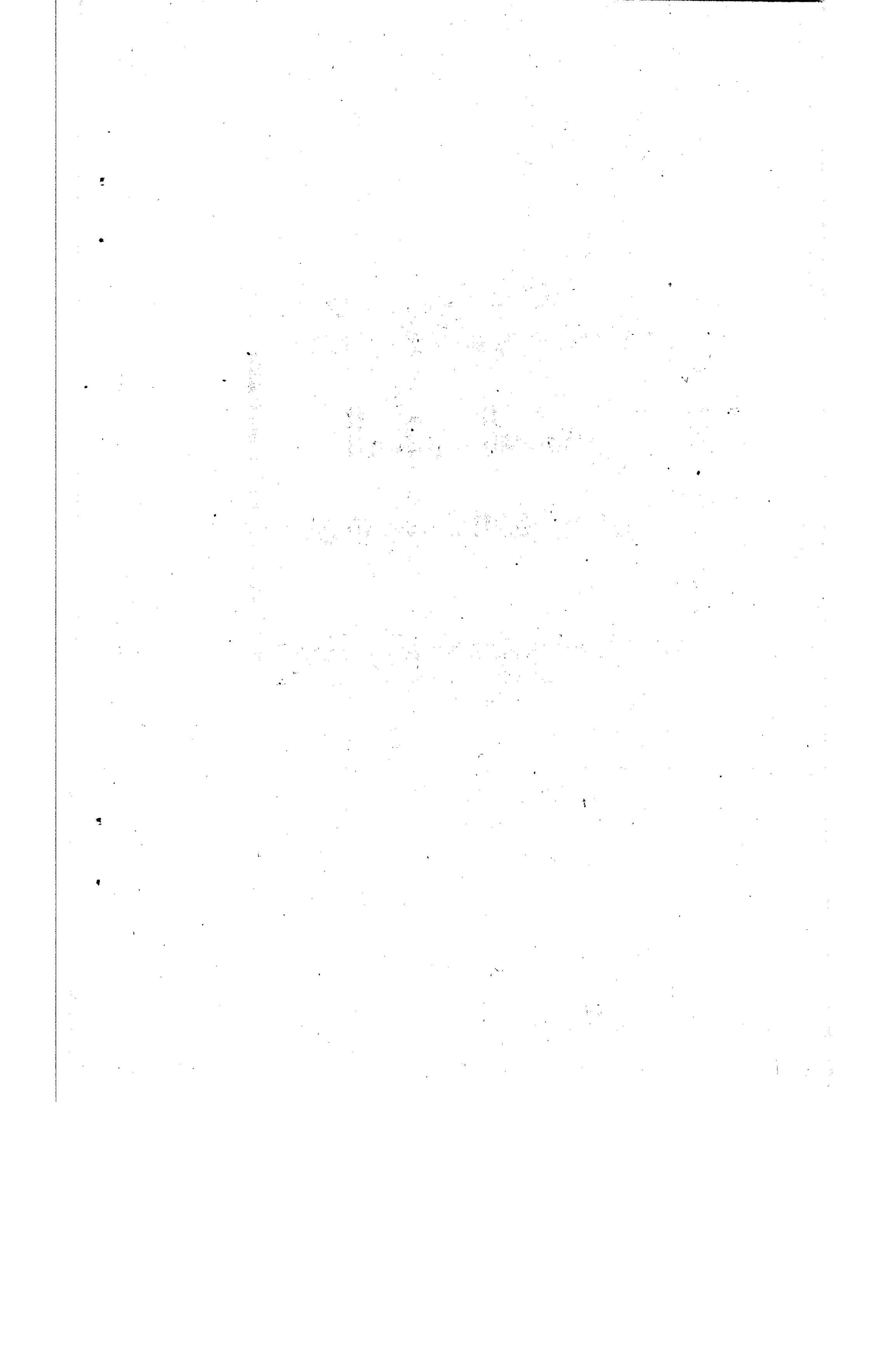
ثانيا . تفنيد ألاسباب ورفض الانكار .

ثالثا . الموقف الامثل لمعالجه المسأله .



المبحث السادس

من شبهات الفكر المادي



تمهيد:

للايمان بالغيب أثره القوى فى تناول الميتافيزيقا ، ذلك لآن المؤمن بـالغيب يعتقد فى وجود موجودات غير محسوسه وهذه المسـائل الغيبيه تـدور فيمـا وراء الطبيعه ، لان مسائل الغيب كلها فى علم الغيب ولا سبيل الى توقعها .

على ان الفكر الذى يعتنق الايمان بالغيب لايمكنه انكار الميتافيزيقـا أبـدا ، لآن الغيب أعم ، والميتافيزيقا أخص ،وهو قد أمن بـالآعم فـلا شـك أنـه مقر بالاخص ضروره أن التصديق بالاخص يتبع التصديق بالاعم ، بل الاخص فرع منه ، ومتفـرع عنـه واذا كنـا قـد فرغنـا مـن القـول بـأن موضـوع الغيـب هـو اللاماديات أمكن القول بأن الميتافيزيقا جزء من الغيب الذى يجـب الايمـان بـه ، حسب ماجاء به الشرع الشريف فى النقل المعصوم .

ومن المعلوم أن الميتافيزيقا هى مباحث الالوهيه والصفات الالهيه وما يتعلق بها كما أن الفلسفه لها مباحث ثلاثه هى :

١.الوجود

٢.المعرفة

٣.القيم

ومن هذه المباحث الثلاثه - الوجود والمعرفه والقيم- بمختلف فروعهـا ، يتألف - عند جمهره الفلاسفه- الموضوع الرئيسى للفلسـفة ، ولذلـك سنحاول التعريف بالوجود وأقسامه كمطروح فلسفى ، ومبحث من مباحث الفلسفه .

الاول : الوجود - الآنطولوجيا.

وهويشمل "النظر فى طبيعة الوجود على الاطلاق ، مجردامـن كـل تعيـين وتحديد[١] ونعنى به الوجود المجرد عن الوصف بـالقدم او الحـدوث المجرد عـن التركيب او الكثرة الوجود كفكرة مجروة ، وموجود فـى الذهـن فقـط ، والـذى يسمى عندنا لمناطق التصور المجرد .

المذاهب الفلسفيه فى تفسير الوجود

اختلـف الفلاسـفه فـى تفسـيرهم لطبيعـه هـذا الوجـود ومفهومـه كمبـدأ ميتافيزيقى . وانتهى هذا الاختلاف معهم الى جعلهم اقساما بحسب المتناولين لـه منها:

الأول : أصحاب المذهب الواحد.

وبجمله . أن الوجود له طبيعه واحـدة ، وهـذه الطبيعـه الواحـده ، امـا أن تكون الماده وحدها ،أو تكون الروح وحدها ولا تخرج طبيعه الوجود عن أحـد هذين أبدا ، ومن ثم نشأ عن هذا القسـم مذهبـان مختلفـان فـى تفسـير طبيعـة الوجود وأنتهى الامر معهم الى ان الوجود واحد من أثنين :

١-ان يكون الوجود ماديا فقط وهم أصحاب المذهب المادى

٢-ان يكون الوجود روحيا فقط وهم اصحـاب المذهـب الروحـى . وهـو مـا سوف نفصل القول فيه طبقا لما يلى :

---

(١) الدكتور - توفيق الطويل - أسس الفلسفه صـ ٨٧

١- المذهب المادى:

يرى اصحابه " أن الوجود مادى فى طبيعته، ولا شئ فى الوجود غير الماده ،والحياةوالحركه وغيرها مما يظن البعض أنها تشهد بوجود الروح أو العقل ليست فى الواقع الا وظيفه من وظائف المادة ، أو صفه من صفاتها ، فاذا انحلت المادة، توقفت الحركه ، وانعدمت الحياه . [١]

انهم لا يشاهدون الوجود الا مادة ولايؤمنون الا بالمادة ، ولايعبدون او يقدسون سوى المادة . كل شئ هو المادة والمادة أيضا هى كل شئ .

ولا شك أن هذا المذهب خاطئ على كافه نواحيه ، لآنه ينكر الغيبات كلها ، كما يجعل المعرفة الانسانيه محصوره فى الماده فقط ، كذلك يجعل القيم الروحيه ماديه ، ولا يختلف عندة العقل والروح والنفس والفكر عن الآجسام الماديه بينما يقر العقلاء ضرورة وجود عالم الغيب وعالم الشهادة ، فالانسان مثلا يتكون من الجسم والنفس والعقل والحب والبغض ، وبالتالى فان هناك مادة وروحا معا . وهما اللذان يطلق عليها اسم الانسان ويعرف بأنه حيوان ناطق فالحيوانيه هى الجسميه ، والنطقيه هى الروحية.

وهذا المذهب المادى ليس غريبا على الفكر الانسانى ، فان هناك جذورا قديمه فى التاريخ الفكرى ، عبدت الماده .وامنت بأن مالا وجود له فى الحس لا يمكن التصديق به أو قبوله [٢] وكلها رفضها العلماء ، و لم يناصرها الا غير

١- المصدر نفسه صـ ٢٣٩

(٢) ابن سينا - الاشارات والتنبيهات - القسم الثالث . فى الوجود وعلله صـ٩٥

العلماء والذين لا يعتد بهم ، وهم فى جملتهم ملحدون ، وقد سلك أصحاب هذا المذهب المادى مسالك معوجه ، بدءا من اطلاق اسمه على ما يميلون اليه حيث يطلقون على أنفسهم الاسم المادى،أصحاب الوضعيه المنطقيه مره - والوضعيه الطبيعيه ثانيه ،وأخرى اللاأدريه ، وثالثه أصحاب المذهب التحليلى ، وخامسه أصحاب الفلسفه العلميه.

كما أنهم يختلفون فى الموضوعات التى يخصونها بالدراسه . فمره تراهم يعلنون أن الحقائق - الدينيه لا تدخل ضمن أبحاثهم كما فعل ذلك كانت[1] ربما خوفا من سطوه رجال دينهم عليه ومره يصرون على أنهم يبحثون فى الماده وأنها وحدها الموجوده ولا عبره بغيرها . حتى رددوا ومعهم من يتبنى مواقفهم :

"الحق ألا اسراف ولا تجن من رجال العلوم حين يهاجمون الفلسفة" قائلين: انها حين تبحث فى مشكلات مثل وجود الله ، وخلود الروح ، وحريه الاداره ، فانما تنسج نظرياتها من رؤس الفلاسفة نسجا لا تستند فيه الى تجربة[2]

وهذا المذهب لا يعتنقه الا الملحدون ، ويجمعهم اتجاه " تفسير الوجود بالمادة وحدها [3] ومن ثم يمكن اطلاق اسم الفلسفه الطبيعيه على هذا

---

(١) الدكتور / محمد البهى - الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص٢٣٩ مكتبه وهبة الطبعه الحاديه عشر عام ١٩٨٥

(٢) د/ ذكى نجيب محمود موقف من الميتافيزيقا صـ١٥ .

(٣) د/توفيق الطويل اسس الفلسفة صـ٢٤٠ .

المذهب. لآن الفلسفه الطبيعيه مهمتها " تفسير الوجود المادى [١] وحده وكذلك الموازنه " بين الفروض العلميه العديدة المتضاربه التى يضعها العلماء ، مستندين الى علمهم ببعض الحقائق ، وأن تقدر القيمه الفلسفيه لهذه الفروض [٢] اذن الفلسفه الطبيعيه التى يمثلها المذهب المادى تبحث فى عالم الماده وحدها ، ومن جهة نظر عامه ، ولايؤمنون الا به وحده ويكفرون بما وراءه .ونظرا لخطورة هذا المذهب على قضايا الميتافيزيقا سنخصه بالدراسه بعد استعراض أشهر المذاهب الفلسفيه وموقفها من المسأله .

٢- المذهب الروحى :

ويرى أصحابه " أن الوجود روحى فى طبيعته ، وأنه ليس فيه غير الروح أو العقل ، وان المادة في كل صورها ليست الا ظاهرة من ظواهر الروح ، والقائلون بهذا هم أصحاب المذهب الروحى [٣].

وهم لا يقبلون أن يكون فى الوجود ماهو مادى ، انهم أشبه ما يكون بأصحاب المواقف المتناقضة الذين لاهم لهم الاتبنى مواقف مضادة بغض النظر عن النتائج المنتظرة ، او الوقائع الثابته او غير المحدودة .

وهذا المذهب فيه من الغموض ما يعوق استمراره ، لآنه ينكر الماديات وهى موجوده وانكارها سفه والمشهور أن حقائق الاشياء ثابته والعلم بها

---

(١) اوزفولد كولبه - المدخل إلى الفلسفة ترجمة د/ أبوالعلا عفيفى ص٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ص٧٢،٨ .

(٣) الدكتور توفيق الطويل - أسس الفلسفه ص٢٣٩

متحقق " فمثلا من يصدق ان الحجر فكر ، وان الحصى روح وعقل . بل وباقى الجمادات التى لا ينكر عاقل أنها جمادات فكيف يصير القول مقبولا ، مع أنه يتجه الى رد الظواهر الماديه المتحيزه الى ظواهر روحيه أو عقليه . ولذا فان هذا المذهب تجمع أصوله مدرستان :

" الأولى : مدرسه ترد العالم الى كثره من الافكار.

" الثانيه : ترد العالم الى عقل واحد ، أو نظام عقلى فريد [١] .

القسم الثانى : أصحاب المذهب الثنائى:

وهم الذين يفسرون الوجود على أنه مكون من روح ومادة معا وهؤلاء قد جمعوا بين عنصرى المذهب الواحدى ، لكنهم أصروا على وجود ثنائيه يرد اليها أصل الوجود ، والعنصران هما الماده والروح ، لكن أيهما أسبق ، لانجد اجابه كافيه ، غير أن هنالك أمرا أخر هو أن دعاة المذهب الثنائى وجدت لديهم الرغبه القويه فى فصل المادة من حيث المفهوم ، عن العقل من حيث هو محل التفكير ؟ فالماده لها امتداد ظاهر ملموس بحكم أنها ماده ، وهى لاشك تخالف العقل الانسانى باعتبار أنه صاحب التفكير .وعرف علماء المسلمين العقل بانه نور روحانى به تدرك العلوم الضروريه والعلوم النظريه وهو متعلق ببدن الانسان [٢] .

---

(١) المصدر نفسه ص٢٤٧

(٢) التعريفات ص١٣٢ وتحدثوا عن العقل ، وذكروا له أنواعا عديدة منها العقل بالملكة والعقل بالفعل ، والعقل المستعار والعقل الهيولانى وغيرها .

وهذا المذهب قديم ، لكنه كان فى الماضى تظهر فيه التفرقه بين العنصرين المادة التى نشأ عنها الوجود ، والعقل العـام ، أو الروح السـاريه فـى الكـون ، والتى هى " مبدأ وجوده" ؟ ومصدر حركته " غير أن القول بوجـود مـادة نشأ عنها الوجود ، وعقل عام هو مبدأ الوجود ، ربما يؤدى الى تصور وجود تعـارض بين مبدأين كل منهما يؤكد أحقيته فى تزعم المذهب وليس الآمر كذلك. (١)

أجل . ان العقيـدة الايمانيـه تـلزم المرء بضـرورة قبـول فكـرة الثنائيه فى الوجود من الماديات واللاماديات على النحو المقرر شرعا ،واعنى به المكون مـن عالم الغيب وعالم الشهاده ، ولكل منها حدوده الفاصله التى لا يمكن تجاوزها ، بل ولكل منها تصوره

و لم أجد مذهبا أودينا- حسب دراستى - تنـاول هـذه المسأله بدقه الا دين الاسلام الحنيف ، الذى فرق بين الموجود الخالق رب العالمين وصفاته التى لاتنطبق على أحد سواء ، و بين الموجود المخلوق الذى له من الخصائص ما اذا ذكرت عرف منها ، وقد فرق القرآن الكريم بين هذين بدقه لاحدلها .

فعن ما يخص الخالق الله رب العالمين قال تعـالى" قـل هـو الله أحـد ، الله الصمد ، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد "(٢)

وعن ما يخص المخلوق الانسان مثلا قال تعالى " أيحسبب أن لم يره أحد ، ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين " وهديناه النجدين (٣)

---

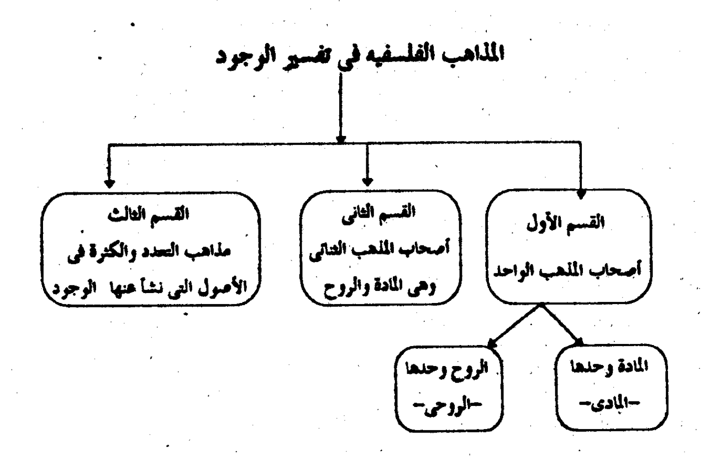
(١) الدكتور / عبد المعطى محمد بيومى - جذور الفكر المادى ص٥٥ط دار الطباعه المحمديه بالقاهره ١٩٨٤م.

(٢) سوره الاخلاص

(٣) سوره البلد الايات ٧/١٠

القسم الثالث : مذهب التعدد والكثره:

ويرى أصحابه : ان الوجود نشأ عن كثرة من الاصول المتعدده ، وهذه الكثرة فيها ماديات كثيره وروحانيات كذلك ، ويمثل هذا الاتجاه " أصحاب القول بالذرات الماديه والروحيه أصلا لهذا الوجود ، الذين يعتبرون من أصحاب مذهب التعدد والتكثر .[(١)]



غير أننا سنخص المذهب المادى وحده بالنظر فيه ، وبخاصة دعاة الوضعية المنطقية منه ،والوضعيـة الطبيعيه ، لانهم اذا كانوا يقولون بأنه لا وجود الا للمحسوس ، وان الميتافيزيقا بالمعنى المرفوض عند دعاه الوضعيه ، هى تلك المحاولات التى يحاول بها أصحابها أن ينبئوا بأحكام ايجابيه عن أشياء غير

---

(١) الدكتور / توفيق الطويل - أسس الفلسفه ص٢٣٩

محسوسه [١] " فانهم حتما سيواجهون بأشياء موجوده غير محسوسه كالجاذبيه والمغناطيسيه وغيرها مما يقرون بـه ولا يستطيعون أن يحسوه بحاسه ما . كما أنهم من الملحدين الذين كتبوا كثيرا بغرض التـأكد على فكرهـم الهزيـل ، فى محاوله للسباحه عكس التيار ولذا سنركز عليه .

كما أننى لن أخرج بالوضعيه عن نقل واحد من أبناء وطننا ، اعتبر نفسه صوره للوضعيه والمتحدث باسمها المدافع عن كافـه قضاياهـا ، ورغـم أننا مسلمون وشعب اغلبه مؤمن مسلم ، الا أنـه جـاهر فـاصدر كتـابه خرافـة الميتافيزقيا [٢] ، ونحو فلسفة علمية وأخيرا موقـف مـن الميتافيزيقـا [٣] وان كـان الاول هو نفسه الاخير حسب ما ذكره بنفسه [٤] من ثم سنعتبره ممثلا ونـاقلا للوضعيه بالرغم من أنه لا يعرف الى أى وضعيه منهـا - المنطقيـه ام الطبيعيـه - ينتسب ، او عن أى منها ينقل ؟

---

(١) الدكتور / زكى نجيب محمود - موقف من الميتافزيزيقا ص٤٢

(٢) أصدر سنه ١٩٥٣

(٣) هو نفسه أصدر طبعته الثانيه سنه ١٩٨٣

(٤) يقر بهذا فيقول : فقد رأيت أن أستبدل بعنوان الكتـاب فى طبعتـه الاولى وكـان خرافـه الميتافيزيقا عنوانا أخر هو موقف من الميتافيزيقا لعل هذا العنوان الجديد أن يكون أخف وقعا على الاسماع وأقرب الى الموضوعيه والحياد من : نص المقدمه

٢- موقف الوضعية من الميتافيزيقا

أ - تصوير الموقف :

يرى دعاه هذا المذهب أن هناك نوعين من الميتافيزيقا ، وهذان النوعان هما : الميتافيزيقا التأمليه ، والميتافيزيقا النقديه ، ويؤكدون على أن الاولى هى المرفوضه لأنها تبحث " فى أشياء لاتدخل فى حدود التجربه الحسيه كالمطلق والعدم وما اليها ، وهو ما يطلق عليه عادة اسم الميتافيزيقا (١)

ويؤكدون على أن هذه الميتافيزيقا لا قيمه لها ، لأنها لاتقدم جديدا ، ولا يمكن التأكد من صدقها أو كذبها عن طريق التجربه أو التحليل ، بل انها تمثل عباره فارغه من المعنى .

يقول قائلهم " العباره الميتافيزيقيه التى تخبرنا عن شئ غير محس عباره فارغه من المعنى لسبب بسيط . وهو انها ليست مما يجيز المنطق أن يكون كلاما على الاطلاق " اذن أصحاب هذا القول يرفضون الميتافيزيقا التأمليه التى لا يمكن التثبت من صدقها أو خطئها عن طريق التحليل أو التركيب على حد زعمهم .

وربما تكرر هذا الموقف الرافض للميتافيزيقا التأمليه حيث يقول : "المرفوض هو أن يبنى الفيلسوف بناءه الفكرى فى ذهنه ، ثم يزعم أنه تصوير لحقيقه الكون كما هى قائمه فى الوجود الواقعى خارج ذهن الانسان صاحب البناء ، فشأن الفيلسوف الميتافيزيقى وهو يقيم البناء العقلى ليبدأ نتائج مستمده من

(١) الدكتور زكى نجيب محمود - موقف من الميتافيزيقا ص٦٩

مبادئ هي نفسه شأن الرياضي حين يقيم بناءه الرياضي مستخرجا فيه النتائج من المسلمات .(١) وسنعود لمناقشه هذه المسأله بعد عرضنا للموقف اجمالا .

أما الميتافيزيقا المقبوله فهي التي تخضع للتجربه ، ويتم فيها أمر التحليل ، وتكون مفرداتها ذات قيمه ميتافيزيقيه ويعبرون عنها بالميتافيزيقيا النقديه ، حيث يتم فيها تحليل قضايا العلم الرياضي والطبيعي "وتلك هي ما أسميناها بالميتافيزيقا النقدية في مقابل الميتافيزيقا التأمليه ، ونحن نقر الأولى وترفض الثانيه (٢)

وطبقا لهذا يكون دعاة الوضعية قد أجمعوا أمرهم على رفض الميتافيزيقا التي لاتخضع للحس ولايمكن معها التجربة ، ولاتصلح للتحليل كالمطلق ، والعدم وسائر الغيبيات .

اذاً تركز رفضهم على :

١-المطلق

٢-العدم

٣-الروح

٤-سائر الغيبيات

غير أننا نسأل ماهو المعيار الذى وقفتم عنده في هذا التقسيم؟ والجواب يقررونه بأنه سهم وهو "أن الجملة من حيث الصدق أوالكذب أنواع ثلاثة: النوع الأول : الجملة الصادقة حتما كقولنا : الكل أكبر من أى

---

(١) المصدر نفسه ص هـ من المقدمة الثانية

(٢) المصدر نفسه ص ك المقدمة الثانية ط٢

جزء من أجزائه وهي جملة صادقة لأن جزئيها لايناقض أحدهما الآخر بل يؤيده عند التحليل لمضمون الجزء الثاني بعد أن يذكر الأول ، ومثلها أن تقول ٢+٢=٤.

النوع الثاني : الجملة الكاذبة حتما : وهي جملة ينقض جزؤها الثاني جزأها الأول "كأن تقول: ان المثلث لاتحيط به ثلاثة أضلاع[1] رغم أن الأضلاع الثلاثة هي جزء ماهية المثلث : وبالتالي فهي جملة كاذبة ضرورة.

النوع الثالث : الجملة التي تحتمل الصدق والكذب معا ، وهي الجملة التجريبية ، فمثلا إذا قلت أن الحديد يتمدد بالحرارة فهي صادقة . أما اذا قلت أن الحديد لايتمدد بالحرارة فهي جملة كاذبة . اذن صدقها أو كذبها خاضع للتجربة على عكس النوعين الأولين.

وبالنظر إلى ماسبق ذكره من تقسيم لأنواع الجمل ، فإن الميتافيزيقا التأملية لاتدخل ضمن واحدة من الجمل الثلاث فهي ليست صادقة لأننا لانتمكن من معرفة صدقها عن طريق التجربة ولاعن طريق التحليل إلى أجزاء يدعم ثانيها أولها . كما أنه لايمكننا الحكم عليها بالكذب ، اذن هذه الجملة ليست لها قيمة ، وليست ذات معنى . بل هي عبارة فارغة تماما .

ويضرب لذلك مثالا فيقول " قولنا : الخير غاية الوجود " كيف يمكن التحقق من صدق هذه الجملة مثلا ، وما الفرق بين من ينقض هذه الجملة "

---

(١) المصدر نفسه ص

فيزعم أن الشر هو غاية الوجود؟ كلا القولين سواء فى عدم قابليتهما للتحقق من صدق أيهما أو كذبه "(١) ، وبالتالى فهم يرون هذا النوع من الميتافيزيقا يجب حذفه.

على أنهم يؤكدون كثيرا أن القضية الميتافيزيقية – من النوع التأملى – لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب ، وبالتالى فهى قضية ليست منطقية فى ذات الوقت ، أما لماذا فلأن تعريف القضية المنطقية "هو أنها مايمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب "(٢) وحيث أن الجملة الميتافيزيقية لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب ، فهى خالية من المعنى ، وكذلك سائر جوانب هذا النوع من الميتافيزيقا ، وقد ترتب على هذا الانكار أن امتد إلى إنكار الألوهية ، وإنكار اليوم الآخر بكل ما فيه ، ومنكر هذا كافر ما دام قد صرح به.

والباحث يري نفسه أمام موقف فكري – ان صح الوصف – لكن هل له من الشبهات ما يعضده ويجعله يفوز بالنظر فيه ؟ أن محاولة التعرف على جوانبه يجب أن يحذوها الامل ويصاحبها الرجاء في القبول والتوفيق ، ذلك لآن أصحابها فيهم من الدهاء واللولبيه وسرعه التهرب ، والرغبه في التنكر ما يجعل أمورهم غامضه متقلبه . ودليل ذلك أن صاحب خرافه الميتافيزيقا(٣)

---

(١) المصدر نفسه صـ ك من المقدمة الثانية .

(٢) المصدر نفسه صـ ى ، ك من المقدمة الثانية .

(٣) أما أحدهما- الاستاذ الدكتور/ محمد البهى ونشر نقده فى كتابه الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى وطبع حتى الان احدى عشر طبعه كانت الاولى سنه ٥٧ وانتقاداته فى جملتها قويه ، وثانيهما هو المرحوم الاستاذ الدكتور / سليمان دنيا وقد نشر نقد ، مفصلا فى كتابه التفكير الفلسفى الاسلامى سنه ١٩٦٧ ، والملاحظ ان ثلثى الكتاب فى نقد الوضعيه بوجه عام ، وخرافه الميتافيزيقا بوجه خاص

بعد ان قويل فكره الهزيل بنقد دينى قوى وبخاصه مـن علمـين مـن أعـلام الازهر الشريف - لم يُعد طباعه الكتاب فى حينه ، و لم يقم بالرد حفاظا على مركزه العلمى وكان عليه أن يرد حتى يقاوم الرأى بمثله والحجه بقرينتهـا او يعتذر حتى لا يتعلم تلاميذه الضلال والنصح أمـر ضـرورى بـل هـو واجبـه ، وانما سكت حتى تنتهى العاصفة ويمر وقـت طويـل - ثلاثـون سـنه - ثـم طبـع الكتاب مره أخرى تحت اسم أخر هو "موقف من الميتافيزيقـا [1] وأشـار الى أن الكتاب انتقد و لم يخبر عن منتقـد بـه حتى يكـون القـارئ على علاقـه بـالرأى وعكسه .كما لم يقم بابراز هذه الانتقادات والطعن عليهـا ان كـان بامكانـه او الرد عليها وكشف وجوه الخطأ فيها ان كانت له وجهه نظر أخرى رغم ادعائه أنه يعرف مواضع بطلانها حيث يقول :"

وجهـت الى الكتـاب هجمـات نقديـه ، كنـت يومئـذ أدرك مواضـع بطلانها.[2] كما أن هذا الموقف المتهرب صاحبه موقـف متخـاذل حـين حـاول صاحبه معالجه موقفه فى المقدمه التى أعدها "لموقـف منالميتافيزيقـا " وفرق بـين العقيده الدينيه والبحث ولكنه يقول :"اننى أقدم رساله أوحى بهـا الى مـن عنـد ربى لأبلغها ، وهاهنا لا يكون مدارالتسليم بالرساله برهانـا عقليـا على صـدق الفكره ونتائجها المستدله منها ، بل يكون مـدار التسـليم هـو تصديـق صـاحب الرساله فيما يرويه وحيا من ربه ، أى أن مدار التسليم هو الايمـان [3] " وأقـول

---

(١) صدر فى ١٩٨٣

(٢) موقف من الميتافيزيقا صح

(٣) المصدر نفسه المقدمه الثانيه صو

أنه موقف متخاذل ،لآن صاحبه يصر على ما ذكره فى صلب كتابه ، ولم يغير منه حرفا ، وانما كانت هذه التفرقه فى المقدمه الثانيه كنوع من ارضاء النزعه الدينيه لمن لم ترقهم أفكاره دينيا ، وارضاء لاتجاه عام يعيش فيه فأبقى الآصل على ماهو عليه لارضاء نزعته الخاصه ، وجعل المقدمه الثانيه فيها بعض الاعتزار متصورا أنه بهذا يحاول ارضاء أصحاب النزعة الدينيه .

وهو ليس على صواب فى الآمرين ،لآن أصحاب النزعه الدينيه لا يرضيهم حرف أو حرفان أو جمله أو جملتان يحاول صاحب الالحاد أن يغرر عليهم بها "لآن الفارق بين الايمان والالحاد كبير ، والمؤمن يقر بالغيب جمله وتفصيلا ، والملحد ينكر الغيب جمله و تفصيلا ، وعبارته لا تتيح تقبل أفكاره أبدا .

وكيف يمكن قبول تلك الافكار التى يزعم صاحبها أنه اوحى اليه من ربه بما يسميه تلك الرساله فأى شخص هذا ، بل أى وحى ذلك الذى أتاه ، وزمن الوحى قد انتهى ، ومدعيه بعد الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ كاذب ، لان سيدنا محمد ﷺ هو النبى الخاتم ﷺ .

كما أن الآمر سهل لوكان يريده . وهوتتبع نفس فكرته الالحاديه ومعالجه أوجه القصور فيها ، وكان بامكانه ذلك فى ثلاثين سنه مرت بين الطبعه الآولى والثانيه ، اذن الموقف المعتمد عندنا هو صلب الكتاب ، وأنه ينكر الميتافيزيقا التى لا تخضع للحس ولا التجربه ولا تدخل فى نطاق الحكم عليها بالصدق أو الكذب ومنها المطلق والعدم على ما هى عبارته .

وربما تسأل ما هى الاله المطلق والجواب أن الفلاسفه يرون المطلق هو الله اذن هو على طريقه الفلاسفه ... وجود الله تعالى ، وعلى طريقه المتكلمين كافر بالله ، لانه أنكر الغيب ... فما هى الشبه التى اعتمدوا عليها؟

الشبه التى اعتمدوا عليها :

حاول صاحبهم أن يقدم عددا من الشبه فى ثنايا سطوره ، سواء كان ناقلا لها ، مقتبسا نصوصها ، مبينا لها أو متصورا ولذا سنرتب الشبه حسب ورودها ، ثم نقوم بالرد عليها مع الأخذ فى الاعتبار التركيز على ردود كل من العالمين الجليلين : أ.د/ محمد البهى ، أ.د/ سليمان دنيا ، لأنهما اللذان ردا عليه حسب ما وقفنا عليه : بالشكل الكافى ، الذى اوقعه فى حيره ، وكشف تلبيساته وجعل مساعديه وأعوانه يولون مدبرين

الشبهه الأولى : لا وجود الا للمحسوس :

يقول : "ان الذى نتصدى لانكاره فى هذا الكتاب انكارا قاطعا ، هو امكان التحدث عن أشياء غير محسه ، وهو موضوع الميتافيزيقا بالمعنى الذي نرفضه "[1] وكثيرا ما يتكرر منه هذا الجانب لا فى الايمان به ، ولا التحدث عن وجوده وانما عن رفضه والكفر به ، بل والدعوى الى مناهضتها فنراه يقول : " الميتافيزيقا بالمعنى المرفوض ، هى تلك المحاولات التى يحاول بها أصحابها أن يثبتوا بأحكام ايجابيه عن أشياء غير محسوسة اذن هو يرفضها ايمانا ويرفضها معرفه ، كما يرفضها تشريعا و أخلاقا .

---

(١) الدكتور ذكى نجيب محمود - موقف من الميتافيزيقا ص٣٦

وربما يتصور أتباع الوضعيه أن صاحبهم لم يؤكدعلى رفض فكره وجود الله ، وأنه انما يبحث فى الميتافيزيقا العمليه تاركا التأمليه لأصحابها ولكنه هنا يكرر قوله ويؤكد الحاده الكامن فى اعماقه يقول :" موضوع البحث الميتافيزيقى بصفه خاصه وأعنى بها :

١-الله

٢-- الروح

٣-الخلود

هل يجوز القول فيها أو لايجوز ..

ثم يذكر رأى كانت فيها حيث يقول :" ان الحديث فى الموضوعات الميتافيزيقيه بهذا المعنى الخاص ، وهى الله والروح والخلود ممكن ، لكن امكانه لا يكون عن طريق العقل النظرى ، لآن هذا العقل النظرى له حدود لا يستطيع مجاوزتها بغير أن يطوح بنفسه فى الظلام والمتناقضات ، وهنا تختلف الوضعيه المنطقيه عن كانت ، لآنه فى رأى هذا المذهب الوضعى المنطقى أن الحديث فى هذه الامور وأمثالها غير مشروع بتاتا ، مادمنا نريد بالحديث أن يكون منطقيا - والوضعيه المنطقيه ترفضها على أساس أن عبارتها ليست من الكلام المفهوم عند المنطق ومعاييره ،..

وأصحاب المذهب الوضعى يبنون استحاله الميتافيزيقا على أساس أن أقوالها فارغه من المعنى .[١] اذن القضيه الآساسيه عندهم هو انكار كافه الآمور الغيبيه

---

(١) المصدر نفسه ص٥٠ ، ٥٣ ، ٥٢ .

التى لا تقع تحت الحس ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب بمقياس العالم المشاهد كضروره منطقية ومن هذه الامور - على حد قوله - الله والروح والخلود ، وهى جوهر الغيب التى يفرق بين المؤمن والكافر بها . علما بأنه يحدد" الميتافيزيقا بأنها البحث فى أشياء لا تقع تحت الحس ، لا فعلا ولا امكانا لأنها أشياء بحكم تعريفها لا يمكن أن تدرك بحاسة من الحواس (١)

الرد على الشبهه الاولى

هذه الشبهه لاقدم لها ولا ساق ، وانما هى نبت شيطان لأنها تقوم على أنكار غير المحسوس ، وتدعى أنها فلسفه التحليل العلمى ، وعلى لغه العالم . فهل يمكنااختبار الكهرباء والجاذبيه والمغناطيسية والرؤى والأحلام ووضعها فى مختبر لينتج قطعيه منطقيه قابله للتحليل أو التجربه ؟

انهم يؤمنون بها ومع هذا فهى ليست محسوسه ؟ فحتى اليوم يجهل العلم سر الجاذبيه . كما أن العقل والروح التى ينكرها ليست هى سر الحياه فى الكائن الذى يحتاج اليها ، وموجوده بآثارها ، كما أن انكاره لها مجرد فرض جدلى يعوزه أى سند ، فاذا ردد مقوله أن الروح هى الجسد ، كما نقل الاشعرى عن الاصم وأنه كان يقول : "النفس هى هذا البدن بعينه لاغير ، وانما هذا الذكر على جهه البيان والتأكد لحقيقة الشئ لاعلى أنها معنى مغاير للبدن"(٢)

---

(١) الدكتور / زكى نجيب محمود - خرافه الميتافيزيقا ص١١

(٢) الامام الأشعرى - مقالات الاسلاميين ج٢ ص٢٧.

قلنا : ان هناك فوارق بين الروح والجسم ، لأن الجسم مادى ، والماديات يتوقف عملها عند اعتراض مادى أخر يكون أكثر منها صلابه ، وأقوى فاعليه كالسكين واللحم . فان اللحم جسم مادى والسكين كذلك جسم مادى ، لكن السكين أقوى واكثر صلابه من اللحم ، أما الروح فانها تعمل ولا تعترضها ماديات يقول الاستاذ فريد وجدى .

"الذى شأنه أن ينصرف من شئ الى شئ فيقف على أمر دون أخر ، لا يعقل ان يكون ماديا محضا فقد عهدنا الالات الماديه لاتنصرف الى شئ دون شئ الا اذا حال بينهما حائل مادى ، فالمرآه لا يعقل أن تنصرف الى رسم شخص دون شخص مادام ليس بين أحدهما وبينها حجاب كثيف "[١] اذن الروح غير الجسم حتما فيلزمه الاعتقاد بوجود ماهو غير محسوس . ومنه الروح والخلود ، والغيب الذى لا يعرفه الا الله.

واذاوردد مقولة أن الروح هى الدم الصافى فى الانسان ، وأن الحياه تقوى باعتدا له وتفنى بفنائه ، ؟لأن الجسم حينما يموت صاحبه لم يفقد الا الدم وبالتالى تكون الروح هى الدم [٢]. قلنا لهم : ان هذه لا ترقى الى محل النظر فيها . ؟لأن العلم يقرر أن خلايا الدم فى الانسان تتجدد كل خمسين يوما ، وأن نسبه الهيموجلوبين فى الدم تقل وتعتدل طبقا لنظام الغذاء فى الانسان وظروفه الصحيه ، وبالتالى أمكن افراغ الدم من مرضى الفشل الكلوى ، وادخال دم أخر اليهم عن طريق الغسيل الدموى .

---

(١) الاستاذ / محمد فريد وجدى - دائره معارف القرن العشرين ج٤ ص٢٣٢

(٢) شرح المواقف ج٧ ص٢٥٠

كما أن أصحاب مرض سرطان الدم يجدد لهم الدم باستمرار، كذلك أصحاب الجراحات الكبيره فى القلب والطحال والكبد وغيرها وينقل اليهم الدم كل هؤلاء تظل أرواحهم فيهم ، معلوماتهم كما هى ، رغبتهم فى الحياه تزداد ، وكميه الدم عندهم فى انخفاض . اذن الروح غير الجسم ويلزمه الايمان بوجودها غير محسوسه . كما أن الدم يؤخذ من انسان فيعطى لاخر . فهل معناه أن جزء روح حلت فى الغير أيا كان الغير .

أما اذا كان بامكانه ترديد مقوله : ان الروح ما هى الا النسيم الداخل والخارج من الهواء الى جسم الانسان (١) فلا شك أن هذه محاوله غير موفقه ، والقول بأن الروح هى النسيم ، لا يخرج عن احتمال واحد باطل هو أن يكون النسيم هو الهواء الذى تتم به عمليه التنفس من شهيق وزفير ، وهو حركه داخل الرئه فى الجسم وبالتالى فلا يقع الموت أصلا ، لآن الهواء بكثرة تزيد عن حاجات الناس ، ويستنشقه الانسان والحيوان والنبات اذ الهواء اما أوكسجين أو ثانى أكسيد الكربون . والاول يستفيده الانسان والحيوان ، والثانى يستفيده النبات . ثم ان عمليتى الشهيق والزفير تمثلان للهواء داخل الانسان الجذب والطرد ، والجذب والطرد كلاهما غير خاضع فى مفهومه لقواعده المنطقيه من قابليته للتحليل والتركيب ، رغم وجود العمليتين معا .

الاحتمال الثانى : أن تكون عمليه التنفس عرضا للجسم الانسانى :

والمعروف أن العرض لا يفارق جوهره ، بل ان الجوهر لا يخلو من عرض وطبقا لهذا فان الانسان لا يموت مادامت الروح هى النسبه الداخله والخارجه

---

(١) شرح المواقف ج٧ صـ ٢٥٠ .

من الانسان، غير أن الانسان يموت ، اذن الروح غير الجسد أصلا ، والجسد محسوس والروح غير محسوسه لكنها موجوده ، وعليه فهو ملزم بالايمان بأن هناك موجودات غير محسوسه . ولا حيله له فى استمرار الافكار ، الا أن يكون الكفر هو الاعتقاد الثابت فى أعماقه .

كذلك الوجدان والفكر والعقل كلها موجودات غير محسوسه ، فاذا ردد مقوله "أن الفكر ليس الا وظيفه عضويه للمخ لانتاج الافكار ، كما أن وظيفه المعده هضم الطعام ، ووظيفه الكبد افراز الصفراء ، وكيفيه احداث المخ للأفكار هو أن التأثيرات تتوارد الى المخ فتدخله فى العمل ، كما تنزل الاغذيه الى المعده فتهيجها الى زياده افراز العصاره المعديه (١)

فانا نقول ما معنى التأثيرات تتوارد الى المخ ؟ كما أن عمليه انتاج الافكار هذه كلها أمور معنويه لا سبيل الى ضبطها من خلال ميزان ثابت كما هو الحال عند الوضعيه المنطقيه ،كما أن المخ جهاز عصبى به العديد من الأنسجه العصبيه حيث وصل تعداد خلاياه الى ٧٢ ألف مليون خليه او ٨٩ او عشرات الالاف من الملايين وليس من بينها خليه واحده تسمى خليه تدار بالتأثرات ، او خليه انتاج الافكار ، فضلا عن أن يكون فيه أمر أخر هو انتاج الفكر ، وعلماء التشريح لم يخبروا – وهم أصحاب الفن فيه – أن بالمخ خليه يمكن تسميتها بخليه توارد الافكار أو خلافه من تداعى الخواطر ، الى توالى المشاعر وتكرار العواطف ، وكلها موجوده واصحابها لا يمكنهم انكارها .. فثبت وجود غير المحسوس فى المخ ايضا .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين جـ٤ صـ ٢٣٠ .

كما أن هذا القول يعتبر ترديدا لما سبق فـي الفلسـفه الماديه والماركسـيه على السواء .

فيذكر الدكتور ر أبو ريان أن هوبز الفيلسوف الانجليزى يرى أن الوجود لا يمكن تفسيره [١]

الا بالماده وحدها ، حتى العمليات الذهنيه العقليه والوجدانيـه من الحب والبغض فهى كذلك أما لماذا ؟

فلآن المعرفه مصدرها الاحساس الذى هو عمليه مخيه تبدأ بمؤثر خـارجى يضغط على الجسم الانسانى . أما الانفعالات فهـى كلهـا حركـات جسـميه ، وكذلـك التخيـل فـان أساسـه احسـاس متقـادم ، والذاكـره مـاهى الا مجموعـه احساسات قديمه ذابله ، وأما تداعى المعـانى فهـو يرجـع الى حركـات فـى المخ [٢] "اذاً فما تقوله الوضعيه ترديد لما ذكره الماديون فى انجلترا ومن سار معهم سير ه هوبز .وهيوم ، ولوك، وغيرهم من الفلاسفه الماديين.

وكذلك الماركسيه التى تفسر الوجـود كلـه بالمـاده وحدهـا ، بـل ويـرى دعاتها أن الوجود نفسه مظهر من مظاهر الماده وأن الماده فى أشـكالها المتعـدده فزيائيه وكيميائيه ، وبيولوجيه واجتماعيه ما هى الا صور متعدده لآصـل واحـد هو الماده التى "تتخذ أشكالا متعدده ،

١ -فيزيائيه وكيميائيه كحركات ذرات الماء وجزئياتها .

---

(١) فيلسوف انجليزى عاش فيما بين الفتره ١٥٨٨ - ١٦٧٩ م

(٢) الدكتور محمد على ابو ريان الفلسفه ومباحثها ص١٧٥

٢-وبيولوجيه كحركات الأجسام البروتينيه .

٣-واجتماعيه الصراع بين طبقات المجتمع الواحد

غير انى أركز على أن الاتجاه المادى غير مقبول على لغه الماديين أنفسهم ، بل انه قول لا معنى له ولاغايه من ورائه الا الانكار لأمور الغيب التى لا مناص للمسلم من التسليم بها ، ولا حيله للملحد الا الاقرار بأنها موجوده ، ولنكار الغيبيات بجانب أنه سذاجه فكريه فهو محاوله غير موفقه لاجهاض الفكر الانسانى نفسه ، على انحاء شتى فالطب النفسى صار علماً على رجاله ، والطب البدنى له رجاله بل ان الطب النفسى علاجا ووقايه يتبعه طب روحانى وهو يقوم على معالجه مرضاء بكثير من الفنون وانواع الموسيقى التى تعلمها الغرب فيما بعد من مفكرى المسلمين فى الفتره التى مضت

وقد سبق الجميع ديننا الحنيف فكان رسول الله ﷺ "اذا حزبه أمر قال أرحنا بها يابلال فينادى للصلاه " . من ذلك ما قاله ﷺ لسيدنا سعد " اذا أويت الى فراشك فقل : باسم الله . اللهم رب السماوات السبع وماأظلت ، ورب الارضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شرار خلقك أجمعين من أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتبارك اسمك ، ولااله الا انت وحدك لا شريك لك "

وأكثر من هذا فان المرء لا يعرف ما يخبئه له الغيب ، ومن ثم يقع فى التردد وتلفه الحيره ، ولا مناص الا أن يتجه الى رأى سديد أو مشوره صائبه ، لا نجدها فى أى فن من الفنون ، أو علم من العلوم اودين من الاديان ، الا فى الدين الحنيف حيث علمنا رسولنا ﷺ الاستخاره . وقال ليسأل أحدكم ربه

حتى فى شسع فعله " وحديث الاستخاره معروف اذن ثبت ضروره وجـود مـا هو غير محسوس ، والا وقعوا فى تناقض لا يمكن رفعـه ، والمعروف أن انكـار البدهيات حكم على العقل بالالغاء .

فمثلا هل يقبلون أن يكونوا ومنازلهم كلهـا واحـدا ، أم هـل يقبلـون أن يكونوا والحيوانات التى يعيشون عليها أو تعيش لهم صوره واحـده ، هـل يعقـل أن يتحولوا من بباده الى مسعودين ومن راكبين الى مركوبين .

هل يتوقعون ان تفرح الماده لهم مره فاذا هم بشر ينتشـرون ، أو تغضـب مره فاذا هم قطـارات وسيارات ، ومبـان وجراحـات تهـدم وتبنى ، انهـم لا يقرون بهذا وان أقروا به ، ونسبوه لانفسهـم فليسـوا مـن طائفـه العقـلاء . ، ونحن لانخاطب البله ولانعاقب المجانين على أن ديكارت أثبت الشك المطلـق ، وأثبت أن وجود النفس حقيقه ثابته . وكلها أمور غير محسوسه وكذلك أثبـت وجود الله وكلها أمور ميتافيزيقيه .[1] بل انه أثبت صفـات تعـالى عندهـم ، او هو الله تعالى على مفهومهم

<u>الشبهة الثانية</u> : أن مالا يخضع للتجربة لا يمكن قبوله " ومن ثم لايعتـبر فارغـا لامعنى له .

ومعناه : أن أية فكرة لاتخضع للتجربـة لايمكـن قبولهـا فيقـول :" العبـارة المتافيزيقية هى قضية لاتجريبية ذات منطق ا أو منهج تجريبى[2]" ويؤكد أوزفولـد

---

(١) هو رينيه ديكارت ويطلق عليه أبو الفلسفه الحديثه ١٥٩٦ - ١٦٥٠وله التأملات ومقال فى المنهج وغيرهما .

(٢) الدكتور / زكى نجيب محمود-موقف من الميتافيزيقيا صـ ٩٧.

كولبه هذه الفكرة فيقول" أهم ما يمتاز به المذهب الوضعى رفضه الميتافيزيقا – ما بعد الطبيعه – بحذا فيرها واعتبار التجربة أصل وأساس كل معرفة"(١)

بل ان داعيهم ينظر للنفس بهذا المنظار ، ومادامت لاتدخل تحت التجربة فلا يمكن قبول الحديث عنها ، فيقول : النفس " اذا لم أخبرها بالحواس فلا سبيل الى علمى بها، وبالتالى فكل حديث عنها هراء"(٢) لأنه لا معنى لها يمكن ان يقدم معرفة ، لأن الميتافيزيقا – من وجهة نظرهم – لاتعبر عن تحصيل حاصل ، ولاعن حقيقة ، ولا عن فرض تحققه التجْربة ، ولما كانت تحصيلات الحاصل ، والفروض التجريبية تفيد كافة القضايا ذات المعنى ، كان لنا ما يبرر التأكيد . بأن ما تقوله الميتافيزيقا خال من المعنى "(٣) وتبعالهذا فانهم يرون ضرورة حذف الميتافزيقا ، لأنها " أشياء لا تقع لهم فى الخبرة الحسية ، مثل الشئ فى ذاته ، والمطلق ، والعدم ، والقيم .(٤)

ويتكرر منه هذا كثيرا أثناء حديثه عن الميتافيزيقا المرفوضه – من وجهة نظره – وأنها تبحث " أشياء لاتدخل فى حدود التجربة الحسية ، كالمطلق والعدم وما اليهما ، وهو ما يطلق عليه عادة اسم الميتافيزيقا .. ان فلسفتنا التحليلية تقضى على الميتافيزيقا بالحذف(٥)

---

(١) اوزفولد كولبه - المدخل الى الفلسفة ترجمة الدكتور ابو العلا عفيفى صـ ٣١.

(٢) الدكتور / زكى نجيب محمود - نحو فلسفة علمية صـ ٣٢.

(٣) الدكتور / عزمى محمد اسلام لدفيج فتجنشتين صـ ٣٦٠.

(٤) موقف الميتافيزيقا صـ ٢٢.

(٥) المصدر نفسه صـ ٦٩.

ويعقب أستاذنا الدكتور سليمان دنيا على هذه الشبهة فيقول :" ان المشاكل التى لاتخضع لمنهج البحث التجريبى لابد لمن ينكرها أن يدرسها حتى يعترف بها عن بينه ، أما اهدار حقها فى الدراسة والبحث بحجة أنها لاتخضع لمنهج البحث التجريبى ، فهو تهرب من مواجهة الحقائق ، اذ لكل مشكلة منهج من البحث يناسبها .. كما يقول :" المشكلات الميتافيزيقية تدخل فى صميم الوجود الانسانى . وانه لاغنى للانسان عن أن يدرسها ويمحصها ، وأن الدعوة الى أهمالها بحجة أننا عاجزون عن ادراكها دعوة خبيثة ماكرة يقصد بها التمرد على القيم الروحية والمعنوية بطريق مستور:.(١)

الرد على الشبهة الثانية:

على أنا نقول العلماء قد خصوا ما يخضع لتجربة المعمل بالعلوم الطبيعية وهو لون معرفى ، أما التجربة الحسية التى تقع تحت حس الانسان نفسه كما يدعى صاحبهم فلا أظنها واحدة ، وانما هى متعددة ، فاذا كان الحاكم عليها هو المنطق فأى منطق ذلك الذى يريده بقول أستاذنا الدكتور البهى :" أى منطق له هذه الوظيفة ؟ تراه منطق الانسان عامة ؟ هناك أنواع متعددة من المنطق.

١-منطق الرياضه

٢-منطقه الصوروالقياس

٣-منطق الفلسفه الوضعيه

ونحن بدورنا نسأله ما الوجود ؟ من أين أبتدأ ؟ الى أين ينتهى ؟ ما منشأوه ، ما مصيره ، ما الغايه منه ؟ اننا نريد حل هذه المشكلات عن طريق مأمونة من الخطأ فهل نجد ذلك فى المذهب المادى..؟

---

(١) الاستاذ الدكتور/ سليمان دنيا - التفكير الفلسفى الاسلامى ٣٢.

على أن الوضعية المنطقية كثيرا ما تستخدم لفظ الوجود وكائنات الوجود ، والمبادئ والمقدمات ، والاستنباط مع أن هذه المفردات لها معان ومعانيها مقصودة فى اللغة والاستعمال ولاشك أن المعانى لاتدخل تحت التجربة الحسية ، كما لا يمكن اخضاعها للتجليل او التركيب ومع هذا يقولون " نرفض الميتافيزيقا لصعوبه حلها ، بل لأنها زائفه [١] اذن هم ينكرون كل هذه وفى ذات الوقت يستعملونها ، وهو التناقض بعينه. الذى يرفضه العقل السليم .

ثم أين هى الحلول التى قدمتها الوضعيه المنطقية كبديل للميتافيزيقا التى يرفضونها أنها لم تقدم الا التنكر للقيم الروحية والمعانى النبيلة ، وقبل ذلك كله فانها لا تقدم سوى الكفر بالله وانكار اليوم الآخر ، وقد جاء صاحبهم بكتابه " خرافة الميتافيزيقا : لينتهى الى انكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة. فى عباره صريحه.

يقول الدكتور البهى:" ان منطق الكتاب هو التعمية وعدم التفرقة".

<u>فى الجوانب الاتيه :</u>

<u>أولا :</u> بين عبارات الانواع والأجناس من جانب ، وعبارات الأعلام الشخصية والأفراد من جانب آخر.

<u>ثانيا:</u> بين الحقائق الدينية والحقائق الميتافيزيقية ،......وهكذا يكون لفظ الله فارغ، ولامدلول له وهو خرافة .[٢] عندهم وقد تندر قائلهم بكانت

---

(١)الدكتور / زكى نجيب محمود – نحو فلسفة علمية صـ ١٧ القاهرة ١ عام ١٩٥٨.

(٢) الدكتور / محمد البهى – الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـ ٢٤٣.

حينما استبعد البحث فى المسائل الدينية لاستعصائها علـى العقـل النظرى ورأى هو أنه يجب استبعادها لأنها فارغة من المعنى ، ولاقيمـة لهـا منطقيـا فكانت خشى على نفسه من البحث فيها لانهـا عصيـه عليه امـا الثـانى - صاحب خرافه الميتافيزيقا فلايبحث فيهـا لانهـا مـن وجـه نظـرة الاعمـى وعقله الاحمق فارغه عن المعنى .

انى أراه لايؤمن بالغيب وأثر الالحاد يخطو معه سنى عمره فـلا هـو رجـع عنه ولا هو توقف عن السير فى نفـس الطريـق ، والدليـل أنـه نشـر كتابـه نحـو فلسفة علمية حاملا نفس الفيروس- ان صح التعبير - وكذلك المنطـق الوضعـى الذى يقرر فيه حبه المطلق وإيمانه بالعلم الذى يتمشى مع اتجاهه وكفره بما سواه من امور الغيب حيث يقول :

" أنا مؤمن بالعلم ، كافر بهذا اللغو الذى لايجدى على أصحابه ، ولاعلى الناس شيئا"[١] كما يقول :" لغة العلم تحكم بعدم وجـود شئ ميتـافيزيقى"[٢] "وهو فى كل ما قاله مردافكر غيرة وغير أمين واليكم نصيـن تحكـم عليـه مـن خلالهما:

الأول : قول شـليك:" الميتافيزيقـا مستحيله لتنـاقص أهدافهـا ، ولأنهـا أقـوال فارغة من المعنى ."[٣]

---

(١) الدكتور / زكى نجيب محمود - المنطق الوضعى المقدمه صى ج ١ القاهرة ط ١١ سنة ١٩٥١.

(٢) الدكتور / زكى نجيب محمود - نحو فلسفة علمية صـ ٧٢.

(٣) الدكتور / عزمى اسلام - لدفيـج فتجنشتين صـ ٣٥٩ - ٣٦٠ ط دار المعـارف سلسة نوابـغ الفكر الغربى صـ ١٩.

الثاني : قول أير: " العبارة الميتافيزيقية هي قضية لاتجريبية ذات مضمون وجودي[1] وبالمقارنة بين هذين النقلين وما ذكره هو في أول الشبهة الثانية يطلع القارئ على صدق دعوانا وأنه كان بوقا غير صادق اذ نسب لنفسه هو سئ غيره وراح يدافع عنه يقول الدكتور البهي" وكتاب خرافة الميتافيزيقا في الجانبين: النظري والعلمي يتشبث بدعوى الاسمين والوضعين ولكن بالصورة التي عرض هو بها آراءهم ، وليس بالصورة التي افرعوها هم في تاريخ مذهبهم.[2]

اذن مسألة الخلود غير مقبول على مقياسه- صاحب خرافه الميتافيزيقا لأنها أمر غير وارد عنده ولا يمكن التحقق منه منطقيا ، بل ان أمر البعث لايقبل النطق به لأنه لايستوعبه بل ولا يؤمن به ، انه الكفر بكل شئ غير مادي ، وفي تقديري أن هذا المذهب لايصلح للتعامل به فكريا لتهافته وكثرة أخطائه التي لايجدي معها ترميم .

وهم ما انكروا الميتافيزيقا الا لأنهم غير مؤهلين لها " انها تولي القيم الروحية والمعنوية عناية كبيرة وتعتبرها عنصرا أساسيا لاقامة مجتمع سليم يرفرف عليه الاخاء والمحبة والتراحم والمودة والايثار والتضحية [3] وأصحاب الوضعية المنطقية لايعرفون شيئا من ذلك ، ولايقرونه بل ينكرونه ويرفضونه. ومعهم الوضعيه الطبيعيه أيضا .

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٠.

(٢) الدكتور / محمد البهي - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٢٤٥.

(٣) الدكتور / سليمان دنيا - التفكير الفلسفي الاسلامي ص ٣٠.

الشبهة الثالثة: أن فلسفة التحليل المنطقي تغني عن الميتافزيقا :

يقول داعيهم " دعوانا فى هذا كتاب هى أن الفلسفة ينبغى أن تكون تحليلا صرفا، تحليلا لقضايا العلوم بصفه خاصة "[١] والمقصود بالتحليل الصرف هو " تحليل العبارات والالفاظ التى نستخدمها فى لغتنا ، ونصوغ فيها المشكلات الفلسفية ، وقضايا العلوم [٢] بحيث تحذف العبارات الفارغه عن المعنى ، التى لايمكن الحكم عليها بأنها صادقه أو كاذبة ، وتستبعد تلك التى لايمكن الحكم عليها بالصدق او الكذب ، وبالتالى تحل فكرة التحليل المنطقى محل التفكير الميتافيزيقى ، لأنها البديل الذى لايمكن ان يحل غيره محله

ربما يظن أن المراد بالتحليل عندهم هو ما يعنى به أهل اللغه ويكون التحليل ما تهدف اليه اللغه بعيدا عن التحليل الذى يقررة العلماء او تغنى به الوضعيون ، ولكن هذا ليس واردا لأن المقصود بالتحليل عندهم أمر آخر حيث " يراد بالتحليل المنطقى ، ازالة اللبس والابهام عن الأفكار ، وبيان عناصرها واضحة جلية متميزة ، فالتحليل يتناول اللغه التى نستخدمها فى حياتنا اليومية لتميز بين العبارات التى تحمل معنى ، والعبارات الخلو من كل معنى "[٣]

فاذا قيل ما المراد بلفظ معنى عندهم ؟ كان الجواب هو ما يمكن وقوعه تحت التجربة كقولهم : الجسم ممتد ، والكل أكبر من جزئه بحيث يؤدى انكار هذا المعنى الى تناقض سواء كان هذا المعنى ضمن قضايا تحليلية كالتى سلف

---

(١) الدكتور / زكى نجيب محمود - نحو فلسفة علمية ص١٦.

(٢) الدكتور / عزمى اسلام - لدفيج فتجنشتين صـ٣٦.

(٣) الدكتور / توفيق الطويل - اسس الفلسفة صـ٢٧٦ وخرافة الميتافيزيقا صـ١٥٧.

ذكرها ، او تركيبه كقولهم الخط المستقيم أقصر بعد بين نقطتين ، بحيث يكون مدار الصدق أو التثبت من وجودها هو الطبيعة نفسها عن طريق التجربه الحسية التى يحكم بها الانسان نفسه.

من ثم فان كل عبارة او معنى لايدخل ضمن القضايا التحليلية عندهم يجب الحكم باستبعاده على أن يكون البديل هو نفسه التحليل المنطقى ، وطبقا لهذا فقد استبعدوا " قضايا الميتافيزيقا التى قد تعد فى نظر النحويين مثلا عبارات مفيدة تتألف من مبتدأ وخبر ، كقولنا :"

- النفس خالدة ،
- الله موجود ،
- الزمان هو الصورة المتحركة للابدية "(١)

اذن ماوراء الطبيعة - عندهم - غير مقبولة مسائلة على الاطلاق ، بل انهم كثيرا مايتهمون معتنقيها بأنهم يعيشون مشكلات زائفه بينما دعى المذهب المنطقى . يرى أن ما يقوم به وأتباعه انما يمثل لونا من الفكر المنتج يقول:"

جعلت الميتافزيقا أول ما أنظر اليه بمنظار الوضعيه المنطقيه لأجدها كلاما فارغا لايرتفع الى ان يكون كذبا لأن مايوصف بالكذب كلام يتصوره العقل ولكن تدحضه التجربة ، أما هذه فكلامها كله.. رموز سوداء ، تملأ الصفحات بغير مدلول ، وانما يحتاج الأمر الى تحليل منطقى ليكشف عن هذه الحقيقة فيها.(٢)

---

(١) المصدر نفسه - ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) الدكتور / زكى نجيب محمود - المنطق الوضعى ص ٢ من المقدمه.

اذن الفلسفة عنده هى المنطق والحكم فيها واحد . ، بحيث تصير الفلسفة والمنطق بالنسبة له شيئا واحدا وهو بجرد " تحليل العبارات والألفاظ من حيث بنائها المنطقى العام "(١) ويتكرر هذا الموقف كثيرا حتى يقول: " ان الفلسفة بالمعنى المحدد الذى نريده لها.. تجعل مهتها تحليلا منطقيا للمدركات العلمية ، والقضايا العلمية ، وبهذا تصبح الفلسفة فلسفة للعلم ، أى تصبح منطقا للعلم أى تحليلا له "(٢)

= الرد على الشبهة الثالثة :

غير أن هذه الشبهة لم تسلم له ، أما لماذا ؟ فلأنه يقرز ما يراه كدعي متناسيا أن خصومه من العقليين لايقرونه عليه ، بل انه ليخلط بين ماهو من صميم العلم التجريبى حين يدخله الى المنطق أو الفلسفة ، فنراه يقول " لدى الآن : خبرة نفسيه من نوع معين لكنى أجاوز مما لدى الاخرين لأقول: ان هذه الخبرة الراهنة تذكر لحادث مضى".

يقول أستاذنا الدكتور سليمان دنيا :" هل موضوع هذا المثال مما يخضع للعلم التجريبى الذى يعمل بوساطة الحواس والآلآت والمختبرات ؟ ان المنطق والفلسفة ليس لهما من المشكلة الاالفاظها أما جوهرها وموضوعها فهو من اختصاص العلم نفسه ، فهل العلم التجريبى يدخل فى معمله ومختبراته كون التذكر يستلزم او لايستلزم وقوع ما يصوره التذكر فى العالم الخارجى.. فهذه المشكلة ميتافيزيقية صميمة ، وليست مشكلة علمية تجريبية (٣) ولايمكن أن يحل

---

(١) الدكتور / زكى نجيب محمود - نحو فلسفة علمية صـ٦٦.

(٢) المصدر نفسه صـ٨١.

(٣) الدكتور / سليمان دنيا - التفكير الفلسفى الاسلامى ص٧٦.

غيرها محلها. واذا انتهى الامر الى هذا الحكم أمكن القول بأن شبهاتهم ظنون وأوهام ، مالهم بها من علم .

على أنى اذا راجعت مقولاتهم وجدتهم يعتمدون فى ترجيح المعروض عليهم بالخبرة الحسية الماضية ،ونأتى الى الخبرة الحسية فنراهم يقرون بوجودها وجودا فعليا خارج الاحساس نفسه ، والسؤال الآن أليست الخبرة الماضية التى تجعلونها فيصلا فى التجربةالحسيه هى نفسها حالات احساس بمواقف متعددة فى الماضى من نوع ما أحسيه الآن ؟ انها ليست وهما ، لايمكن ان يحل غيرها محلها وهى فى ذات الوقت دليل الترجيح ، ومع ذلك كله فهى ليست محسوسة ولكنها موجودة ، ولايمكن ان يحل غيرها محلها ، فثبت أن فلسفة التحليل لا تغنى عن الميتافيزيقا أبدا.

كما أنهم يستخدمون المنطق بمعنى العقل فى الوقت الذى لا يكون فيه وجود للعقل الا فى صورة مادية ، فهل نجحت كلمة منطق فى أن تحل محل العقل ، يقول : "فليس من المنطق فى شئ أن يطلب اليقين حيث لا يقين ثم " يقول أستاذنا الدكتور دنيا:" ماذا يعنى بالمنطق فى هذا المقام ؟ هل يمكن أن يعنى به المنطق الوضعى الذى تنحصر مهمته فى تحليل عبارات العلوم المادية ؟ ان المنطق المادى لاقضاء له فى شئ الا ان يكون ماديا، فهل طلب اليقين فى أمر لاترقى قوى النظر فيه الى حد اليقين ، مما يخضع الامر به أو النهى عنه الى سلطةالعلوم المادية .

كلا ان المنطق فى هذا المقام لايصلح تفسيره الا بالعقل ، فالعقل هو الذى يحكم بأن من عبث العابث أن يطلب مالا يطلب ،فاحتكار صاحب الفلسفة

الوضعية الى العقل فى أمر لايخضع للخبرة الحسية خروج من الحجرة الضيقة التى رسمتها الفلسفة الوضعية لأصحابها وحبستهم فيها"(١)

اذن فلسفة التحليل لم تحل مشكلات الميتافيزيقا ولاتكفى كبديل عنها ، بدليل أنهم أنفسهم رجعوا الى الميتافيزيقا التى رفضوها واستعنوا بها عن غيرها.

الشبهة الرابعة: القول بالميتافزيقا فيه تناقض ، وهى مستعبدة تجريبيا وتاريخيا وتحليليا.

ومجملها أن دعاة المنطقية يتصورون العقل الانسانى وحدوده الممكنة ، ثم يتصورون فى ذات الوقت أشياء فوق ادراك العقل مطلوب منه التسليم بوجودها ، ويرون فى الامرتناقضا حين يطلب العقل المحدود أن يسلم بوجود ماهو أعلى من امكانياته . يقول داعيهم " انك اذا زعمت للعقل الانسانى حدا لايستطيع أن يجاوزه ، ثم زعمت فى الوقت نفسه بأن وراء ذلك الحد أشياء هى فوق ادراكه تناقض نفسك بنفسك ، لأن اعترافك بوجود تلك الأشياء وراء الحد المزعوم هو فى ذاته دليل على عبورك الى المنطقة المحرمة.(٢)

غير أنى لا أرى فى المسألة تناقضا كما لذى ذكره هذا بل أرى ان هناك مراعاة لامكانيات العقل ، وهم يقرون بها ، اذ المعروف أنه لايوجد عقل انسان تتمثل فيه صور العلوم والفنون والآداب كلها وبدرجه واحدة، بل التخصص سمه الاجادة .

---

(١) المصدر نفسه صـ٨٨.

(٢) الدكتور / زكى نجيب محمود - موقف من الميتافيزيقا صـ٨٤.

وكذلك العقل الانسانى حين يحجب عن البحث فى أمور خارجه عن امكانياته انما هو نوع مراعاة لامكانيات العقل وليس بتناقض، لأن حكم التناقض هو اثبات الشئ ورفعه فى آن واحد كأن نقول القمر موجود ، والقمر ليس بموجود .

أما أن تقول : ان هناك أشياء موجودة غير محسوسة وأعلى من امكانيات العقل البشرى فالأمر لا يعدو أن يكون مراعاة لامكانياته ليس الا . ولم يطلب من العقل وحده معرفتها انما يطلب الايمان بها لان دليلها الوحى والذى يمكن اثباته بالمعجزة وبغيرها ولايمكن انكاره لأن صدقه يقينى ولا يطعن عليها لأنها ثابته بالوحى وهى موجودة ولا يحيل العقل وجودها بل يراها ممكنة.

بقى أن يقال: " ان استبعاد الميتافيزيقا يجئ من ثلاث وجهات للنظر هى التجريبية والتاريخية والتحليلية [١] وبناء عليه فان الميتافيزيقا يجب استبعادها. من تلك الجهات التى سلف ذكرها .

غير أننا اذا نظرنا الى الجهات الثلاث بان خطؤها جميعا ، وأن القول بها لايمثل صورة حوار فكرى بقدر ما يمثل صورة جدلية سوفسطائية لاتجدى بل هى دليل على خروج اصحابها على العرف السليم والعقل الصحيح ، وذلك لما يلى:

أولا: الناحية التجريبية:

سلف القول عنها وأن الوضعية ملزمة بقبول مالا يدخل تحت التجربة كالكهرباء والجاذبية والمغناطيسية وأمثالها ، مما هو موجودفعلا، مع عدم قابليته

---

(١) الدكتور / محمود رجب - الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين صـ ٣٢٠ ط ٣، دار المعارف ١٩٨٧.

للتجربة ، بل أن مجرد تصور التجربه هو فى حد ذاته لا يدخل تحت التجربه رغم أنه موجود كحقيقه واقعه يقر بها الميتافيزيقى والوضعى المنطقى معا ، وبالتالى فلا يمكن استبعاد الميتافيزيقا من هذه الناحيه بل لزم الايمان بضرورة وجودها طبقا للاقرار العام بها وغيرها مما هو موجود ولا يدخل تحت الحس ولا تقع له التجربة وبالتالى فالتجربه حاكمة بضرورة الايمان بالميتافيزيقا على نحو تجريبى .

ثانيا : الناحيه التاريخيه :

لاشك أن اتجاه التاريخ يؤيد الايمان بالميتافيزيقا ويرى أنها ضروره لحفظ التاريخ نفسه ، لان التاريخ زمان ومكان وأحداث والزمان متصور نظرا لأنه لا توجد فوارق بين أجزائه ولا يدخل تحت التجربه كما أنه لا يمكن الحكم عليه بالصواب أو الخطأ ، لذلك فان الوجهه التاريخيه بحاجه الى الميتافيزيقا التى صارت وعاء يحفظ للتاريخ ما مر منه ، وبالتالى " فان الوجهه التاريخيه فى رفض الميتافيزيقا لا يؤيدها التاريخ نفسه لأننا لانزال نطلب الميتافيزيقا ، وما تزال المباحث الميتافيزيقيه تشغل الغالبيه العظمى من مفكرى العصر الحاضر "(١)

ثالثا : الناحيه التحليلية :

وهذه الوجهة لا يمكن أن تلاحق المتافيزيقا ، لآن الناحيه التحليليه مردود عليها ، وأنها تخص جانبا واحدا من الميتافيزيقا ان صح القول ألا وهو الجانب النقدى فى الميتافيزيقا وهو جانب قليل جدا فيها ككل فلا ينسحب على الكل ، وعلى هذا فلا يمكن توجيه هذه الانتقادات الى الميتافيزيقا التى نحن بصدد رد

---

(١) المصدر السابق ص٣٢١

الاعتبار اليها ، فليس ثمه اذن اعتراضات نهائيه حقيقيه يمكن أن تثار ضد الميتافيزيقا بمعناها الواسع .[١]

الشبهه الخامسه : مسائل الميتافيزيقا مشكلات زائفه :

مؤداها : أن ما يظن مشكلات لا وجود له بالمره ، انما هى مشكلات زائفه موهومه راجعه الى غموض عبارات المتناولين لها حتى خيل لأصحابها أنها مشكلات وأنها غامضه بينما هى لا وجود لها أصلا حتى يقال عليها أنها مشكلات وأنها غامضه .

فمثلا ، خلود النفس أو فناء النفس ، والعالم المحسوس وراء عالم عقلى أو لا ، والحقائق الكليه موجوده فى أفرادها أم على استقلالها وما كان " من أمثال هذه الاسئله - فيتناول فيلسوف التحليل هذه العبارات نفسها ، ليفض مغاليقها اللفظيه ، واذا هى فارغه ، لا تنطوى على شئ ، وازاء هذه المشكلات المزعومه الموهومه تذوب ثم تتبخر فى الهواء وتختفى ، " لذا فاننا نرفض الميتافيزيقا لا لصعوبه حلها ، بل لأنها مشكلات زائفه .

د ا الرد على الشبهة

غيرانا نقول : "ان للميتافيزيقا مشكلات حقيقيه ما يزال البحث حولها لم ينته بعد ، فما وراء الطبيعه عند العقلاء ثابت ، وانما الخلاف فى فهمه وطريقه التعرف عليه ،والانكار لها يمثل صوره الحاديه فى مسأله دينيه ، وقد أقر بهذا قدماء الماديين وان كل معرفه حسيه فهى ظاهريه ، وأن الحقيقيه لا توجد الا فى العقل لان العقل - عندهم - حدس ومعانيه موضوعات حقه "[٢] اذن مشكلات الميتافيزيقا حقيقيه وليست زائفه .

---

(١) المصدر نفسه ص٣٢٢

(٢) الاستاذ / يوسف كرم - تاريخ الفلسفه الحديثه ص٢٠٦

كما أن تصـور المشكلات ، والحكـم عليهـا بأنهـا زائفه هـو أيضـا أمـور ميتافيزيقيه فكلها من قبيل المعقولات الاولى او الثانيه عند المنـاطقه ومفـاهيم ثابتـه عن علماء الكلام .

والوضعيه المنطقيه تقر بهذه المشكلات الميتافيزيقه واقعا ، وان كانت تنكرها دعوى فمثلا الضـروره العقليـه يحتكـم اليهـا دعـاه الوضعيـه فـى أبسـط أمورهـم وأكثرهم دقه على السواء رغم أن الضروره العقليه عبـاره ليسـت علـى طريقتهـم يقول : داعيهم " ينبغى أن تتذكر ان حكمنا على هذه الظواهر كلها باتحاد واحد هو طريق اليسير "[1] .وهذا اقرار منه بقبـول الضـرورة العقليـة كمبدأ يحتكـم اليـه عندما لايكون الا هو.

والسؤال الآن : هل يمكن التثبت مـن الضـرورة العقليـة صدقـا أو كذبـا ، كما أن الضرورة العقلية مبدأ ميتافيزيقى فاذا طبقناها فـى ناحيـة الوجـود أنتجـت نتائج ضرورية فمن ذلك القول: العالم اما ان يكـون موجـودا أو معدومـا ، فـان كان معدوما فتلك مكابرة ، والا كنـا فـى العدم ولاتنطبـق علينـا اوصافـه ، وان كان موجودا فاما أن يوجـد نفسـه او يوجـده غـيره ، فـان أوجـد نفسـه لـزم — كضرورة عقلية — أن يتقدم على نفسه باعتباره الفـاعل ، ويتـأخر عنهـا باعتبـاره مفعولا وهو تناقض لاتقبله الضرورة العقلية .

اذن لم يبق الا أن تقول: ان له موجدا ، وهذا الموجد له من صفات الجلال والكمال والاكرام ما يحول بين أن يشبهه أحد من خلقه ، وهو الله رب العـالمين. اذن حكم الضرورة قاض بوجود الله تعالى ضـرورة عقليـة ، وهـم لايردونهـا

---

(١) الدكتور / زكى نجيب محمود - نحو فلسفه علميه ص ١٧

ولايمكن الحكم عليها من خلال الحس بالصدق أو الكذب . فلزمهم القول بأن للميتافيزيقا مشكلات حقيقية موجودة ، ولاتحل الا عن طريق الايمان بالغيب جملة وتفصيلا على ما جاء به النقل المعصوم.

الشبهه السادسه: رفضهم مبدأ السببية:

تقوم هذه الشبهة على أساس أنه لاعلاقه بين السبب والمسبب كل مافى الأمر هو " أن الكون قوامه عناصر مختلفة بدأ حين ظهر كل عنصر متجانس على حدة ، ثم دبت فيها الحركة فأخذت تمتزج بعضها ببعض حتى أصبح الشئ الواحد مكونا من خليط من عناصر قد يصعب فصلها بعضها عن بعض ، لكن مصير هذه الحركة فى النهايه ، هو أن تعود العناصر المتجانسة الى تجمعها ، ثم دورة كونية أخرى وهكذا ، وشئ كهذا هو ما يقوله العلم الطبيعى الحديث.[١]

وقد سبق الى تقرير هذه الفكرة فتجنشتين حيث يقرر أنه "ليست هناك ضرورة فى هذا المبدأ، سواء كانت ضرورة عقلية أو تجريبية تبرر ارتباطا تسميه علاقة السبب بالمسبب ، لمجرد أن أحدهما يسبق الاخر أو يتلوه"[٢]

اذن رفض السببية عند هؤلاء ليس له ما يبرره على وجه يسلم من النقد حقا. كان لهذا المبدأ أنصار وخصوم منهم من رفض المبدأ باعتبار فكرة الضرورة العقلية فيه بين السبب والمسبب وفرق بين رفض المبدأ وبين اعتقاد الضرورة العقلية فيه ولماذا لايعتبر عادة ، حتى يمكن التخلف بين السبب والمسبب

---

(١) الدكتور زكى نجيب محمود نحو فلسفة علمية ص٣٣٩.

(٢) الدكتور عزمى اسلام - لدميج فتجنشتين ص٣٠٦ - ٣٠٧.

بحيث يفتح الباب أمام المعجزة .وخوارق العادات التى تقع من الله لعباده على وجه الاجمال. كما أن رفض مفكرى المسلمين للضرورة العقلية فى السببية راجع لمبدأ دينى أعم منه وهو الرجوع بالعلاقه الى الله وحده ، اذ هوالفاعل الحقيقى للسبب والمسبب معا. كما ان السببيه الطبيعيه يمكن الرد عليها .

يقول الامام الغزالى :" الاقتران بين ما يعتقد فى العادة سببا ، وبين مايعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا ، بل كل شيئين لا هذا ذاك ولاذاك هذا، ولا اثبات أحدهما متضمنا لاثبات الاخر ، ونفيه متضمنا لنفى الاخر ، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الاخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما لعدم الاخر ، مثل الرى والشرب،والشبع والاكل.(١)

والامام الغزالى لم ينكر مبدأ السببيه ،وانما أنكر أن تكون العلاقة الضرورة العقليه ، كما هو مذهب الآشاعرة ، لأنهم يرون أن الضرورة العقلية بين السبب والمسبب توحى بالتلازم الذى لاينفك ، ومن ثم قرروا أن العلاقة عاديه حتى يتاح الأمر لهم حين تتخلف العادة ابقاء على الفعل الالهى فى حد ذاته. ومن ثم يظهر الفرض للاعلان عن خوارق العادات .

يقول الامام الغزالى:" فان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقها على التساوى لا لكونه ضروريا فى نفسه غير قابل للفوت ، بل فى المقدور - الالهى- خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون حز الرقبة ، وادامة الحياة مع حز الرقبة "(٢).

---

(١) الامام الغزالى تهافت الفلاسفة المسألة ١٧ ص٢٣٩ تحقيق د.سليمان دنيا دار المعارف.

(٢)المصدر نفسه ص٢٣٩.

وهذا باب ضرورى لأن يفتح ابقاء على المعجزة ، لأنها خرق للعادة ، وأصحاب الضرورة العقلية فى العلاقة بين السبب والمسبب يلزمهم التخلى عنه أمام المعجزة " اذن فالله تعالى وحده هو الخالق لجميع هذه الامور المتعاقبه ، والتى تحدث فى العالم ، ولاينقطع عمل الله تعالى مطلقا فى أى لحظة من اللحظات ، وهو تعالى يقرن متى شاء بين جميع هذه الحوادث التى تكون واهية حين نعدها اسبابا مستقلة - ومسببات لتلك الاسباب، وفى قدرته تعالى أن يقطع تكرارذلك الاقتران ، وأن يحدث ما نعرفه بالمعجزة ."[1] ويفسح المجال لخوارق العادات

اذن مبدأ السببية أمر ثابت والخلاف عندنا فى كونه عاديا أم عقليا ، ونحن نراها علاقة عادية بينما الوضعيه المنطقية تراه مسألة ذاتيه محضة وخدعه خيال[2] ومع هذا فأصحاب الوضعية مترددون فى كل شئ ، بل مترددين بين كل أمرين ؛ فها هو هيوم يقرر " مبدأ السببية على أنه عادة عقلية ، تكونت بناء على ما ندركه من اضطراد فى تتابع الظواهر ، وهذه - العادة العقلية هى التى نعتمد عليها فى التعميم الخاص بالعلوم الطبيعية " والتكهن بالمستقبل بناء على الخبرات السابقة "[3] واذا كنا قد فرغنا من عرض الشبهة فحرى بنا أن نناقشها.

رد الشبهة :

أولا : أنهم رفضوا مبدأ السببية حتى لايسلموا بوجود اله خالق حيث يرون أن عناصر الكون عندهم مجموعة عناصر مختلفة بدأت حين كان كل عنصر على

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٩ .

(٢) الدكتور / زكى نجيب محمود ، احمد امين الفلسفة الحديثة ص ٢٣٧.

(٣) الدكتور / عزمى اسلام لدفيع منجنشتين ص ٢٠٨.

خدة ، ثم دبت فيها الحركة فأخذت تمتزج بعضها ببعض . والسؤال - الان - من أين جاء الكون ! ومن الذى خلق هذه المجموعه المختلفة من العناصر أولا ، ثم من أين جاءت هذه الحركة ؟ ومن الذى شكلها وبعث فيها الحياة ؟.

فاذا قيل أن الأشاعرة رفضوا مبدأ السببية والوضعية المنطقيـة كذلك كان الجواب أن الأشاعرة " اذا كانوا ينفون سببية الأشياء بعضها عن بعض ، فانهم لاينفون السبية العامة ، فالشيئان المتتابعان لاسببية لأولهما فى ثانيهما ، ولكنهما معا يرجعان

الى سبب واحد هو الله سبحانه وتعالى ، وتتابعهما أيضا حدث كونى لابد له من سبب ،وسببه هو نفس السبب الذى أوجدهما".[1] وليس الحال كذلك عند الوضعيه الذين يرون أن الأشياء هكذا وجدت بلا سبب ، وانه لايوجد بينهما الا مجرد التتابع الذى تحكمه الملاحظه فقط ، والفيصل الرجوع بالمسألة الى الواقع الحسى.

ثانيا : يقولون : دبت فيها الحركة ، اليست الحركة هي السبب، رتبت فوقع النشاط، رغم أنهم ينكرونه ، كما أن كل ما قالوه هو مجرد فرض لم يقع له القبول لأنه فرض ميتافيزيقى غير خاضع للتجربة ، لتعلقه بمبدأ الكون ونشأته وهو نفس المبدأ الميتافيزيقى وهم ينكرون. اذن هم تناقضوا حين رفضوا الميتافيزيقا ، ثم رجعوا اليها يحيلون عليها. ويطلبون حلولا منها لمشاكلهم

---

(١) الدكتور / سليمان دنيا - التفكير الفلسفى ص ١٩٤.

ثالثا: هذه الفئة تأثروا بخليط من الافكار غير المرتبة ، لان فى امتزاج بعض العناصر واختلاطها ببعضها تبدو صورة الانجذاب الشوقى عند أرسطو ، مع أنه مجرد فرض غير صحيح ، كما أنهم فى مسألة المصير الذى ينتظر تلك الحركة وعودة العناصر الى تجمعها الأول الذى كانت عليه قبل التجانس ، انما تمثل صورة للفكر الاسطورى الذى يصنعه الخيال ، لأن معناه أن دورتها أبدية ، وهذا يصادم قول الله تعالى " أن يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد ".[١]

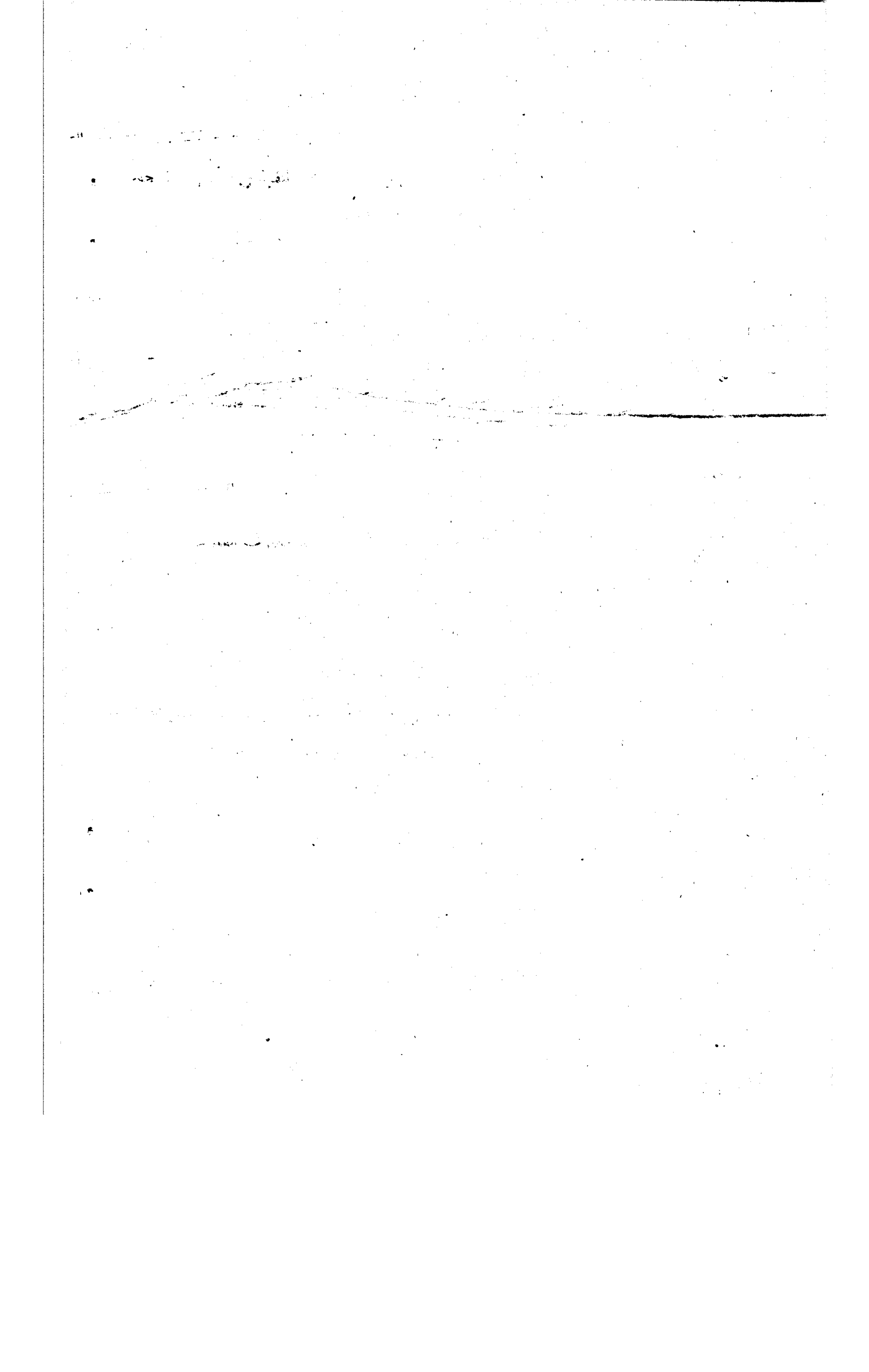
يقول الدكتور البهى : . أنهم ينقلون " عيب . الغربيين المغرضين للإسلام الذين يغضون أبصارهم عن قيمة ، ثم يكذبون فيما ينقلون باسم الفكر التجريبى او الاسمى ، حتى يكون منهم فى تجديدهم فى الفكر انتقاص للاسلام. وبذلك يتساوون فى الوقوف على قدم واحدة ، وهى توجيه الملام والعيب للدين.[٢] الإلهى ، والتمسك بالأديان الوضعية أو هجر الأديان كلها وسوف يحفظ الله للمسلمين دينهم ولن تنال منهم هذه الطائفه وأمثالها ولن يتمكنوا بفضل الله من الوصول الى زعزعة الايمان من قلوب المؤمنين ، والله من ورائهم محيط ، وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

---

(١) سورة فاطر آية ١٧.

(٢) الدكتور / محمد البهى الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ـ ٢٤٨.مكتبة وهبة.


المبحث السابع
البراهين العقلية في الاستدلال
على عقيدة الألوهية



تعتبر العقيدة الحقة فى الله رب العالمين ، أقوى المؤثرات على الانسان فى فكره وسلوكه ، لأن عليها تبنى حياته ، وتستقيم آخرته ، كما أنها الأصل لكل ماعداها فمن آمن بها لزمه الايمان بغيرها من الغيبيات التى تقوم عليها ، فإذا صدق ايمان المرء بها ، سلمت عقيدته ، واستقامت أخلاقه ، وانضبط فكره ، وأمكنه التصرف فى جوارحه بل والسيطرة عليها .

ولهذه العقيدة الغيبية أثار كثيرة ، ظهر بعضها فى جهود المتكلمين ، حين حاولوا الاستدلال عليها، وقدموا لذلك عددا من الأدلة عمدتها دليل الحدوث ودليل الامكان وهو بعض جهد متكلمى اهل السنة والجماعة [(١)].

كما ظهر بعض أخر على جهود الفلاسفة المسلمين الذين آمنوا بهذه العقيدة الغيبية ، ورأوا أن نصوص الدين تعطى مقدمات لهذا الاستدلال الفلسفى فعمدوا إليه ، وقدموا له عددا من الادلة من اشهرها .

- دليل العناية والنظام .
- دليل الخلق والاختراع.

بل كان لهذه العقيدة فى العصر الحديث أمر مهم .حين هتف بها علماء الطبيعة والفلك والطب والجيولوجيا وشاركهم علماء النفس والنبات ، وكافة العلماء فى الاستدلال على هذه العقيدة الالهية واتخذ كل منهم من ميدان تخصصه نقطة انطلاق لاثبات ان لهذا الكون خالقا ، وله صفات خاصة به.

---

(١) ذكر شارح المواقف تسعة ادلة على اثبات الصانع . وذكر صاحب تحقيق الموقف الخامس أخر يضاف الى ماسبق وهو يقوم على اثبات احتياج الممكن الى العلة التامة ضرورة أن هذه العلة واجبة الوجود ، وهو المطلوب ص٢٦

وربما قيل أليست هذه العقيدة فطرية؟!

والجواب أنها فعلا فطرية ، لكن فطريتها فى الايمان بها لا فى الاستدلال عليها . وفى تقديرى أنه لاتمنع الفطرية محاولة الاستدلال عليها ، وقد جاءت فى سياق النص القرآنى ، مع نبى الله ابراهيم عليه السلام. ومحاولة الاستدلال على صفة المحى بالنسبة لله رب العالمين . قال تعالى:

" واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن ياتينك سعيا وأعلم أن الله عزيز حكيم "(١)

يقول الامام الزمخشرى:

" ولكن ليطمئن قلبى ، فيزداد سكونا وطمأنينة بانضمام علم الضرورة الى علم الاستدلال ، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وأزيد للبصيرة واليقين ، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذى لامجال فيه للتشكيك "(٢)

إذن الايمان بوجود الخالق العليم جل علاه عقيدة فطرية " لأن الايمان بوجود الله عقيدة مغروزة فى فطرة الانسان على اساس ان التدين فطرى فيه ، والايمان بوجود الخالق اساس التدين "(٣) ومن ثم وجدنا المؤمنين بهذه العقيدة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦

(٢) الكشاف المجلد الأول ص٣٠٩

(٣) الدكتور / حسن محرم الحوينى - المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص١٢ دار الطباعة المحمدية الطبعه الاولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م

الالهية يتخذون أدلة عديدة لاثبات هذه العقيدة والاستدلال عليها ، بحيث يمكن اجمالها فيما يلى:

١-دليل الفطرة (١)

٢-الدليل القرآنى الكونى

٣-الاستدلال العقلى

وهى فى اجمالها تشير الى اثر الايمان بعقيدة الالوهية على فكر المؤمنين بها كما تشير الى ان كل دليل منها قام عليه فكر ينسب الى من وافقهم ، اذ ان بعضهم كان يكفيه فى الاستدلال عليها ما يشعر به فى وجدانه ، وما استقر فى فطرته(٢).

وبعضهم كان يتأمل الدلائل الكونية من مخلوقات عديدة ، سماء مرتفعة بلا اعمدة قائمة رغم اتساعها، ونجوم وكواكب ، وشموس وأقمار ، وبحار وأنهار ، الى غير ذلك وكان فكرهم متجها نحو الدليل الكونى وكان فيه الكفاية لهم .

---

(١) افاض الامام ابن تيمية فى بيان هذا الدليل وقدم له وجوها سته فى كتابه النقل والعقل ج ٤ ص ٨٣/٨٦ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٢ عقائد تيمو.

(٢) اختلف فى تحديد مفهوم السلف الصالح على أقوال: منها القول الأول. اصحاب التحديد الزمانى ، وهم قد اختلفوا فى طول المدة حتى اوصلوها من المائة الاولى الى الخامسة . القول الثانى : اصحاب الاتجاه اللغوى ، وهم يرون ان السلف من لهم خلف وبالتالى كل فرقة لها خلف يكون لها سلف القول الثالث : السلف هم المتمسكون بالكتاب والسنة وتقديمها على غيرها فى الاستدلال وهو الرأى الراجح.

وأخرون نشطت مباحثهم العقلية ، وفرضت عليهم الثقافات التى تعاملوا معها نوعا من الاستدلال العقلى فقاموا به خير قيام على النحو الذى سمحت به ظروفهم أنئذ من ثم فانى ساركز علـى ذكـر الادلـة التـى تمكـن بهـا . قـاصدا ضرب اصحاب الفكر المادى على وجوههم ايا كانوا .

ولم تكن مسـائل العقيـدة الاسـلامية بحاجـة الى بحث او استدلال لا فـى الايمان بها او الاستدلال عليها فـى الصـدر الاول للاسـلام ، بـين الصحابـة أمـا لماذا؟ فلأن رسول الله ﷺ بينهم، حيث كان " المرجع عند الحيرة ان كـانت ، والسراج فى الظلمات ان وجدت [١] وكيف لاوهو ﷺ بينهم ، ويتزل القرآن الكريم عليه ، من ثم . كانت القلوب تقية، والعقيـدة صافيـه ، لم تدخـل اليهـا ثقافات غيرها ، بل ان احتكاكهم بالامم الاخرى كان بعيدا عن مسائل العقيدة واقتصر على تبليغ العقيدة اليهم . هذا فى المسائل العقدية.

وحصر الاحتكـاك فـى التعـاملات الدينويـة ، علـى ان مسـائل العقيـدة الاسلامية كانت بالنسبة للسلف الصالح تقوم على التصديق بما جـاء بـه القـرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والتسليم بما جاء به النقل المعصوم من غير زيـادة عليه او نقصان ، اذن منهج السلف هو المنهـج النقلـى . فـى اثبـات وجـود الله تعالى . والاستدلال عليه.[٢]

---

(١) د/ على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ١٣ شركة الطباعة الفنية

(٢) أرى حصر الاراء فى مفهوم السلف فى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الاول : القائلون بأن السلف فترة : وهم الذين عاشوا فترة زمانية مع رسول الله ﷺ . ربما امتدت حتى نهاية القرن السابع الهجرى . وعليه ملاحظات كثيرة .

الاتجاه الثاني : القائلون بأن السلف افراد واشخاص بأعينهم ، واعيانهم ، وهذا الاتجاه عليه من النقودات مايضعفه بل ويهدمه.

الاتجاه الثالث: القائلون بأن السلف فكرة هى التزام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتقديمهم فى استدلال على وجود الله تعالى على غيرها وهو اقوى الاتجاهات واكثر قبولا .

بيد أن من دفعه فكره فى الاستدلال عليها - بعد الايمان بها - كان يجد طريقه فى آيات القرآن الكريم ، وأحاديث البشير النذير ، وكان فى ذلك حفظ لعقيدتهم الصافية ، واستمرار لما فيها من نقاء وطهارة ، عبر عنها القول المأثور متى غاب حتى نستدل عليه ،ومتى خفى حتى نبحث عنه، والقول:

وفى كل شئ له آية .: تدل على أنه الواحد.

بل ان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على دربهم ، لم يكونوا يفرقون بين ذات الله وصفاته فى الاستدلال . ولم يسمحوا لعقولهم الخوض فى مسألة اسماء الذات وأسماء الافعال ، اوصفات الذات وصفات الافعال ، بل انهم لم يتحدثوا فى مسألة زيادة الصفات على الذات اوعدمها ، وهو مايبحث تحت علاقة الذات بالصفات وانما كان ايمانهم فطريا ، واذا حدث نوع من الاستدلال كان عماده النظر فى ايات الذكر الحكيم ، واحاديث النبى محمد ﷺ ، وامرار كل ذلك على ظاهرة من غير تشبيه يوقع فى التجسيم ، او تأويل يؤدى الى التعطيل ، وانما "طفقوا يقررون العقائد - الدينية - من واقع النصوص الشرعية.[1]

وليس معنى هذا أنهم عطلوا العقل الانسانى ، او طالبوا باهماله ، وانما جعلوه تحت رقابة الشرع الحكيم ، يفكر فى النقل المعصوم ، لابغرض الايمان ، وانما بغية الاستدلال ، تحقيقا لأمر الشرع الوارد فى امثال قوله تعالى:

---

(١) الدكتور / على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ص ١٣ شركة الطباعة الفنية.

" قل انظروا ماذا فى السماوات والارض وماتغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون"(١) وقوله تعالى " وفى انفسكم أفلا تبصرون "(٢) وقوله تعالى " ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعنا النهار معاشا"(٣) الى آخر تلك الايات وامثالها التى تحدثت عن أثر الفاعل جل علاه .

ومن ثم دلت على أنه امر فطرى من حيث وجوده ، وأزليته وأبديته جل علاه كما جاءت أيات اخرى تحدثت عن وحدانية الله تعالى من كل ناحية بعد أن أكدت على ضرورة اثبات وجوده، من ذلك قوله تعالى:" هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم"(٤) ومن ناحيه نفى وجود المثل : قال تعالى " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"(٥) ، ومن ناحية استحالة وجود شريك له جل علاه قال تعالى " اننى معكما اسمع وارى "(٦)

إلى غير ذلك من الوجوه التى جاءت فى النقل المعصوم حديثا عن البارى جل علاه تأكيدا على اثبات وجوده تعالى ، واثباتا لصفاته العظمى ، وتأكيدا على وحدانيته جل علاه من سائر الوجوه ، وكان النقل المعصوم هو ميدان

---

(١) الدكتور / حسن محرم الحوينى - المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص٢٠

(٢) سورة يونس الأيه ١٠١

(٣) سورة الذاريات الأية ٢١

(٤) سورة النبا الأيات ٦- ١١

(٥) سورة الحديد الأيه ٣

(٦) سورة الشورى الأية ١١

٦- سورة طه الأية ٤٦

ذلك كله ، فلم يقم الاستدلال على أثبات وجود الله تعالى عندهم ، او اثبات صفه من صفاته على المناهج العقلية التى عرفت فيما بعد عند المتكلمين والمقدمات المنطقية ، وانما جاءت من النقل المعصوم مباشرة ، بحيث يفهما الامى العامى ، والمتعلم المثقف.

اذن كان المعول عليه عند ائمة السلف وعلمائهم من أهل السنة والحديث، هو الادلة الشرعية ، فى اثبات العقيدة وتقريرها" والادلة الشرعيه يقصد بها العقل المعصوم ، وبخاصة ان القرآن الكريم " ذاخر بالايات الكثيرة التى تأخذ بيد العقل البشرى ، الى حيث تهديه الى خالقه - جل علاه - الذى مكث الفلاسفة السنيين الطويلة فى البحث عنه ، واختلفوا وتطاحنوا فيما بينهم عليه "[١] بينما يكفى فى الايمان با لله ان تعتقد بوجود اله واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احدا " [٢] وهو طريق السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فاذا قيل اى تلك التى يقوم عليها مذهب السلف الصالح فى الاستدلال على وجود الله تعالى ، وسائر صفاته ، والنبوات والسمعيات وسائر مسائل العقيدة؟

فالجوب . انه الدليل القرآنى الذى يمكن استخلاصه من أيات الذكر الحكيم . وله عدة مناهج :" وما من شك فى انه يمكن أن يؤخذ من ذلك أدلة

---

(١) د/حسن محوم الجوينى - المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص٢٠

(٢) الدكتور /على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ص٤٥

كثيرة على وجود الله لمن شاء من اصحاب الفكر"[١] وبالتالى تكون أدلة عقلية، وبراهين علمية ، وشواهد قرآنية

ثانيا: سوق البراهين:—

الاول : البرهان الطبيعى.[٢]

ومؤداه ، أن النظر فى المشاهد التى تحتوى عليها الطبيعة ، من أفلاك ونجوم تتحرك بقدرة لايستطيع الانسان ان يوقفها أو يحول سيرها أو حتى يعدلها. يؤدى بالانسان الى الاعتقاد بأن هناك قوة عليا هى التى خلقت هذه الطبيعة ، وهى التى تحكم سيرها ، وهو الله رب العالمين.

وتطبيق آيات القرآن الكريم على هذا المنهج يأتى من امثال قوله تعالى " فلينظر الانسان الى طعامه أناصببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم"[٣]

وقوله تعالى" ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا"[٤]

---

(١) الدكتور / رؤف شلبى - منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية صـ١٦ ط المكتبة الازهرية سنه ١٣٩٧هـ

(٢) الدكتور / رؤف شلبى - منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية صـ١٦ ط المكتبة الازهرية سنه ١٣٩٧هـ

٣ - سورة [illegible] الآيات ٢٤ / ٣٢

٤ - سورة النبأ الآيات ٦ / ١٦

وقوله تعالى : "أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين".

"أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون"

"أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون "

الى غير ذلك من الايات القرأنية التى تهدى الباحثين الى أستخلاص هذا الدليل من القرآن الكريم على ان ابن رشد يسميه دليل العنايه لما فى الكون من كثره المخلوقات مع العنايه بها والاحكام وأنها خلقت بعنايه ، وتحفظها من ناحية الخالق جل علاه عنايه .

الثانى : البرهان الروحى

ومؤداة أن الروح التى يعيش بها الانسان والحيوان غير التى بها الفكر الانساق ، وأية ذلك أن البله والنائمين والمصروعين يتنفسون ويأكلون وربما يتحركون ، وهم فى ذلك الفعل تقودهم الروح الحيوانيه التى يشترك فيها الانسان والحيوان ، والروح التى هى خاصة التفكير هى الروح العاملة فاذا غابت عن بدنها جاء النوم وغيره ومن ثم فان أنفصالها عن البدن لا يعتبر عدما وانما يعتبر أنفصالا بين المادة ، والروح وهو ما يحدث فى الموت على أن هذه الروح بعد الانفصال تعود الى عالم الغيب كما ترجع المادة الى عالم المادة ، والروح فى حاله الانفصال تكون أقوى تأثيرا لأنها لا يحد سلطانها الجسم اذن هناك كائنات غيبيه عامله لا يقع عليها الحس مزودة بقوه خارقه قد تتصل بهذا العالم وتترك فية أثارا عجيبه ، ومن وراء هذه الكائنات والقوى يوجد الروح الاعظم الجدير بالعبادة ، رب القوى جميعا ورب الأرباب"(١)

---

(١) الدكتور /سليمان خميس - نحو عقيدة قرآنية صـ ٣٥

فإذا حاولنا معرفة الايات التى تفتح الباب لهذا المنهج الروحى وجدنا القرآن الكريم ينص على مقدماته فى آيات كثيرة منها :-

١- مايدل على استقلال الروح الانسانى عن الروح الحيوانى والجسد من ذلك قوله تعالى " وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعلمون.(١)

٢- مايدل على بقاء الروح الانسانى بعد الموت. قوله تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى اجل مسمى ان فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون "(٢)" فهذه الأية صريحة فى أن التوفى أعم من الموت ، فقد صرحت بأن الأنفس التى تتوفى فى منامها غير ميتة. فهناك وفاتان :

١- وفاة كبرى وتكون بالموت .

٢- ووفاة صغرى وتكون بالنوم "(٣) اذن الروح باقية بعد الموت البدنى، ويكون الموت انفصالا بين طرفين هما الروح والبدن وكل منهما يرجع الى عالمه الذى كان فيه قبل الاتصال بينهما.

---

(١) سورة الانعام الاية ٦٠

(٢) سورة الزمر الآية ٤٢

(٣) د/ محمد سيد طنطاوى ، د/ احمد السيد الكومى تفسير سورة الانعام ص١٤١ سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

٣- مايدل على تعلق ارواح الموتى بالذين لم يلحقوا بهم.

ذكرت ايات القرآن الكريم حديثا شيقا يدل على أن أرواح بعض الناس بعد موتهم تظل متعلقة ببعض شئون أهل الدنيا من ذلك قوله تعالى " ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المؤمنين" (١)

يقول صاحب مفاتيح الغيب :" فاستبشارهم بمن يكون فى الدنيا ، لابد وأن يكون قبل قيام القيامة، والاستبشار لابد وأن يكون مع الحياة ، فدل هذا على كونهم أحياء قبل يوم القيامة"(٢) ومن السنة المطهرة ما يؤكد على تعلق الارواح التى انفصلت عن أبدانها بغيرها التى مازالت متعلقة بالأبدان ، وتؤيد فى مجملها المنهج الروحى الذى يمكن فهمه من النقل المعصوم.

فمن ذلك ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال فى صفة الشهداء:" إن أرواحهم فى أجواف طير خضر ، وأنها ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها ، وتسرح حيث شاءت ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فلما رأوا طيب مسكنهم ومطعمهم ومشربهم قالوا : ياليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم ، وماصنع الله تعالى بنا كى يرغبوا فى الجهاد فقال الله تعالى : أنا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ، ففرحوا بذلك واستبشروا فانزل الله تعالى هذه الآية" (٣)

---

(١) سورة آل عمران الأيات ١٦٩/ ١٧١

(٢) مفاتيح الغيب مجلد ٤ ج٢ ص٥٦١ ط دار الغد العربى

(٣) مفاتيح الغيب مجلد ٤ ج ٨ ص ٥٦٤.

وكذلك ماروى عن ﷺ أنه قال :" أولياء الله لايموتون ولكن ينقلون من دار الى دار"(١) ثم انتهى صاحب مفاتيح الغيب الى القول بان " كل ذلك يدل على ان النفوس باقية بعد الموت"(٢) فاذا نحن فرغنا مما عرضناه نرى القرآن الكريم قد اشار الى حقائق .

- وكل النقل المنزل حقائق - غيبية ونحن لاندركها مع انها موجودة متصلة بالانسان أو مستقلة عنه ، بها اتصال بالعالم الذى نعيش فيه ، وغير الذى نعيش فيه.

بعضها يتعلق به الارزاق ، وأخر به الآجال وثالث به الحفظ ، ورابع به الصور ، وخامس به الموت ، وغير ذلك مما يتعلق بهذا النوع من المخلوقات وهم الملائكة على وجه العموم ، وهى في مجملها ارواح موجودة عاملة غير مرئية على الدوام بل ان الجن ارواح واجساد لطيفة ونحن لانشعر بهم شعورا ماديا ، ولا نتمكن من مراقبة سلوكياتهم او ضبطها ، أو التعديل فيها ومثل هؤلاء واولئك كثير مما لايعلمه الا الله تعالى .

وآيات الذكر الحكيم فى الحديث عن الملائكة والجن وغيرهما مستفيضة . اذن يمكن القول بان " المنهج الروحى الذى سلكه القرآن من وجود الروح الانسانية المغايرة للروح الحيوانى ، التى تبقى بعد الموت ، ووجود الارواح الأخرى التى سخرها الله ، كل ذلك يلائم بعضا من الناس فى الاهتداء الى عقيدة الألوهية والى الاعتقاد فى وجود اله قادر حكيم ، اعطى كل شئ خلقه ثم هدى"(٣)

---

(١) مفاتيح الغيب مجلد ٤ جـ٨ صـ٥٦٤

(٢) مفاتيح الغيب المجلد الرابع جـ٨ صـ ٥٦٤

(٣) الدكتور / سليمان سليمان خميس - نحو عقيدة قرآنية ص٤٢

ومؤداه . ان الانسان يدرك من خلال تجاربة الخاصة به . أن هناك فاصلا بين ما يتمناه وما يحقق فعلاً بمعنى أنه ليس كل ما يطلبه الانسان يتحقق له مهما سعى فى سبيل تحقيقه، بل كلما أندفع بجدة من حركته الارادية شعر من داخل نفسه بارتداده لقيود القانون العام الذى يحكم الوجود كله . وليس هذا القانون هو الطبيعة التى انهزم الانسان امامها مرة ، وانهزمت امامه كذلك ومانزال رحى الحرب بينهما قائمة . وانما القانون هو الروح العالمية العاقلة التى تدبر الكون وتديره ، وتخضع لها أمال الانسان وتنهزم أمامها طموحاته، وتحيط بأمانيه واحلامه من كل جانب .

فإذا سلمنا به تبين لنا أن هناك تضاربا بين ماترغب فيه النفس البشرية ، وبين مايريده القدر الالهى.بحيث ينتهى الأمر الى هزيمة الانسان وخضوعه الى هذا القانون العام الذى لايلتفت الى رغبات النفس البشرية ، وكل النفوس البشرية العاقلة تدرك هذا الخضوع . فكم من ثرى افتقر ، وكم من صحيح سقم ، وكم من عزيز قوم ذل وقد يتبدل الحال الى العكس بل ربما إلى ابعد من العكس.

على أن الناس جميعا يدركون هذا الأمر . عامهم والمثقف ، جاهلهم والمتعلم من كان فى قمة المعرفة الانسانية ومن كان من الهمج الرعاع ، وبحكم ثقافة كل واحد منهم وظروفه يعبر عن أماله المنكرة والامه التى يعانى منها وحده ، ويضطر الى اخفائها عن الاخرين ، خيفة الشماتة أو الاعلان عنها طلبا للشفقة .

أما القرآن الكريم فقد وضع لهذا المنهج أسسا قوية تلفت العقول الى أن هناك الها خالقا يحكم هذا الكون ، ويمسك مقاليده ، ويحفظ نظامه ، كمابين ان لأفراد المجتمع الانسانى ليسوا على حالة واحدة من حيث التكوين النفسى ولا السلوكيات الصادرة عن هذا التكوين وأنهم ليسوا على درجة واحدة من حيث تصرف الارادات الانسانية ، ولنطبق ايات القرآن الكريم على هذا المنهج فحتما سنرى .

١- من الايات مايشير الى انه ليس كل مايتمناه الانسان يتحقق له .

قال تعالى:" ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ماتمنى فلله الأخرة والأولى[١] اى " علل سبحانه انتفاء أن يكون للانسان ماتمنى بقوله تعالى " فلله الأخرة والأولى " اى ليس للانسان مايشتهى لأن الملك كله لله تعالى يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ، وأن أمور الاخرة والدنيا بأسرها لله عز وجل ، فليس لأحد معه أى أمر من الامور"[٢] وهكذا فإن المرء قد يريد شيئا ويريد الله غيره ولايتحقق الا ما يريده الله تعالى ، ويدرك هذا كل انسان من نفسه ز

٢- مايدل على ضعف ارادة الانسان وكمال ارادة الرحمن.

قال تعالى :" قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير"[٣]

---

(١) سورة النجم الايات ٢٣/٢٥

(٢) الدكتور / محمد سعيد محمد عزام تفسير سورتى الطور والنجم ص٧٩ مطبعة الطاووس

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٦

قال صاحب مفاتيح الغيب" الملك هو القدرة ، والمالك هو القادر ، فقوله تعالى "مالك الملك " معناه القادر على القدرة ، والمعنى أن قدرة الخلق على كل مايقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى فهو الذى يقدر كل قادر على مقدروه ، ويملك كل مالك مملوكه"(١) ومن ثم فان الارادات الانسانيه منحصرة فى الضعف الانسانى خاضعة لأرادة اعلى منها ،والارادة الأعلى لاتكون مثلها وانما لها من السمات ما يحول بينها وبين أية صورة من صور القصور ، وعدم النفاذ وهذا فى حد ذاته يكفى لبيان المنهج النفسى وضرورة التسليم باثبات وجود الله الخالق للكل جل علاه.

٣- مايدل على تحول الارادات الانسانية

قال تعالى " واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم أياته لعلكم تهتدون "(٢) وقد بينت الآية الكريمة أن ارادة الانسان تتحول ، وان الذى يحولها اكبر منها بسلطانه وهيمنته عليها ، وهو الله رب العالمين .

ودفعت الآية الكريمة المؤمنين الى ان " يتذكروا نعمة الله التى أنعم بها عليهم حين كانوا أعداء ، يقتل بعضهم بعضا استجابة لعصبية الجاهلية فأنقذهم من هذا ونجاهم منه ، بان هداهم للاسلام ، وألّف بين قلوبهم ، فأصبحوا يتواصلون بالالفة واجتماع الكلمة ، وبهذا صاروا اخوانا متحابين ، وأعوانا

---

(١) مفاتيح الغيب المجلد ٤ ج٧ ص ١٥٥

(٢) سورة آل عمران الأيه ١٠٣

متناصرين "(١) وليس تحويل الارادة الانسانية بلا عقاب أو مسئولية بحيث تُخلى عنه أمورا. وتسقط عنه مسئوليات كلا، وانما تحول الارادة الانسـانية قـد يكـون لصالح الانسان نفسه من غير عمل أوجبه .

٤- مايدل على أن النفوس الانسانية تحكم تصرفاتها قوة أعلى منها.

قال تعـالى " وان يريـدوا أن يخدعـوك فـإن حسبك الله هـو الـذى ايـدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بـين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم (٢)

والبادى من الأية الكريمة هو ابراز همينة الخالق جل علاه ، وسيطرته على تصرفات النفوس ، مع علمه التام بما يجرى فيها من كافة نواحيها ثم هو سبحانه الذى يجعل القلوب البعيدة متقاربه ، والمتنافرة متآلفة ، بحيث تشعر هى فى ذاتها أن هنالك قوة أعلى منها جميعا ، وتتعرف فيها كلها . وهذا القوى القـاهر هـو الله رب العالمين.

يقول الامام الفخر:" احتج اصحابنا بهذه الآية علـى أن أحـوال القلـوب من العقائد وارادات الكرامات كلها مـن خلـق الله تعـالى ، وذلـك لأن تلـك الألفة والمودة والمحبة الشديدة انما حصلت بسبب الايمان ومتابعـة الرسـولﷺ : فلو كان الايمان فعلا للعبد لافعلا لله تعالى ، لكانت المحبة المترتبه عليه فعلا للعبد لافعلا لله تعالى ، وذلك على خلاف صريح الأية....

(١) التفسير الوسيط الجزء ٣ ص٦٣ ط مجمع البحوث الاسلامية

(٢) المصدر نفسه صـ٦٣١

والبرهان العقلى مقو لظاهر هذه الأية ، وذلك لأن القلب يصح ان يصير موصوفا بالرغبة بدلا عن النفرة وبالعكس ، فرجحان أحد الطرفين على الآخر لابد له من مرجح ، فان كان ذلك المرجح هو العبد ، عاد التقسيم ، وان كان هو الله تعالى ، فهو المقصود .

كما دلت الأية على أن القوم لما أمنوا "با لله ورسوله واليوم الاخر زالت الخصومات ، وارتفعت الخشونات ، وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة"[1] ولعل ماذهبنا اليه يعضده قوله ﷺ ان قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وقوله ﷺ " اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك

وقوله ﷺ ".اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك

على أنا اذا فرغنا من عرضنا للمنهج النفسى فى الاستدلال على اثبات وجود الله تعالى من خلال النقل المعصوم فاننا لانعدم القول بأن هذا المنهج النفسى يخالف المنهج الروحى لأن المنهج النفس يقوم على أساس الانفعالات النفسيه وأماطـ! والأحلام ، وعجزها عن انفاذ ما تريده لوجود قوة عليا لايستطيع أى مخلوق النفاذ من سلطانها.

أما المنهج الروحى فقا ثم على أثبات الغيبيات والتى منها الروح الانسانيه والروح الملائكيه ، والا الأخرى كأرواح الجن وغيرها ، ومن ثم يلزم الايمان بوجود خالق لهذه الارواح لايرى ولا يحس قياسا عليها ، ولكنه يؤثر فى

---

(١) مفاتيح الغيب المجلد ٧ ج١٤ ص٥٢٨/٥٢٩ ط دار الغد العربى

الكون وغيره بماله من صفات الجلال والكمال والجمال والاكـرام. هـذه ناحيـة وناحيه ثانيه هى أن المنهج النفسى يعطى تصـورا واضحـا بـأن حركـة الارادات الانسانيه ، والتحركات النفسيه تخضع فى كل ما تهدف الى حركة كبرى تقدر لها ما تريده ، وهو الله سبحانه وتعالى وماذلك الا أثر من اثـار الايمـان بـالغيب والتى تعتبر عقيدة الالوهيه أهم الاصول فى المسأله .

الرابع : البرهان الاخلاقى

ومؤداه أن العقل السليم يقرر ضرورة اثبات وجـود الله كفكـرة اخلاقيـة ترسخ فى النفوس العدل والحق والرحمة . ذلـك لأن الأعمـال التـى تصـدر عـن الانسان لها بواعث ومقاصد ومسـائل ، وفيهـا ماتعقبـه السـعادة والفضيلـه ، أو الشقاوة والرذيلة.

ومـن ثـم فـإن درجـات النعيـم والعـذاب تـوزع علـى حسـاب الأعمـال وبالتالى. فلا بد من وجود توازن يأتى من قوة عليا تخضع الطبيعة كلها لارادتـه ، وتسيرهى على وفق قدره بينمـا يتصـرف هـو طبقـا لعدلـه وعطفـه ورحمتـه ، وماذلك الا الله خـالق كـل مـن الطبيعـة والانسـان ، وهـو الله تعـالى ، فثبـت بالمنهج الاخلاقى ضرورة اثبات وجود الله.

واذا حاولنا استنباط هذا المنهج من آيات القرآن الكريم نجد له الكثير مـن النصوص والوقائع ، بل والاحداث التى عرضت المسألة عرضا ممتاز من ذلك.

أ- سفينة المساكين.

قال تعالى ." اما السفينة فكانت لمساكين يعملـون فـي البحـر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يـأخذ كـل سـفينة غصبـا"[١] والبـادى مـن السـياق القرآنى أن عملية الاعابة للسفينة فيها النجاة من الملك الغاصب ، بينمـا البـادى من تصور العقل وحده من غير مساعدة النقل المنزل أن الاعابـة فـى حـد ذاتهـا ضرر ، فإذا تمت الموازنة بين مايبدو مـن القصـص القرآنـى وبـين تصـور العقـل أمكن القول بأن فعل الاعابة كانت له بواعث منها باعث الانجاء من الغصـب ، وباعث المحافظة على مال المساكين"، وهو منهج اخلاقى فى اعلى امكانياته .

" قيل كانت لعشرة اخـوة ، خمسـة منهـم زَمْنَى ، وخمسـة يعملـون فـى البحر"[٢] ولعل النقل المعصوم قد كشف لنا عن وجهين فى مسألة واحـدة وأن أحدهما كان ينظر الى الأمور مـن خـلال تجـارب الحيـاة وأمـور الطبيعيـة بينمـا الثانى كانت تقوده أمور غيبية وتحكمه قوانيين عالية ، توازن بين متطلبات الحياة الطبيعية وبين قدر الله بحيث تخضع فى النهايـة لأوامر عليـا صـادرة عـن خـالق حكيم .

وهو منهج اخلاقى حيث توضع الامور فى نصابها وهنا نلاحـظ أن درء المفسدة ، وهو غصب الملك للسفينة ،وفيـه اضاعـة مـال المسـاكين مقـدم علـى جلب المصلحة وهو صون السفينة عن عيـب الخـرق المؤقـت ، ولاشـك أن درء

---

(١) سورة الكهف الأيه ٧٩

(٢) الكشاف مجلد ٢ صـ ٧٤

المفسدة مقدم على جلب المصلحة كضرورة اخلاقية ويقاس عليه الامر فى مسألتين فى ذات السورة من نفس القصة القرآنية .

١-قتل الغلام .

٢-بناء الجدار .

ب- مسألة الغلام الوحيد

قال تعالى" حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا ذكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا "[1] قال صاحب مفاتيح الغيب:" ظاهر الآية يدل على أن موسى عليه السلام استبعد أن تقتل النفس الا لأجل

الخامس : البرهان الاجتماعى.

ومواده أن نظام القبائل والعشائر تتمثل فيه مظاهر خاصة كوحدة اللقب المشترك بين أفرادها وهذا اللقب المشترك ربما رسموه على مساكنهم ووشموا به أنفسهم وصار علما يتميزون به ، من ثم فانهم يعظمون اللقب المشترك كرمز ويعظمون – فى ذات الوقت مسماه ، حتى يصل بهم التعظيم الى رسم صورة له خاصة ذات اوصاف محددة.

بل ان هذا التقدير لذلك اللقب المشترك ربما وصل عندهم الى درجة التعظيم والتأكيد المؤقت وفى مواسم محددة بحيث تفقد الرؤس الكبرى امامه تقديرها الشخصى وتذوب كلها فى رحاب تعظيمه وتأليهه وتقديسه حين

---

(١) سورة الكهف الآية ٧٤

يدورون فيه جميعا، ويكون هو الرمز الذى تذوب فيه الجماعة كلها ، ورغم انه تصور منحرف الا انه يعطيك صورة دقيقة للعقل الجمعى وما يكون عليه ، ومثله عقيدة قبائل التوتم.

من ثم ، فإن هذا المنهج الاجتماعى يقودنا الى رمز عال ، وقوة عليا سامية، تخضع لها جميعا، ونشعر أمامها بالاحترام بحيث تذوب رغباتنا أمام أوامره جل علاه وتغل شهواتنا بقيد نواهيه، ولايكون ذلك الا للخالق العليم وبالتالى يصير أمر أثبات وجوده ضرورة اجتماعية:

وفى طبائع الناس رغبة طموح للاتجاه نحو الرمز ، والانقياد تحت الهدف وانحسار الامانى الصغيرة فى دائرة الامال الكبار وهم قد القوا الرغبة فى الاحتياج لهذا القائد الاسمى ، ولمسوا من انفسهم اكثر من اتجاه نحوه ، بل انهم صرفوا انفسهم عن توجيه ذواتهم واسلموها له ، تقليدا ، وانقيادا ، وخضوعا ، وربما ذلة واستكانة ، أو جلالا ومهابة ، وهذا يؤكد ضرورة الايمان بالله تعالى على هذه الناحية .

بيد ان هذا الرمز ان لم يكن هو الاله الاعظم رب العالمين جل علاه فربما انقاد الى ماتنطوى عليه نفسه من تناقض واختلاف ، وقاموا بتقليده من غير رجوع الى الحق ، او اتجاه نحو الصواب ، والخطأ أنه لايصلح للقيادة السليمة والتوجيه الاعلى ، ومن هذا خضعوا له وذلوا ، وقد عاب عليهم القرآن الكريم هذه الاتجاه .

قال تعالى :" أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدانا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك

في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا أباءنا على أمة وانا على أثارهم مقتدون"[1]

من ثم فقد بان لنا أن البراهين العقلية دالة على وجود الله تعالى ... وانه ضرورة لاغنى عنها سواء كانت هذه الضرورة عقلية أو نفسية أو اجتماعية او اخلاقية أو غيرها ، كما بان لنا ان الادلة على وجود الله تعالى لاتتوقف ، وانما قائمة متنوعة وتساير ظروف كل عصر ، متى كان الاصل هو النقل المنزل والعقل السليم .

(١) سورة الزخرف - الأيات - ٢١/٢٣



المبحث الثامن

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة

جاء الحديث عن الملائكة باعتبارهم من العالم الغيبى بجانب كونهم مما يجب الإيمان بوجودهم، وجاء النقل المنزل مبينا تفصيلات كثيرة عنهم، ومن ثم ألزم الإيمان بهم الفكر الاسلامى البحث فيهم من خلال النقل المعصوم، وبالتالى رأينا فى المفكرين المسلمين نوعا من الاجتهاد العقلى، والمجهود الفكرى فيما يخص الملائكة على وجه العموم، سواء فى تعريفهم أو المادة التى خلقوا منها أو أصنافهم والوظائف وسوف نعرج على هذه الأمور فيما يأتى من سطور.

١- تعريفهم:

ذهب «أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة»[١٤٠] بينما ذهب آخرون إلى أنها «أجساد لطيفة نورانية، قادرة على التشكل فى صور مختلفة، وأنها موجودات عاملة فاعلة بالقدرة والإرادة كأصناف البشر، وأنهم مطيعون لربهم عز وجل»[١٤١] ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون﴾.

يقول الشيخ محمود أبو دقيقة ناقلا عن الآلوسى: «أن الناس بعد اتفاقهم على وجود الملائكة، اختلفوا فى بيان حقيقتها، فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام نورانية، وقيل هوائية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى»[١٤٢].

والملاحظ أن هذه التعاريف ليست حديّة، إنما هى تعريفات تقريبية، لأن

١٤٠- العلامة المرعشى: نشر الطوالع ص ١٩٠.

١٤١- الشيخ محمد حسنين مخلوف- المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونيه ص ١٢ مطبعة الحلبى ط ٢ سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م.

١٤٢- الشيخ / محمود أبو دقيقه - مذكرات التوحيد ص ١٨٣.

التعريفات الحدية، يكون لها جنس وفصل، جنس يعمها وفصل يقسمها، وما لم يكن كذلك تكون تعاريفه تقريبية لا حدية على ما ذهب إليه العلماء.

٢- المادة التى خلقوا منها:

ذهب البعض من المسلمين إلى أنها النور على ما جاء به الحديث الشريف، ومنهم من ذهب إلى أنه شعاع النار وهو المساوى للنور على أساس أنه الضوء ولكن تبقى أمور كثيرة نذكرها على سبيل الإجمال حتى نفتح الباب لمن يريد المزيد مع أننا سنزيد إن شاء الله هذه الموضوعات بحثا ودراسة إن أمد الله فى العمر وبسط فى العافية، وما ذلك على الله بعزيز.

٣- الأشكال المتاحة لهم.

٤- إمكان رؤيتهم.

٥- استمرار حياتهم أو موتهم.

٦- أعدادهم.

٧- الأعمال الموكلة إليهم.

٨- وظائفهم.

٩- بعثهم وعلى أى نوع يكون.

١٠- كيفية بعثهم.

١١- مكانهم فى الآخره.

١٢- نعيمهم من دوامه أو تأقيته"[١٤٣].

إلى غير ذلك من الأمور التى تتعلق بهذا الأصل الإيمانى وكان للفكر الإسلامى فيه مجهود وافر لكنه فى مجمله يعطى المسلم معلومات موثقة عن

١٤٣- راجع نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام، ص ٤٩ وما بعدها.

الملائكة طالما كان النقل عمدته :

لكن ما هى الآثار المترتبة على الإيمان بالملائكة؟ والجواب ما يلى:

١- الثقة فى وجود مخلوقات روحية ذات أجساد لها خواص معينة خيرة:

ومن ثم ينطلق المؤمن بالغيب فى طريقه، موقنا أن هناك حراسا معينين له، حافظين إياه مقيدين عليه وزره، موثقين له أجره. يأتون الرسل بخبر السماء، ويحفظون للخلق أسباب الحياة.

منهم القائم على الأرواح بأمر الله، ومنهم القائم على الأرزاق باذن الله، ومنهم القائم على الجنة والنار بفضل الله وعدله ومع هذا فهم يرونه ولا يراهم، ويراقبونه ولا يفلت منهم وبهذا تتسع دائرة النظر العقلى عنده.

ومن ثم فلا يقع فى الخرافات والأوهام، التى يقع فيها من لا يؤمنون بالغيب، كما لا يكون عرضة للزيف والضلال التى تحيط بمن لا يتلقون معلوماتهم عن طريق الوحى الإلهى، وإنما يعيشون فى أحضان الجحود للغيب وإنكاره بحيث لا ترى لهم إلا فكرا شعبيا، ومعلومات مشهود عليها بالبوار.

٢- دقة المراقبة تزيد فى فعل الحسنات وترهب من فعل السيئات:

الإيمان بالغيب يقود صاحبه من عقله، حيث ينظر الملائكة الحفظة فيراهم كراما كاتبين، يدونون سجلا خاصا به، بما فيه من أعمال أجرها له، ووزرها عليه قال تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾[١٤٤] وقوله تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١٤٥]

يقول أحد الباحثين عن هذين الملكين «أن الله كلفهم بكتابة أعمال الإنسان

١٤٤- سورة الإنفطار الآيات: ١٠، ١١، ١٢.

١٤٥- سورة ق الآية ١٨.

ليحاسب عليها فى يوم الحساب وأنهما اللذان يسجلان أعمال الإنسان قاعدين عن يمينه وشماله فما يلفظ من قول ويعمل من عمل إلا ويراقبانه وكل منهما عتيد، أى مهيأ لكتابة ما يقوم به من خير أو شر وكفى بذلك رادعًا للإنسان عن اقتراف السيئات والذنوب، متى علم أن هناك ملائكة تلازمه وتحصى عليه أعماله»[١٤٦]

ويقول الأستاذ / وحيد الدين خان: أن جميع ما نلفظه من كلام، حسنا كان أو قبيحا، حمدا أو سخطا وسواء استعملنا اللسان فى إبلاغ رسالة الحق أو استعملناه فى إبلاغ رسالة الشيطان، كل ذلك يحفظ فى سجل كامل وهذا السجل سوف يعرض أمام محكمة الآخرة ليتم حساب الإنسان.

ثم ينتهى إلى القول بوجود ملائكة لله، مسجلين غير مرئيين، ينقشون على صفحة الفضاء كل ما ننطق به من كلام، وهو ما يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١٤٧].

ومن ثم فإن الإيمان بالملائكة يجعل المرء فى رقابة شديدة لتصرفاته وأفكاره وأقواله، يعدها بنفسه على نفسه، لأن المراقبين له من قبل الله، لديهم من دقة المراقبة، ما يجعلهم فى أداء تام لكافة ما يؤمرون به، فهم على الحق قائمون، وبالحق يسجلون وموقفهم منه، ونظره إليهم يقودان مسيرة الحياة به إلى محاولة القيام بالطاعة، والاجتناب للمعصية فيتحقق له أمر السعادة فى الدنيا، لكونه على طاعة الله قائم، وفى الأخرة لأنه يرى جزاء الله أمامه ماثلا.

يقول الاستاذ الإمام/ محمدعبده: «ومن الغيب الذى يجب علينا الإيمان به ما أنبأنا به فى كتابه من أن علينا حفظة يكتبون أعمالنا حسنات وسيئآت، ولكن ليس علينا أن نبحث عن حقيقة هؤلاء إلى أن يقول: والذى يجب علينا اعتقاده من جهة ما

١٤٦- الدكتور / رشدى عزيز محمد، الإسلام عقيدة وشريعة ص ٦١، مطبعة حسان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٤٧- الاستاذ / وحيد الدين خان - الإسلام يتحدي ص ٨٠، ٨١، ط٤ المختار الإسلامى.

يدخل فى عملنا هو أن أعمالنا تحفظ وتحصى، لا يضيع منها نقير ولا قطمير، كراما كاتبين مطهرين عن الفرض والنسيان»[١٤٨]

٣- تحقق الأمن العام:

إذ المؤمن بالغيب يرى الملائكة تلازمه، فينحصر تفكيره فيما يحقق الأمن له، وهذا التصرف السلوكى الصادر عنه يتيح للآخرين مبادلته بنفس المقياس، ومن ثم ترى الأمن قد تحقق، ولعل هذا ما أشار إليه القرآن الكريم، فى قوله تعالى «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»[١٤٩].

فهو لا يظلم حتى لا يُظلم، وهو يفعل الخير طلبا له- وحبا فيه، ورغبة فى دعوة الملائكة له فقد صح الأثر: «أن الملائكة لتدعوا لفاعل الخير»[١٥٠] ونحوه ورد أن الملائكة لتدعو لصانعى الخير وإذا تحقق الخير، وانعدم الظلم، حصل بين الناس نوع من الأمن يترجم فى تصرفاتهم، فتراهم يتراحمون، ومن الأثرة يتحللون، وعن الظلم يبتعدون، وللحق يقولون وعليه يسيرون، ومن كل ناحية للخير يأتون، وفى هذا تحقق للأمن العام الذى عليه تنضبط مناحى الحياة.

٤- ترقب ارضائهم والفزع من اغضابهم:

المؤمن بالغيب يرى الملائكة من جند الله، ينزلون برحماته على عباده المطيعين، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده». وقوله صلى الله عليه وسلم

١٤٨- الاستاذ الإمام الشيخ/ محمدعبده - تفسير جزء عم ص ٣٦، ط صبيح ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

١٤٩- سورة الأنعام الآية ٨٢.

١٥٠-الحديث

«إن من الملائكة طوافين بالمساجد».

وقد تظاهرت الأحاديث النبوية على هذا المعنى، ومن ثم ترى المؤمن بالغيب يترقبهم ويحسب فى رضى الله ارضاء لهم فهم صورة من رحمة الله لعبادة وهم آلة يعذب الله بها من يشاء من عباده الظالمين ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر﴾.

كما قد تكررت الأخبار والاثار فضلا عن الأحاديث النبوية ببيان لعن الملائكة لطائفة من الناس كمن أدى الصلاة بحركات وسكنات دون خشوع القلب، وتعاونه مع العقل، وسيطرته على الجوارح فلا ترفع صلاته، بل عليه ترد، وتقول الملائكة «اللهم العنه»[151].

إذن الملائكة من هذه الناحية تترك على المؤمن بها آثارا قوية، يتحول من نقمة إلى نعمة، وتأتى الفيوضات، وتتنزل الرحمات، وقد يكون العكس، فتنقلب النعم نقما، والثواب عقابا، والرحمة عذابا.

وتكون الملائكة صورا تنفيذية لكل من الجانبين على السواء ولهذا فالمؤمن بالغيب يتمسك بمحاولة إرضائهم، ويفزع من صور غضبهم وبالتالى ترجع عنده الاستقامة على الانحراف، حيث يستحى من مراقبيه، وهم فى ذات الوقت حافظيه، فكل شئ عليه محسوب، ويتبلور عنده الامتثال، وتتحقق الطاعة وتتم الاستقامة.

٥- التهيب منهم يضبط القيم الأخلاقية:

المؤمن بالملائكة على أنهم من الغيب يعلم أن منهم المتصرفين الأربعة:

١- جبريل الأمين للوحى وحضور قبض أرواح الصالحين[152].

٢- ميكائيل الموكل بكيل الأمطار، والبحار، والأنهار، والأرزاق، وتصوير

١٥١- الحديث

١٥٢- نور الظلام، ص ١٦.

الأجنة فى الأرحام[153].

٣- اسرافيل الموكل باللوح المحفوظ والنفخ فى الصور.

٤- عزرائيل الموكل بقبض أرواح الخلائق إنسها وجنها والحيوان[154].

ولا شك أنه حيث يتأمل المتصرفين فقط من الملائكة تأخذه الهيبه خوفا على أجله، ورزقه، ومن ثم يضبط قيمه على قاعدة التهيب والترهب لإيقانه أن الملائكة موجودات عاملة فاعلة بالقدرة والإدارة كأصناف البشر، وأنهم مطيعون لربهم عز وجل[155] يتهيب الكذب والنفاق، ويتهيب القلق والاضطراب ولهذا يصح له جانبه القيمى، كما يسلم له جانبه الروحى والنفسى على حد سواء باعتبارها آثارا نشأت من مؤثر محدد هو الإيمان بالملائكة كجزء من العقيدة الغيبية.

ومتى سلمت له قيمه النبيلة، وصحت لديه العقيدة السليمة، ونمت فى أعماقه الفضائل الكبيره، فلا شك أن كله سيرتد أثره على سلوكه الشخصى إيجابيا على كافة من حوله.

٦- تقوية المشاعر الإيمانية

أما كيف؟ فلأن المؤمن بالغيب لا يداخله ريب فى أن لله ملائكة تحفظه من كل مالا حيلة معه ومن ثم تقوى مشاعره الإيمانيه ويستشعر ود الخالق له فتزداد مشاعره الإيمانية نموا ونفسه استقرارا، ومن ثم فلا يزيده صدود الناس عن الحق إلا ثباتا ولا يناله من ضعف الناس إلا مزيد قوة وشدة إيمان، وثبات جنان، وقوة عزيمة.

١٥٣- المصدر السابق ص ١٧.

١٥٤- المصدر نفسه ص ١٧.

١٥٥- الاستاذ الـ شيخ محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى - المطالب القدسيه فى أحكام الروح وآثارها الكونيه ص ١٢، ط ٢ الحلبى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م رقم ٥٠٦.

٧- وسائل نصر للمؤمنين:

المؤمن بالله رب العالمين، يرى فى الملائكة لونا مميزا عن غيره، إذ هم بجانب إقامتهم على العبادة، واستمرارهم فى الطاعة، فإنهم – مع ذلك – وسائل نصر للمؤمن، وفى نفس الوقت صور لهزيمة الكافرين، فمن الجانب الأول ما روت الأخبار أن المسلمين فى غزوة بدر الكبرى نظروا إلى عدوهم فرأوا فيهم كثرة عددية وعُددية إذ بجانب كثرة الأفراد كانت كثرة من أدوات القتال ووسائله. قال تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١٥٦].

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[١٥٧].

بل إن جبريل الأمين نزل أرض المعركة ورآه الرسول الكريم عاصبا رأسه، مستعدا للتثبيت وإبراز نصرة المؤمنين حتى قال صلى الله عليه وسلم «أتاكم جبريل فى جمع من الملائكة حاسرا ثوبه عاصبا رأسه» ممسكا بلجام فرسه[١٥٨]

وأمثال هذا كثير فى السنة المطهرة.

ومن الجانب الثانى – هزيمة الكافرين – ماروت الأخبار أن أبا جهل قد حمل حجرا وتعاهد مع أصحابه على قذفه فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم عند الكعبة، وقد أحضر جمعا من أتباعه ليروا الواقعة، غير أنه لما اقترب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجئوا به يتقهقر بل يسقط على الأرض فزعا ويسقط من يده حجره.

١٥٦- سورة الأنفال الآيتان ٩ ، ١٠.

١٥٧- سورة آل عمران الآيات ١٢٣ – ١٢٦.

١٥٨- راجع الاعلام للقرطبى جـ ٣ ، ص ١٨٥.

حتى كان سقوطه مثار ضحك منهم عليه.

ولما سألوه عن ذلك قال: لقد رأيت أسدا يحول بيني وبينه يوشك أن يلتقمني.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم. إنه جبريل ولو تقدم لأخذه[١٥٩] ، ومرة أخرى يجمع أبو جهل أصدقاءه ويدرب غلامه على حمل السكين، ويقول له إن رأيت بعيراً أو سبعا يحول بيني ومحمد فارشق فيه سيفك، فلما اقترب من رسول الله ومعه الحجر سقط على الأرض متعثرا فى ثوبه حتى ضحك منه الجميع، بل أن الحجر أحدث جرحا فى أنفه ظل يعانى منه حتى مات ولما سألوه قال: لقد رأيت أسباعاً جائعة انطلقت من بين يدي محمد تريد التهامي[١٦٠].

من ثم فإن المؤمن بالغيب يرى فيهم - الملائكة - بجانب ما سبق وسائل نصرة المؤمنين، وهزيمة للكافرين، فتقوى فى قلبه رغبة المزيد من الطاعة واستمرار العبادة. وهذا الذى مر له أمثال كثيرة مما نقلته لنا كتب السنة النبوية المطهرة فليرجع إليها فى مظانها من يطلبها.

ثانيا الآثار المترتبة على الإيمان بالملائكة من جهة أخرى:

١- التحقق من وجود أرواح خفيه:

وهذه الأرواح الخفيه تصدر عنها أفعال خيرة وأنهم يحصون على المكلفين ما يصدر عنهم تنفيذا لأمر الله تعالى لذا وجب علينا الإيمان بهم، وأنهم من الغيب الذى لا يعرفه على وجه الإحاطة والكنه والحقيقه إلا الله رب العالمين.

يقول الإمام محمد عبده «من الغيب الذى يجب علينا الإيمان به، ما أنبأنا به فى كتابه من أن علينا حفظة يكتبون أعمالنا حسنات وسيئات ولكن ليس علينا أن نبحث عن حقيقة هؤلاء.. والذى يجب علينا اعتقاده من جهة ما يدخل فى عملنا، هو

١٥٩- الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام جـ ٣، معجزات الرسول الحسية.

١٦٠- وهذه الوقائع كثيرة ومشهوره فى كتب السنة الآثار فليرجع إليها من شاء.

أن أعمالنا تحفظ وتحصى، لا يضيع منها نقير ولا قطمير كراماً كاتبين مطهرين عن الغرض والنسيان"[١٦١].

٢- الطمأنينة:

الملائكة جعل الله منهم حفظة فكما يسجلون على الإنسان ما يصدر عنه، فهم كذلك يحفظونه بأمر الله تعالى من أن يناله السوء مما لا حيلة له فيه أو يكون في غفلة عنه، قال تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[١٦٢] ومن كان له من الملائكة حفظة فلا شك أنه يعيش في طمأنينة لا حد لها متى كان بالله مؤمناً، وبالإسلام متديناً، وبالقرآن الكريم والنبي الأمين مهتديا وقائما.

٣- اتساع دائرة النظر العقلي، فيتجنب الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.

٤- إمكانية التشبه بهم في الطاعة.

٥- الخوف منهم والطمع فيهم.

٦- وجود سفراء من الخالق لأنبيائه ورسله.

٧- الاستقامة.

فمن يؤمن بالملائكة ويتوقع مراقبتهم له باعتبارهم جنود الله - يستحي مخالفة أوامر الله، وهو يعلم أن كل شئ محسوب عليه فيدفعه ذلك إلى الامتثال والاستقامة.

٨- تقوية المشاعر فحين يشعر المؤمن أن ملائكة تحفظه تقوى مشاعره، فيرى في ود الخالق طاعة ولا يزيده صدود الناس عنه إلا ثباتا وقوة.

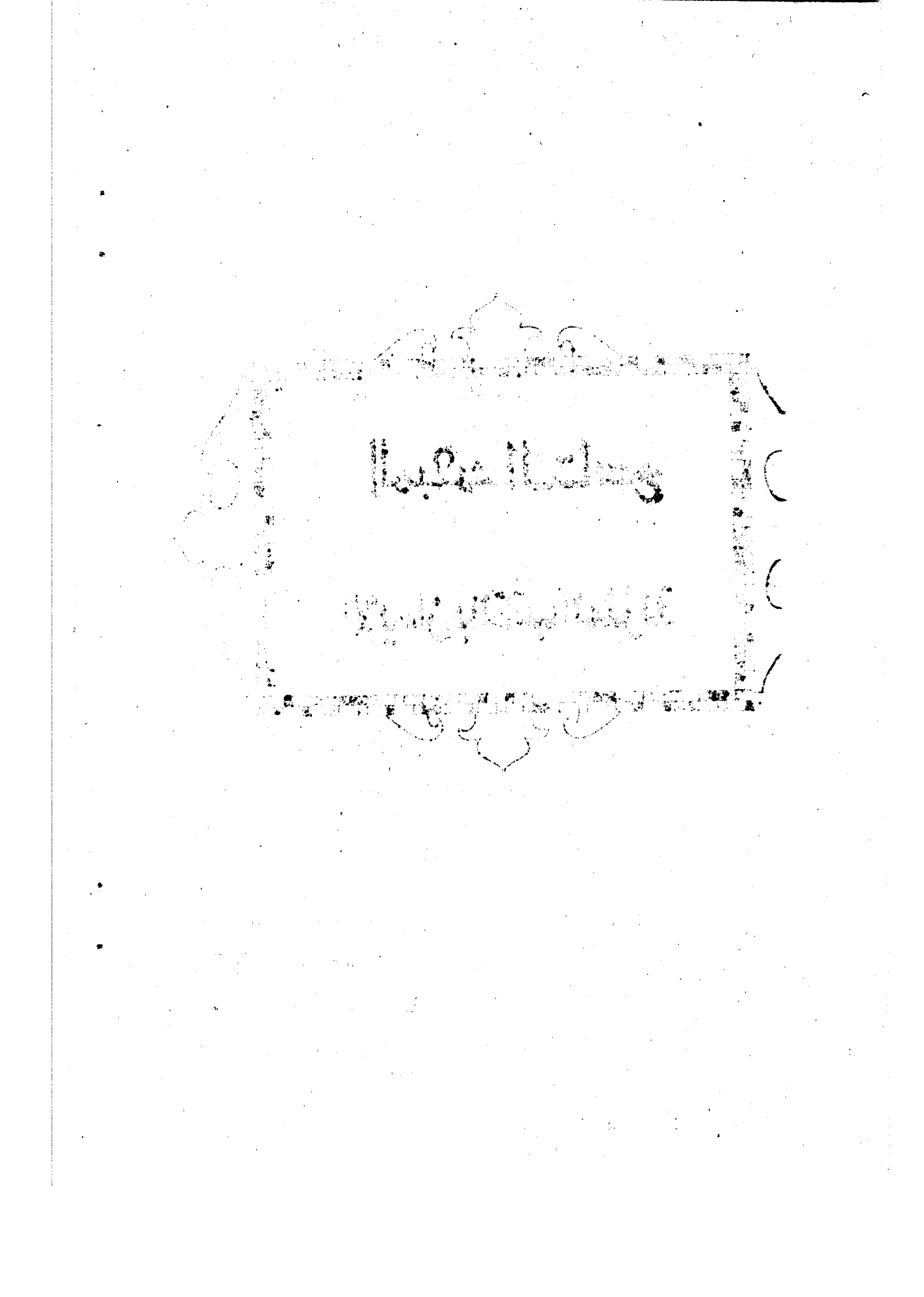
١٦١- الشيخ محمد عبده - تفسير جزء عم ص ٣٦، ط صبيح، ١٩٦٧.

١٦٢- سورة الانفطار الآيات: ٩ - ١٢.



المبحث التاسع

الإيمان بالكتب المنزلة



المبحث التاسع

الإيمان بالكتب المنزلة:

أجل إنها «نزلت بالحق والهدى، وتوحيد الله سبحانه وتعالى فى ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته»[١٦٣] وقد عرفت جملة، وأنها صحف ابراهيم عليه السلام، وصحف موسى عليه السلام، وألواح موسى عليه السلام، وزابور داود عليه السلام، والتوراة والإنجيل، ثم خاتمة الجميع القرآن الكريم.

وقد آمن المؤمنون بالغيب بهذه الكتب إجمالا، لكنهم اختلفوا فى تفاصيلها، بل وفى عددها تفصيلا، مما يعتبر صورة فكرية قام بها المفكر المسلم فى حدود الفكر الإسلامى، لذا سأركز على مواطن البحث الفكرى فيها مع ملاحظة أن الفكر الذى لم يتقيد بالنقل المنزل لن نلتفت إليه إلا بقدر ما يؤدى غرضنا، لأن عمدتنا هو النقل المنزل أولاً، وما بعده ثانيا.

١- عددها تفصيلا:

لم تذكر الأخبار المنقولة المتواترة أن عدد الكتب المنزلة هو رقم كذا، ولذا رأينا المفكرين المسلمين يذكرون فيها عدة أقوال:

١- أنها أربعة ومائة.

٢- أنها أربعة عشر ومائة.

٣- أنها أربعة وثمانون ومائة.

٤- أنها غير معروفة عددا ولا يمكن حصرها.

يقول الشيخ محمد نووى: اشتهر أن جميع الكتب مائة وأربعة، وقيل: أنها مائة وأربعة عشر، قال السحيمى: والأصح عدم حصر الكتب فى عدد معين، فلا يقال أنها مائة وأربعة فقط، لأنك إذا فتشت الروايات تجدها أربعة وثمانين ومائة»[١٦٤]

١٦٣- الدكتور/ محمد نعيم ياسين - الإيمان أركانه - حقيقته - نواقضه، ص ٣٩.

١٦٤- الشيخ محمد نووى الشافعى - نور الظلام ص ٢١

بل أن الاختلاف فى عدد الألواح وارد فضلا عن محتوياتها، فمن ذلك ما قاله الزمخشرى: «ذكروا فى عدد الألواح وفى جوهرها وطولها، أنها كانت عشرة ألواح، وقيل سبعة، وقيل لوحين، وأنها كانت من زمرد، جاء بها جبريل عليه السلام»[١٦٥]، وذكر أقوالا فى المسألة لم يقدم على واحد منها دليلا من النقل أو العقل، وإنما هى أطروحات فكرية تدل على نفسها كأثر من آثار الإيمان بالغيب، وفى ناحية معينة منه.

على أنا إذا نظرنا مثلا إلى مسألة – الألواح – وجدنا من المفكرين من حاول بيان عددها ومنهم من حاول التفويض، كما أن منهم من حاول تقديم وصف لها، تساوى فى ذلك الزمخشرى ورشيد رضا رغم ما بينهما من فوارق فى الاتجاه الفكرى والالتفاف المذهبى، وبخاصة عند ما تعلق الأمر بمسألة الإيمان بالغيب، كهذه التى نحن بصددها، ولذا نرى الشيخ رشيد رضا يحاول بيان رأيه فى المسألة، وأن هذه الألواح، كانت مشتملة على التوراة، وقال بعضهم بل كانت قبل التوراة[١٦٦] ونسب القول إلى بعض المفسرين من غير تحديد من هم أولئك المفسرون الذين نقل عنهم هذه الأقوال، وما عمدتهم فيما ذهبو إليه؟

ولم يكتف بهذا بل رجح ما رآه فيها مسايرا اتجاهه الفكرى فقال: «والراجح أنها كانت أول ما أوتيه من وحى التشريع، فكانت أصل التوراة الإجمالى، وكانت سائر الأحكام من العبادات والمعاملات الحربية، والمدنية، والعقوبات، تنزل يخاطبه بها الله تعالى فى أوقات الحاجة إليها»[١٦٧].

ولما كانت الفكرة التى طرحها الشيخ ممثلا لرأيه لاسند لها من النقل الصحيح أو دليل قوى من العقل لا تقع فيه المنازعة اعتبرت اتجاها عقليا خالصا يخالف اتجاه

١٦٥- الكشاف مجلد ٢، ص ١٥٧، ١٥٨، ط الريان للتراث.

١٦٦- تفسير المنار جـ ١ ص ١٠٠.

١٦٧- المصدر السابق جـ ٦، ص ١٩.

السلف الذى يقوم على النقل المعصوم وحده.

وإذا كنا عرضنا لموقف الفكر فى المسألة، فما هو موقف المفسرين المعاصرين؟

أنه يقوم على أساس أنها من الغيبيات «والذى نراه فى عددها أو كيفيتها»[١٦٨] تفويض معرفة ذلك إلى الله تعالى، لأنه لم يرد نص صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجدر بي الاشارة الى أن النقل المعصوم كان له أثره القوى والأكيد «فى صقل ذهن الانسان – المسلم – فالحقائق الإيمانية، وخصائص الشريعة الاسلامية تمثل حجر الأساس فى تكون عقلية المفكر المسلم»[١٦٩] لكن من غير تجاوز لهذا الحد الذى عرف به العقل وتكونت فى اطار امكانياته.

٢- جمع الكتب السابقة:

نأتي إلي جمع الكتب المنزلة السابقة على القرآن الكريم فى النزول وهنا تأتى أسئلة منها:

١- هل جمعت عدة مرات؟

٢- هل كان جبريل الأمين يراجع النبى موسى عليه السلام مثلا فى التوراة والألواح كما كان يراجع النبى محمدا صلى الله عليه وسلم في القرآن؟

٣- هل وجد لها حفاظ ملهمون من أفراد الأمم المبعوث فيهم ولو فى فتراتها الأولى؟

٤- وهل ينطبق هذا الأمر على الانجيل العيسوى؟ أم أنها من خصوصيات القرآن الكريم؟

١٦٨- الدكتورين/ أحمد السيد الكومى، محمد سيد طنطاوى – تفسير سورة الأعراف ص ٢١٩ ط دار الجيل للطباعة بالقاهرة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

١٦٩- الدكتوره/ فوقيه حسين محمود – مدخل الى الفكر الاسلامى، ص ١٤، مطبعة أخوان زريق ١٩٨٧/١٩٨٨.

لا شك أنها جميعا أسئلة محل نظر يجول فيها الخاطر ويتحرك وربما وجد لها سندا عقليا أو لم يجد لكنه فى النهاية يقر بوجود الكتب المنزلة، وأنها مسألة غيبية آمن بها المؤمن على ما هى عليه.

ثانيا الآثار المترتبة عليها:

١- الشعور العام بأنها للهداية فى أمور الدنيا وتنظيمها، والاستعداد للآخره.

٢- أنها تنقل تعاليم الله للمكلفين من خلقه.

٣- التذكير الدائم بالخالق وماله من صفات الجلال والكمال والإكرام والجمال.

على النحو الذى ورد به صحيح المنقول، وما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم.



المبحث العاشر

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

الإيمان بالرسل عليهم السلام:

يعتبر الإيمان بالرسل عليهم السلام من الأمور الغيبية، التى يجب الإيمان بها، وأنها ركن الإيمان على ما جاء به الحديث الشريف، لكن لماذا هى غيبية فالجواب:

١- لأنهم من الغيب الماضى.

٢- لأن الوحى كان ينزل عليهم عن طريق الملك وهو أمر غيبي.

٣- أن الوحى فى حد ذاته غيب.

٤- كذلك تعاملاتهم مع الوحى غيب.

٥- كما أن أخبارهم عن أنباء الغيب من أخبار السابقين، وهلاك الطغاة المجرمين، وبيان صور الناجين وجزاء المؤمنين، كل ذلك غيب.

وقد «اعتبرنا الإيمان بالرسل من الإيمان بالغيب من حيث اتصال الوحى بهم، وهو غيب، وصفة الرسالة لا تقوم إلا به، فايماننا بهذه الصفة ايمان بغيب»[17] ولأن معرفتنا بهم جاءت عن طريق النقل المنزل ولولاه ما عرفنا عنهم شيئا يقبل الصدق، ويكون بمنزلة البرهان.

ورغم أن الحديث عن رسل الله جاء فى القرآن الكريم، إلا أنه فتح الباب للفكر أن يعايش بعض قضاياهم، وكان الفكر الإسلامى حاملا أكبر هذه القضايا، ولذا رأيناهم - المسلمين - يسلكون مسالك عديده فى فهم المسألة، وكلها من آثار الإيمان بالغيب.

ومنها مسألة النبوات وأهم هذه المسالك:

١- مسلك الإثبات، حيث قاوم الفكر الإسلامى الفكر المنحرف فى كافة أشكاله، ومن الفكر المنحرف أبطال النبوة، وادعاء قوم أنه لانبوة، ولا رسالة وأن الأنبياء صرعى أحلام، أو قادة ثورات، أو أنهم فى كل ما يأتون به إما أن يوافق العقل

١٧- الأستاذ / سعيد حوى - الإسلام جـ ١ ص ٢٣.

فيعمل به لأنه قول العقل، وإما أن يخالف العقل فيرد لأنه لا حكم إلا للعقل، وقد كان المنكرون كثرة منهم:

أ- المنكرون من غير أقوام المرسلين:

١- البراهمة[١٧١].

٢- الصابئة[١٧٢]

ب - المنكرون من أقوام المرسلين:

١- المعطلة من العرب.

٢- السمنية.

٣- التناسخية.

وكان للمفكرين المسلمين - فى مواجهة هذا التيار - مواقف متعددة:

١- موقف يبطلون فيه وجوه الإنكار، ويردون الشبه ويثبتون أن المنكرين فى وهم وقعوا ولباطل اعتنقوا ولمزاعم وشبهات رددوا.

٢- موقف يثبتون فيه النبوات، وأنها منحة من الله لبعض عباده لُطْفاً منه جل علاه.

٣- موقف يثبتون فيه حاجة البشر إلى الرسالة، فى أمور الدنيا والآخرة.

١٧١- لمزيد من البيان يمكن الرجوع إلى الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ١ ص ٥٥ وما بعدها وجـ ١ ص ٦٩ ط. دار الفكر العربى بهامشه الملل والنحل للشهرستانى وكذلك الملل والنحل جـ ٣، ص ٩٦ تحقيق أ. عبد العزيز الوكيل حتى ص ١٠٠، والارشاد ص ٣٠٢ وشرح الأصول الخمسة ص ٥٦٠ وشرح المقاصد - السمعيات ص ٩ للتعرف عليهم وآرائهم والرد عليهم.

١٧٢- للتعرف عليم وآراءهم يمكن الرجوع إلى الفصل، الملل والنحل، الفرق بين الفرق وتفسير ابن كثير مجلد ١٤٨، ط الشعب وتفسير الخازن جـ ١ ص ٦٥ وبهامشه مدارك التنزيل للنسفى واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص ١٤٣ تحقيق أ. طه عبد الرؤف سعد والملل والنحل جـ ٢ ص ٦٢، ٦٣ وغاية المرام للآمدى ص ٣١٨ تحقيق حسن عبد اللطيف، ونشأة الفكر الفلسفى للدكتور النشار جـ ١ ص ٢١٧، ٢١٨. ط ٣ عام ١٩٦٥م وكثير غيرهم من كتب الفرق، والأديان، والكتب الكلامية.

بيد أن هذا المسلك تبعه غيره، مما كان محل نظر من أصحاب الفكر الإسلامى على ناحية كلامية حيث أجابوا عن أسئلة عديدة منها:

١- هل يمكن أن تكون المرأة نبيه؟

وقد كثرت الأقاويل فى إجابة هذا السؤال، بعد أن تعددت الشطحات، وازدادت الوساوس حتى زعم البعض إمكانية كونها نبية، ورفض الآخرون أن تكون نبية، واشترطوا فى تعريف النبى والرسول ضرورة وجود إنسان ذكر، ولكل وجهة، وإن كنت أرجح الثانى نقلا، وعقلا، وعادة. قال الشيخ سراج الدين الأوكسى:

وما كانت نبيا قط أنثى   ولا عبد وشخص ذو افتعال[١٧٣]

وقال الشيخ الباجورى: «القول بنبوة مريم وآسية امرأة فرعون، وحواء، وأم موسى واسمها يوحانذ بالذال المعجمة، وهاجر وسارة، هو قول مرجوح»[١٧٤].

وقال الشيخ محمد نووى الشافعى:

«أعلم أنه لم يكن نبي من الأنبياء أنثى ولا رقيقا، وأما القول بنبوة ستة نفر من الإناث فهو مرجوح، وتلك الستة هن: مريم، وآسية، وحواء، وأم موسى واسمها يوحانذ بالذال المعجمة، وهاجر وسارة، واستشهد بقول الشيخ عوض الغمراوى:

ولم يكن فى الأنبياء أنثى ولا   عبد ومجنون وشخص خبلا[١٧٥]

على أن الفكر الإسلامى لم يقف بأثر الإيمان بالغيب - فى مسألة الإيمان برسل الله - عند هذا الحد وإنما امتد ليشمل جوانب كثيرة منها:

٢- المفاضلة بين رسل الله وعلى أى أساس تقوم؟

٣- وقوع المعصية منهم أو عدم وقوعها على سبيل القصد أم السهو.

٤- وقوعهم تحت تأثير الغير كأفعال السحرة والمنجمين من عدمه والصواب

١٧٣- الشيخ / سراج الدين الأوكسى - بدء الأمالى - مجموع المتون ص ١٧.

١٧٤- الشيخ الباجورى - تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٦.

١٧٥- الشيخ محمد نووى الشافعى - نور الظلام شرح منظومة عقيدة الدوام ص ١٢ ط ٢ الحلبى.

عدم وقوعهم تحت هذا التأثير.

٥- اتيانهم بالمعجزات لاثبات نبوتهم.

وما من مسألة مرت مما ذكر إلا وكان فيها أكثر من صورة فكريه، بين النفى والاثبات والقبول والرد، كأثر من آثار الايمان بالغيب، وما ترك الفكر الاسلامى صغيرة ولا كبيرة، فى شأن الرسل الا تحدث عنها، وكان له فيها صور زاهية.


المبحث الحادى عشر
الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخـــر :

نال اليوم الآخر حديثا طويلا فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكان فيه بعض العموميات التى شحذت الفكر الإسلامى للحديث عنها كأثر من آثار العقيدة الايمانية التى تتعلق بالإيمان بالغيب فمن ذلك:

١- تسمية اليوم الآخر:

اختلف أهل الفكر الإسلامى فى تسميته وذلك لأنهم اهتموا به كل على حسب امكانياته واختلافهم راجع إلى طبيعة فهم كل منهم له، أهو الآخِر بمعنى أن الأول هو الدنيا وبدايتها يوم، والثانى الآخر الحياة الآخرة وبداياتها يوم. أم أنه الآخر لأنه لا يعقبه ليل، أم أنه اليوم الأخير، لأنه آخر ايام الدنيا، وهكذا استخدم كل أدلته وبذل كل ما فى إمكانياته وسوف نتناوله بشئ من التفصيل فى موقف آخر إن شاء الله تعالى.

٢- معالم اليوم الآخر وبدايته:

أجل هناك معالم رئيسية لليوم الآخر وهى علامات الساعة الكبرى على ما ورد به الحديث الشريف لكن مفاهيم هدم الكون، وأيها يبدأ أولا، هل يبدأ الفناء للكون بالسماء أم بالأرض أم بهما معا؟ ورغم أن بعض النصوص تشير الى عموم الفناء على وجه الإجمال، فإن تفاصيله قد بقيت مع العموميات مطوية فيها، وكان الفكر الاسلامى يتطلع اليها ويحاول من آن لآخر التعرف عليها.

على أن مسألة بداية النهاية، هل تقع في صباح يوم؟ أم في يوم لا صباح له؟ أم فى وسطه، وبخاصة أن الشمس ستطلع من مغربها وليس من مشرقها؟ وهل يقال مشرق ومغرب إلا على جهات شروق الشمس وغروبها، ومع هذا وجدنا من يدلي برأى

فى المسألة ويقرر أن عملية النفخ فى الصور حين تتم يحدث فراغ لا نهائى ينشأ عنه اختلال فى توازن الكائنات فتنحل السماوات والأرض وتنتهي فاعلية الجاذبية ويستدلون بقوله تعالى:

﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾[176] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾[177] وبهذا تكون معالم اليوم الآخر قد تحققت وانهدم الكون على مافيه ليأتى أمر آخر هو البعث.

٣- البعث:

شغلت مسألة البعث والدار الآخرة الفكر الإسلامى بشكل واسع، ذلك أن بعض النصوص تحدثت عن البعث دون أن تكشف عن حقيقته، وبالتالى وجد المفكرون المسلمون أنفسهم أمام نصوص شرعية دينية فيها الكثير من العموم والإجمال وشئ من التفصيل، فكانت محاولات الفكر الإسلامى لفهم النقل الذى تأتى فيه النصوص الشرعية مجملة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[178] وقوله صلى الله عليه وسلم: «تحشرون حفاة عراة غُرّلًا كما ولدتكم أمهاتكم»[179] والاستشهاد بالآية ظاهر، وهو أن الأرض التى نحن عليها حتما ستتبدل لكن أفى شكلها من كروية إلى مستطيلة مثلا، أم مربعة أم غير ذلك من الأشكال الهندسية والجواب إن أمر التبدل عام ومن ثم كان مجهود الفكر فيه ضروريا.

كما أن الحديث الشريف «تحشرون حفاة عراة» فيه من العموم الكثير، من ثم

١٧٦- سورة الملك الآية رقم ١٦.

١٧٧- سورة الطور الآيتان رقم ٩، ١٠.

١٧٨- سورة ابراهيم الآية رقم ٤٨.

١٧٩- صحيح البخارى كتاب بدء الخلق، صحيح مسلم جـ ١، ص ٣٢١ هامش العسقلانى.

فإن المسألة تحتاج إلى إعادة نظر فى فهم النص عن البعث من حيث هو، وبخاصة أن هناك من يقول ببعثين فيقول:

«ومعلوم أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب – البعث – كما تأخذالروح حظها، ولا يكون ذلك إلا بإعادة الروح إلى البدن فى البرزخ وتعلقها به وهو البعث الأول، فإذا بعث يوم القيامة كمل وصول ذلك الثواب أو العقاب، ويستدل بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح «وتؤمن بالبعث الآخر»[١٨٠]

لكن كيف يبدأ البعث. ومتى. وهل تعود الأرواح الى أبدانها مباشرة وهل يسبق البعث مراحل تمهد له. هل البعث بالروح أم بالبدن أم بالروح والبدن معا؟ كل هذه أسئلة، تدور فى الذهن وقد أعمل فيها الفكر الإنسانى مجهوده وهنا نجد العديد من الاتجاهات كإجابة على ما مضى من أسئلة، ولكل أدلة يعتمد عليها ويعول، فمثلا نرى:

١- جمهور المسلمين:

وهم يرون أن البعث جسمانى فقط وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة»[١٨١] باعتبار أن النفس الناطقة لا تفنى ولا تنحل، وإنما الذى يلحقه الفناء هو الجسد فقط.

٢- المحققين:

كالغزالى والحليمى وغيرهما الذين يرون وأنه بعث جسمانى وروحانى معا لأن الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة، وهو المكلف والمطيع والعاصى والمثاب والمعاقب، والبدن يجرى منها مجرى الآلة، والنفس باقية بعد فناء البدن، فاذا أراد

١٨٠- قال الرازي: «أعلم أن المعاد الجسمانى أنكره الفلاسفة، وجميع أهل الإسلام متفقون على إثباته» الأربعين فى أصول الدين جـ ٢، ص ٥٥ تحقيق الدكتور/ أحمد حجازى السقا والاستاذ الشيخ / محمد حسنين مخلوف – المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية ص ١٤٥، ١٤٦ ط الحلبى.

١٨١- [illegible] جـ ٣ ص ٢٢٧.

الله تعالى حشر الخلائق، خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ويتصرف فيه[182].

فإذا ردت الروح إلى البدن فقد تم البعث الروحانى والجسمانى معا، ولهم أدلة كثيرة.

٣- الفلاســـفة:

وهم يرون أنه بعث روحانى فقط وهو قول الفلاسفة الالهيين[183]، بل أن «ابن سينا» ينسب إليه القول باستحالة البعث الجسمانى عقلا، كما يرى أن ظاهر الشرع فى المسألة إنما هو من قبيل التمثيل للعامة وليس حجة على البعث الجسمانى وحده.[184]

يقول الطوسى: «اختلفوا فى المعاد فأطبق المليون على المعاد الجسمانى، وذهبت طائفة من المحققين إلى المعاد النفسانى، والمراد به وجود الروح بعد موت البدن وخرابه ويمكن إثباته بالبراهين العقلية.

وأما المعاد الجسمانى فلا مجال للبرهان على اثباته ونفيه ولكن يجب أن يعتقد على الوجه الذى ذكره الأنبياء عليهم السلام لأنهم صادقون، وذهبت طائفة إلى نفيهما»[185] وكان للفكر الاسلامى أثره الكبير، وكانت له قفزات فكرية تجاوزت حدود الامكانيات العقلية بكثير، وبخاصة أن المسائل الغيبية أعلى من قدرات العقل الانسانى.

بل أن جهود المفكرين المسلمين فى مسألة البعث قد اتسعت وامتدت، استعت فشملت بعث الإنسان والحيوان والجان والملائكة، وكل ذى روح لحقه الموت،

١٨٢- المصدر السابق نفسه جـ ٣، ص ٢٢٨.

١٨٣- شرح المواقف، جـ ٣ ص ٢٢٨.

١٨٤- ابن سينا - رسالة الأضحوية تحقيق د/ سليمان دنيا، ط دار الفكر العربى، ص ٨٩ وما بعدها وذلك لأن النفس عندهم جوهر مجرد.

١٨٥- الامام الطوسى: شرح التجريد هامش المواقف جـ ٣، ص ٣٢٩.

وامتدت لتشمل ثواب كل وعقابه، أو شكل الثواب وألوان العقاب، وقد تعرضت لبيان الكثير منه فى مظانه فليراجعها من شاء.

واتسعت المسألة فشملت نوع المبعوث باعتبار المادة التى كان منها أصله، فهل يعاد الطين طينا، والنار نارا، والنور نورا، وكذلك كل مخلوق يعاد إلى أصله ويبعث من مادته بعد فنائها أو بعد تفريقها فوجدنا من يري.

١- أن البعث إعادة المعدوم بعد تفريق أجزائه وجمعها وإعادتها للحياة.

٢- أن البعث عن عدم محض، ولكل منهما أدلته، وعليها اعتراضات غيره.

غير أنى أرجع القول بأن إعادة المعدوم تكون بعد تفريق أجزائه، وذلك لوجود ظواهر نقلية تغلب جانب الإعادة عن تفريق على غيره من الجوانب الأخرى.

بل ان شهادة الحواس يوم القيامة مقررة بالنقل المعصوم ولا شك أنه لا يمكن أن تشهد أعضاء على ما لم تر. أو تقر بما لم يقترفه صاحبها، من ثم فالقول بأن البعث إعادة بعد تفريق هو الأولى باعتبار الأدلة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[١٨٦] .

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١٨٧] وبالتالى فإنى أميل إلى ترجيح جانب القائلين بأن البعث إعادة بعد تفريق، وذلك لغلبة أدلته عندى وتظاهر النصوص

١٨٦- سورة النور الآيتان ٢٤، ٢٥.

١٨٧- سورة فصلت الآيات ٢٠ - ٢٣.

لدينية له، ومؤزارتها إياه.

وقد نالت مسألة البعث من الفكر الإسلامى القدر الذى جعل دراستها ربما تكرر فى كثير من المؤلفات على سبيل الاستقلال[١٨] ومع غيرها، بل ربما وجدت فى العديد من الرسائل الجامعية فى وقت متزامن جدا[١٩] وهو ما يكشف أهمية المسألة دى الفكر الإسلامى.

١٧- فعل ذلك الدكتور/ عبد المنعم محمود شعبان فتقدم لكلية أصول الدين القاهرة ببحث لنيل درجة العالمية فى موضوع «قضية البعث» وقد استغرق البحث ٢٩٨ صفحة من القطع الكبير وما تزال مخطوطة بمكتبة الكلية ونال بها الدرجة فى ١٩٧٣م وكذلك الشيخ عبد الشكور الحاج، «مشكلة البعث عند المتكلمين» ماجستير ١٩٧٣م.

١٨- من ذلك الدكتور/ صالح عبد العليم ابراهيم - تقدم ببحثه لدرجة العالمية فى موضوع «الإنسان كما يصوره القرآن الكريم بدءا ونهاية واستغرقت مسألة البعث عنده القسم الثانى من الرسالة، نهاية الإنسان ٣٦٤ - ٥٤١ ونال بها الدرجة ١٩٧٢م، وكذلك صنع الدكتور/ رشدى عزيز محمد - فى رسالته للعالميه - بين الغزالى وابن رشد فى المسائل التى عارض فيها الغزالى الفلاسفة - الفصل الثالث - حشر الأجساد ٢١٩ - ٢٦١ وقد نال بها الدرجة فى ١٩٧٣م، وهذا - حسب قراءتى - قليل من كثير ذكر فى العصر الحاضر بخلاف ما ذكر فى الماضى وما سيذكر فى المستقبل.


المبحث الثاني عشر
الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقـــدر:

شغلت مسألة القضاء والقدر، الفكر الإنسانى من كل اتجاهاته، إذ هى غيبية وفى نفس الوقت حولها كثرة من النقول الصحيحة التى تتيح للعقل النظر، وتجبره عليه فتدفعه للتفكير فيه عدة مرات.

١-فمرة يجد المفكر النقل يوحى له بأنه مجبر، من أمثال ذلك قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١٩٠] وقوله عليه السلام «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[١٩١]

٢- ومرة تدفعه الى القفز فى كل الأرجاء حتى ربما ظن أن الكون فى يمينه، وأن الجنة والنار تنتظرانه إن أحسن فله الجنة وإن أساء فله النار، من أمثال ذلك ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١٩٢] وقوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[١٩٣] اذن النقل يعطى الانسان الدفعة القوية للبحث فى المسألة، وفى ذات الوقت يخيفه منها.

«ولعل مشكلة القضاء والقدر، كانت – وما تزال – أعنف مشكلة واجهها العقل البشرى منذ قام للناس فى هذه الحياة وجود واستقام لهم فيها تفكير.. إنها أخطر مشكلة واجهها العقل ودار حولها، فَضَلَّ فى متاهاتها، وتعثر فى دروبها، دون أن ينال منها منالا، أو يبلغ بها غاية»[١٩٤].

بل أن الفكر الإسلامى – رغم خصوبة المادة العلمية فيها – وقف أمامها حائرا

١٩٠- سورة الصافات الآية رقم ٩٦.

١٩١- أورده السيوطى فى الجامع الصغير تحت رقم ١٢٠٢ عن ابن عباس، وعن عمر أن بن الحصينى ورمز له بالصحة والمكتبة التجاريه أولى ص ٨٩٤ ومتن الحديث «اعملوا وقاربوا وسددوا فكل ميسر لما خلق له» تحقيق الشيخ محمد محى الدين.

١٩٢- سورة الزخرف الآيه رقم ٧٢.

١٩٣- سورة الرحمن الآية رقم ٤٦.

١٩٤-الاستاذ / عبد الكريم الخطيب -القضاء والقدر ص ١٣ ط، دار الفكر العربى.

مرات ونالت منه بالقدر الذى جعله يراها معضلة لم تحسم فيها النزاعات ويبدو أنها ستظل كذلك، ولن تحسم على مدى الأجيال إنها معضلة فى:

١- التسمية:

سماها البعض القضاء والقدر [١٩٥] وسماها آخرون: الجبر والاختيار، وسماها غيرهما الأسباب والمسببات، بل ربما حاول البعض جمع كل هذه التسميات لينال شرف الجمع دون أن يقدم فيها الجواب الحاسم، أو حكما لا يقبل النقض.

٢- مدلول اللفظ:

اختلف المفكر المسلم فى دلالة لفظى القضاء والقدر، حتى بين أصحاب المذهب الواحد على النحو الذى يؤكد أن القوم وضعوها نصب أعينهم من ذلك أن :

١- الأشاعرة يرون أن قضاء الله «هو ارادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هى عليه فيما لا يزال، وقدره ايجاده اياها على قدر مخصوص، وتقدير معين فى ذواتها وأحوالها» [١٩٦].

٢- يرى الماتريدية، أن القضاء هو الفعل والخروج بالموجودات من العدم الأزلى إلى الوجود الفعلى، وأن القدر هو العلم [١٩٧]، عكس اتجاه الأشاعرة تماما.

٣- يخالف الفلاسفة الأشاعرة والماتريدية يرون أمرا آخر

٤- أما المعتزلة فإنهم ينكرون أفعال الله فى الأفعال الاختيارية، ويفرقون بين فعل الله وبين فعل الإنسان، كما هى التفرقة بين الأفعال الاختيارية والاضطرارية.

اذن لا وجود لوجه اتفاق بين المفكرين المسلمين فى مدلول القضاء والقدر، وذلك لأن المسألة لا يحكم فيها إلا الغيب، وهذا الاختلاف راجع إلى إيمانهم بهذه المسألة الغيبية، ثم محاولاتهم الفكرية فى الاستدلال عليها.

١٩٥- المطالب العالية جـ ٩ ، فى الجبر والقدر - أو القضاء والقدر دار الكتاب العربى تحقيق الدكتور أحمد السقا.

١٩٦- شرح المواقف - الموقف الخامس ص ٢٩٦.

١٩٧- الإمام النسفى كتاب التمهيد لقواعد الوحيد ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

ولذا رأينا الفكر الاسلامى تثقل كواهله هذه المسألة حتى إن الباحث فى مؤلفاتهم فى علم الكلام[١٩٨] أو الفلسفة[١٩٩]، أو الناظر فى آراء المفسرين بالرأى، يراهم يتعرضون لمسألة القضاء والقدر، أو الفعل الإلهي والفعل الإنسانى بكثير من التوسع، بل ربما خاضوا فيها فترة طويلة دون أن يعودوا برأى حاسم، ينهي الخلاف فى المسألة ويضع حداً للجدل والخصومة.

٣- علاقة القضاء والقدر بالغيب:

لا شك أن هناك علاقة تجمع بين الايمان بالقضاء والقدر من ناحية وبين الغيب من ناحية أخرى ومن ثم رأينا - من آثار تلك المسألة - من يحاول ايجاد علاقة بينهما، وبحثها، وظهرت اتجاهات عدة منها:

أ- أن الغيب أعم من القضاء والقدر بل أعم من السمعيات كلها لأن السمعيات محصورة أما الغيب الخالق فلا.

ب - أن الغيب يشمل الذات الإلهية، أما القضاء والقدر فيخصان الذات الإلهية باعتبارها صفات للذات أو الفعل أو بمعنى آخر أنهما يخصان صفات الذات على وجه مخصوص.

جـ - أن القضاء أو القدر هو إما الموجود فى علم الله الأزلى، أو المتحقق فى الواقع الخارجى والعكس، أما الغيب فليس كذلك، إذ اللوح المحفوظ غيب عنا كذلك وليس داخلا ضمن مفهوم السمعيات عند الحاصرين لها.

١٩٨- فعل ذلك قدامى المتكلمين ومحدثوهم من أمثال الإمام الرازى - فى الأربعين جـ ١ ص ٣١٩ وما بعدها، ونهاية العقول فى دراية الأصول - الأصول الخامس - المسألة الرابعة القسم الثانى ص ٥٥٩ رسالة دكتوراه د/ محمد شحاته ابراهيم، مخطوط بكلية أصول الدين القاهره ١٩٩٢م القسم الثانى، وكذلك الآمدى - ابكار الأفكار فى أصول الدين القسم الثانى، الأصل الثانى ص ٧١٣ - ٩٣١ تحقيق د/ [illegible] المهدى دكتوراه - أصول الدين القاهره سنة ١٩٧٤م، وكثير غيرها.

١٩٩- فعل ذلك الدكتور/ مجدى محمد عطا الله - الفعل الانسانى فى [illegible] الحديث والمعاصر رسالة دكتوراه [illegible] كلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٩٢م ونال بها الدرجة.

٤- موقف الدعاء منهما:

وردت نصوص حول الدعاء وعلاقته بالقضاء والقدر، وبرزت مسائل عديدة منها:

أ- هل يغير الدعاء القضاء والقدر؟

ب- هل يرد الدعاء القضاء أو القدر؟

جـ - علاقة الدعاء بالمقضى والمقدر إلى غير ذلك من الأسئلة التى تكشف مدى اهتمام المسلمين بالمسألة وتظهر الحد الذى وقفوا عنده ومادمنا قد عرضنا للموقف فى مسائل الألوهية فلا مانع من التعرض لمسائل النبوات على القدر التى تسمح به إرادة الخالق جل علاه.

المصادر حسب ورودها بأسفل الصفحة

المصادر حسب ورودها بأسفل الصفحة

[١] القرآن الكريم
[٢] صحيح مسلم بشرح النووى
[٣] صحيح البخارى
[٤] فتح البارى شرح صحيح البخارى
[٥] نهاية الأقدام للشهرستانى
[٦] المنهج فى اثبات الصانع (د/حسن محرم)
[٧] أقباس من نور الحق (الشيخ مصطفى الطير)
[٨] الاسلام والايمان (الاستاذ/أحمد حسين)
[٩] الكشاف للزمخشرى
[١٠] عجائب القرآن للفخر الرازى
[١١] الجام العوام عن علم الكلام للأمام الغزالى
[١٢] مشكلة الألوهية (د/محمد غلاب)
[١٣] حكمة الغرب برتراند راسل
[١٤] عقائد السلف (الأمام ابن حجر)

[١٥] الله - الاستاذ عباس محمود العقاد
[١٦] مدخل الى الفكر الاسلامى - د/ فوقيه حسين محمود
[١٧] شرح الأصول الخمسة - القاضى عبد الجبار
[١٨] المجموع من المحيط - ابن متويه
[١٩] مناهج التفكير فى العقيدة - د/ عماد خفاجى
[٢٠] المحيط بالتكليف - القاضى عبد الجبار
[٢١] المختصر فى أصول الدين - القاضى عبد الجبار
[٢٢] القرآن العظيم - الشيخ محمد الصادق عرجون
[٢٣] القول السديد فى علم التوحيد - الشيخ محمود أبو دفيقه
[٢٤] اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع - الأمام الأشعرى
[٢٥] الاربعين فى اصول الدين - للأمام الفخر الرازى
[٢٦] شرح المواقف جـ٣
[٢٧] التعريفات للجرجانى
[٢٨] حاشية الفنارى بشرح المواقف
[٢٩] مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للأصفهانى
[٣٠] نشر الطوالع العلامة المرعشى
[٣١] كتاب التوحيد للأمام أبو منصور الماتريدى
[٣٢] كتاب التمهيد لقواعد التوحيد - ابو المعين النسفى
[٣٣] اشارات المرام - للأمام البياضى
[٣٤] الاشارات والتنبيهات لابن سينا

[٣٥] الجانب الالهى - د/ محمد البهى.

[٣٦] حاشية تحقيق المقام للباجورى

[٣٧] الفرق بين الفرق للبغدادى

[٣٨] الملل والنحل للشهرستانى

[٣٩] شرح التجريد للطوسى بهامش المواقف

[٤٠] الابانة عن اصول الديانة - للأشعرى

[٤١] الانصاف فيما يجب اعتقاده للباقلانى

[٤٢] لمع الأدلة - امام الحرمين

[٤٣] مفاتيح الغيب - الفخر الرازى

[٤٤] الاعتقاد على مذهب السلف - الامام البيهقى

[٤٥] شرح السنة للبغوى

[٤٦] البداية من الكفاية - الشيخ نور الدين الصابونى

[٤٧] قضية الصفات الالهية - د/ حسن محرم

[٤٨] شرح العقائد النسفيه للسعد التفتازانى

[٤٩] الاسماء والصفات - للشيخ الشنقيطى

[٥٠] مذكرات التوحيد - الشيخ صالح شرف

[٥١] العقائد العقدية - بشرح الدوانى

[٥٢] رسالة التوحيد - الامام محمد عبده

[٥٣] الوحدانية - د/ بركات دويدار

[٥٤] الشامل فى أصول الدين - امام الحرمين

[٥٥] التبصير فى الدين - العلامة الأسفرايني
[٥٦] محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين - الفخر الرازي
[٥٧] غاية المرام فى علم الكلام - الآمدي
[٥٨] المطالب القدسية - الشيخ محمد حسنين مخلوف
[٥٩] الاسلام يتحدى - الاستاذ وحيد الدين خان
[٦٠] تفسير جزء عن - الشيخ محمد عبده
[٦١] الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام - القرطبي
[٦٢] نور الظلام - الشيخ محمد نووى الشافعى
[٦٣] الايمان اركان وحقيقه - د/محمد نعيم ياسين
[٦٤] رسالة أضحويه فى أمر المعاد - ابن سيناء
[٦٥] تفسير المنار
[٦٦] تفسير سورة الأعراف - د/أحمد الكومى ، د/محمد سيد طنطاوى
[٦٧] الاسلام - الاستاذ/سعيد حوى
[٦٨] بدء الأمانى - الشيخ سراج الدين
[٦٩] تحفة المريد على جوهرة التوحيد - الباجورى
[٧٠] القضاء والقدر - الاستاذ/عبد الكريم الخطيب
[٧١] المطالب العالية - الأمام الفخر الرازي
[٧٢] العقل الانسانى فى الفكر الحديث والمعاصر - د/مجدى عطا الله

☆ هذا بخلاف العديد من المصادر والمراجع التى ضاقت جريدة المصادر بجملها يراها القارئ فى صفحات الكتاب .

الفهرس

مع أطيب التمنيات بالنجاح الباهـــر

محمد كمال للنسخ والطباعة

بالزقازيق — شرقيـة

كتب صدرت للدكتور / محمد حسيني موسى محمد الغزالي

[١] الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى - مكتبة شروق لمحمد كمال بالزقازيق ١٩٩٥م أولى، والطبعة الثانية ٩٦ ، والرابعة ٩٧، والخامسة ٩٧ ، والسادسة ٩٨ مطبعة المخزنى.

[٢] أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة - الطبعة الأولى بمطبعة غريب ١٩٩٥م ، والطبعة الثانية / بمطبعة دار حبيب للطباعة والتجليد بالزقازيق شرقية ١٩٩٨م .

[٣] رياض الاشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق - مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٥م الطبعة الأولى والثانية بمطبعة أبوالهدى عام ١٩٩٦م ، والثالثة مؤسسة الشروق ١٩٩٧م .

[٤] حبر الوليد فى علم التوحيد - مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٥م طبعه أولى ، والطبعة الثانية بمطبعة أحمد ابوالهدى بالزقازيق شرقيه ١٩٩٧م ، والطبعة الثالثه بمطبعة صبحى بالزقازيق ١٩٩٨م

[٥] غدوة المشتاق فى ربوع الأخلاق - مكتب غريب ١٩٩٦م أولى ، والثانية بمؤسسة الشروق ١٩٩٧م ، الثالثة مطبعة حبيب ١٩٩٨م .

[٦] وميض النصرانية بين غيوم المسيحية - مطبعة صنعاء بالأسدية - ابوحماد - شرقيه ٩٦م ، والطبعة الثانية بمؤسسة الشروق ١٩٩٧م ، الثالثة مطبعة حبيب ١٩٩٨م .

[٧] حلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث - مطبعة صنعاء بالأسديه شرقيه ١٩٩٦م .

[٨] حنيف الأفنان فى الملل والنحل والأديان - مكتب الأصدقاء ١٩٩٦م ، ط٢ مطبعة الهدى ١٩٩٧م، الثالثة مطبعة الشروق ١٩٩٨م .

[٩] درة المدد بتفسير سورة المسد - طبعت بمطبعة صنعاء بالأسدية شرقيه - طبعه أولى ١٩٩٦م .

[١٠] خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة - ط أولى مطبعة صنعاء بالأسدية شرقيه - ط٢ مكتب شروق ، الثالثة مطبعة الشروق ١٩٩٨م .

[١١] ديوان "التائه الغريب" فى الشعر العمودى الموزون المقفى - طبعة أولى مكتب الأصدقاء ١٩٩٦م الثانية مطبعة دار الشروق ١٩٩٧م ، الثالثة مطبعة عبد الناصر ١٩٩٧م ، وجارى اصدار الطبعة الرابعة .

[١٢] أنات حائر - مكتب شروق لمحمد كمال بالزقازيق شرقيه طبعة أولى عام ١٩٩٧م ، الثانية مطبعة المخزنجى ١٩٩٨م .

[١٣] لماذا انتشر الاسلام ؟ الجزء الأول - الطبعة الثالثة - بمؤسسة الشروق بالزقازيق شرقيه ٩٧م ، والرابعة مطبعة المخزنجى ١٩٩٨م .

[١٤] قيمة الصراع بين الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام - الجزء الأول - ط٣ - مكتب شروق
شرقيه . ١٩٩٧م ، الرابعة مطبعة حبيب ١٩٩٨م .

[١٥] عبد الكريم الخطيب آراؤه الكلامية - مكتب شروق بالزقازيق شرقيه - ١٩٩٧م ، الثا
المخزنجى ١٩٩٨م

[١٦] اوارق منسيه فى النصوص الفلسيفه - مؤسسة الشروق ١٩٩٧م - نفذت وجارى الطبعة الثانية .

[١٧] أوراق مطويه فى التصوف والصوفيه ط١ ، ٢ مؤسسة الشروق ١٩٩٦م ، ١٩٩٧م ، ط٣ النجوم
الرابعة مطبعة صبحى .

[١٨] يوميات فى سنوات - مؤسسة الشروق ١٩٩٧م الطبعة الأولى ، وجارى اصدار الطبعة الثانيه .

[١٩] صدع البرهان فى جمهورى السودان - مؤسسة الشروق ١٩٩٧م ، وجارى الطبعة الثانية .

[٢٠] من وحى البيان فى جماعة الشيطان - مكتب شروق ، ومؤسسة دار حبيب للطباعة والتج
والثالثة مطبعة الشروق ١٩٩٨م .

[٢١] قضايا حيسه فى الفلسفة الحديثة ١٩٩٧م طبعه أولى - الطبعة الثانية ١٩٩٨م - مؤسسة الشروق

[٢٢] انسام حيبه فى الأفكار الصوفيه - ط أولى ١٩٩٧م - مطبعة صبحى ، ط٢ دار حبيب ١٩٩٨،
مؤسسة الشروق ١٩٩٨م .

[٢٣] منهج السلف فى اثبات وجود الله تعالى - ط أولى ١٩٩٨م - مؤسسة النجوم الهاشميه بالزقازيق والا
مطبعة المخزنجى .

[٢٤] أمرأة المعلم قرنى (قصة) مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٨م . وجارى اصدار الطبعة الثا

[٢٥] الوليد المنطق فى علم المنطق ، الطبعة الأولى بمطبعة دار حبيب للطباعة بالزقازيق ١٩٩٨م ، والا
الشروق ١٩٩٨م .

[٢٦] وهذا مذهبى - مسرحيه شريه مرتجله ، وجارى اصدار الثانية - مكتب شروق بالزقازيق

[٢٧] الوداع الأخير - وجارى اصدار الثانية - مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٨م .

[٢٨] الغزاليات فى الالهيات ١٩٩٨ مطبعة المخزنجى .

[٢٩] حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد .

[٣٠] المدخل التام لعلم الكلام

[٣١] النديم فى المنطق القديم ١٩٩٨م .

99/ ٨٣٧٥
977-19-9036-5

مطبعة آل بسيوني
غزالة الخيس - الزقازيق - شرقيه